فى الدراسات القرآنية

قراءة يحيى بن وثَّاب

في ضوء علم التشكيل الصوتي

الدكتور
أحمد طه حسانين سلطان
جامعة الأزهر - كلية اللغة العربية بالقاهرة

مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
القاهرة تليفون: ٣٩١٧٤٧٠
فاكس: ٣٩٠٣٧٤٦

الطبعـة الأولى

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين، خلق الإنسان، وعلمه البيان، وجعله من أزكى المخلوقات، بفضل ما أُوتى من الحكمة وفصل الخطاب، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على أفصح من نطق بلغة الضاد، سيدنا محمد ﷺ، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن من أحب الأعمال إلى الله تعالى أن يعمل المرء عقله وفكره فى التدبر لآيات القرآن الكريم، وفى النظر إلى إعجازه وسحر بيانه، فى لفظه ومعناه.

ولئن كان القرآن الكريم قد نزل بلسان قريش، وفى بيئة الحجاز، وكان ممثلا للغة النموذجية التى سادت فى المجتمع العربى إبان نزوله، فإن كثيراً من اللهجات العربية كانت ممثلة فى قراءاته القرآنية، المتواترة وغير المتواترة، وكانت تلك القراءات لا تخرج بحال من الأحوال عن كونها أوجها للغة النموذجية، وصورا حية لتلك اللهجات، التى سمح للناس أن يقرءوا القرآن بها، وأن يرتلوه وفقها.

وقد رخص الله تعالى لأمة الإسلام فى أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف، وهى موزعة فى كل ما أثر عن سيدنا رسول الله ﷺ أنه قرأ به القرآن، أو أقرأ به غيره من المسلمين، أو أَقَرَّ ذلك الغير على أدائه ونطقه، ذلك ما حمله الصحابة إلى التابعين من بعدهم، وتلقاه الخلف عن السلف بالقبول والاحترام، وكان فى تلك الرخصة ما فيها من التيسير على متعلمى القرآن وقراءاته، «إذْ لَوْ كلفوا العدول عن لغتهم والانتقال عن ألسنتهم لكان من التكليف بما لا يستطاع».

وقد اتفق السلف والخلف من علماء الأمة على أن القراءات القرآنية منها ما اتصل سنده برسول الله ﷺ، وبقى كذلك متصل السند إلى عهد التدوين،

وذلك ما يعرف بالقراءات المتواترة، وتشمل – فى أصح الآراء – العشرة التى ألف ابن الجزرى فيها كتابه «النشر فى القراءات العشر»، واتفقوا أيضاً على أنه يوجد من القراءات القرآنية ما انقطع سنده عند قارىء معين قبل عصر التدوين، وكان ذلك لسبب من الأسباب، كانصراف الناس عن القراءة بها لضعف الهمم عنها؛ أو لعدم شيوعها وانتشارها؛ أو لمصادمتها لأقيسة النحويين واللغويين الضيقة؛ أو للتعصب لما كان أكثر شهرة من غيره، أو لقارئ على حساب قارئ آخر، بسبب العرق والنسب، إلى غير ذلك من الأسباب، وعرف ذلك الصنف من القراءات بالقراءات الشواذ.

وكل ذلك – من وجهة النظر الموضوعية – لا يعنى ضعف القراءة الشاذة فى نفسها، ولا يقلل من قيمتها، ولا يحط من شأنها؛ لأن الرواية تصلها من عند ذلك القارىء المعين برسول الله ﷺ، وهى مثل المتواترة فى أنها يحتج بها فى اللغة، وتستنبط بها الأحكام الشرعية، غير أنه لا يقرأ بالشواذ فى الصلاة.

من أجل ذلك كان ينبغى على النحويين واللغويين أن يحترموا هذا النوع من القراءات؛ لأنه محفوف بالرواية من أمامه وورائه، وكان عليهم أيضاً أن يولوا وجوههم شطره؛ لجمعه وتصنيفه من جديد، وإعادة النظر فيه بموضوعية، فى ضوء المناهج الحديثة، والدراسات المتخصصة؛ لأنه فى كل الحالات لا يقل شأناً عن أوثق ما وصل إلينا من النصوص الأدبية، والألفاظ اللغوية، والتراكيب الصوتية والصرفية والنحوية فى الشعر والنثر، مما نطقت به العرب فى أزهى عصور اللغة العربية، وهى عصور الاحتجاج باللغة.

ولتلك العلة ذاتها فكرت فى بحث قراءة من هذا النوع، وكان اختيارى لقراءة يحيى بن وثاب على وجه الخصوص للأسباب الآتية:

١ – كان يحيى بن وثاب من جيل التابعين الموثوق بهم، فقد نشأ فى كنف عبدالله بن عباس، وتعلم منه العلم الشرعى الصحيح.

٢ – كان ابن وثاب رضى الله عنه ذا صفات كريمة، فقد عرف عنه الخشوع والزهد وعزة النفس، وتلك جعلته محل ثقة من المجتمع الذى كان يعيش فيه، إلى الحد الذى جعل الحجاج بن يوسف يستثنيه من أمره الذى كان قد أمر به، وهو

ألا يؤم الناس للصلاة فى الكوفة إلا عربى النسب، وذلك فى قوله: «ليس عن مثل هذا نهيت».

٣ - كان ابن وثاب معدودا فى الطبقة الرابعة من القراء، وقد خلع العلماء عليه ألقابا ترفع من مكانته بينهم، فهو الإمام، والقدوة، وشيخ القراء فى زمانه، والفقيه، والمحدث أحيانا.

٤ - كانت قراءة يحيى بن وثاب موصولة السند برسول الله ﷺ، فقد أخذ القراءة عن أصحاب عبدالله بن مسعود، وعرض على عبدالله بن حبيب الضرير (أبى عبدالرحمن السلمى)، الذى كان قد أخذ القراءة عن عثمان بن عفان، وعلى بن أبى طالب، وأبىّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وعبدالله بن مسعود، وجميعهم أخذ عن رسول الله ﷺ.

أما عن المنهج الذى غلب على هذا البحث فهو المنهج الوصفى، مع الاستعانة بالمناهج الأخرى عند الحاجة إليها.

وقد جاء البحث -وفق الخطة التى سار عليها- فى ثلاثة فصول هى:

- **الفصل الأول**: «التعريف بـ يحيى بن وثاب» - ذكرت فيه اسمه ونسبه، ومكانته وسيرته، وشيوخه فى الفقه والحديث، وشيوخه فى القراءة ومصادرهم، وتلامذته المشهورين، ومنزلة قراءته بين القراءات القرآنية.

- **الفصل الثانى**: «الظواهر السياقية فى الصوائت» - ويضم ستة مباحث هى:

● **المبحث الأول**: «المماثلة الكلية فى الصوائت»، ويشمل ما وقع منها فى صيغ الأفعال، وفى صيغ الأسماء، وفى الحروف.

● **المبحث الثانى**: «المماثلة الجزئية فى الصوائت»، ويشمل الإمالة فى الفعل (سأل)، والمماثلة فى الحرف (لوْ).

● **المبحث الثالث**: «تعاقب الحركات»، ويشمل:

(أ) تعاقب الفتح والضم والكسر على فاء الكلمة.

(ب) تعاقب الضم والكسر على فاء الكلمة أيضاً.

● **المبحث الرابع**: «التلتلة أو كسر حروف المضارعة»، ويشمل:

أولاً : المضارع مما كان على مثال (علم يعلم) .

– أمثلة وافقت القواعد .

– أمثلة شذت عن القواعد .

ثانيًا : المضارع المبدوء بهمزة الوصل في الماضي .

ثالثًا : المضارع المبدوء بتاء المطاوعة في الماضي .

● **المبحث الخامس** : « حذف الصائت أو تقصيره » ويشمل :

أولاً : حذف الصائت القصير من عين « فُعُل » بضمتين .

ثانيًا : حذف الصائت القصير من عين « فَعَل » بفتحتين .

ثالثًا : حذف الصائت القصير من عين « فَعِل » بفتح فكسر، مع التعديل في الصائت المجاور أحيانا .

رابعاً : تقصير الصائت الطويل .

● **المبحث السادس** : « كسر فاء الثلاثي المضعف المبني للمجهول » .

– **الفصل الثالث** : « الظواهر السياقية في الصوامت »، ويضم مبحثين هما :

● **المبحث الأول** : « الإدغام أو المماثلة » .

● **المبحث الثاني** : « حذف بعض الأصوات من أواخر الكلمات » .

– فهرس الآيات والقراءات .

– فهرس المصادر والمراجع .

– فهرس الموضوعات .

وختاما أرجو أن أكون قد وفقت فيما إليه قصدت، والله تعالى أسأل أن يكون هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به من أراد على هديه أن يسير، وأن يجعله في موازين أبي وأمي في يوم الدين، وصلى الله تعالى وسلم وبارك على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، « حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم » .

دكتور

أحمد طه حسانين سلطان

كلية اللغة العربية – جامعة الأزهر – القاهرة

الفصل الأول:

التعريف بـ (يحيى بن وثّاب)

● اسمه ونسبه:

هو أبو محمد يحيى بن وثاب - بالثاء المثلثة المشددة -، الكوفيّ، الأسديّ، «مولى بنى كاهل من بنى أسد بن خزيمة»، وهو من التابعين رضى الله عنهم أجمعين.

كان أبوه «بزدويه بن ماهويه» من أهل «قاشان»، ومن أبناء أشرافها، سباه مجاشع بن مسعود السلمى لما فتح «قاشان»[1]، وكان الأب محظوظا عندما وقع فى سهم أحد أشراف قريش وهو عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب، فسماه مولاه وثّابًا، ولما تزوج ورزق بولده «يحيى» أقام مدة فى كنف ابن عباس ثم استأذنه فى الرجوع إلى موطنه الأصلى «قاشان»، فاذن له، واستأذن «يحيى» والده فى المقام بالكوفة إيثاراً لطلب العلم على طلب المال فاذن له، فاقبل «يحيى» على القرآن حتى صار أقرأ أهل زمانه، وفاق نظراءهُ فى القرآن والآثار، وتوفى رحمه الله سنة ثلاث ومائة من الهجرة النبوية[2].

● مكانته وسيرته[3]:

لقد شهد ليحيى بن وثاب أهل زمانه بإمامته فى القراءة، فهو «الإمام

---

(١) فى تاج العروس ٩ / ٣١١ (قشن): وقاشان بلد قرب قُمْ، وأهله شيعة أ هـ. وهى تقع حاليا فى جمهورية إيران.

(٢) ينظر فى ترجمته: المعارف لابن قتيبة ٥٢٩، وسير أعلام النبلاء ٤ / ٣٧٩ - ٣٨١، ومعرفة القراء الكبار ١ / ٦٢ - ٦٤ والجرح والتعديل ٩ / ١٩٣ رقم ٨٠٦ وتحرير التقريب لابن حجر ٤ / ١٠٣ (رقم ٧٦٦٤)، والكاشف للذهبى ٢ / ٣٧٨ (رقم ٦٣٧٣)، وطبقات بن سعد ٦ / ٢٩٩، والنشر لابن الجزرى ١ / ١٦٥، وطبقات القراء ٢ / ٣٨٠، والعبر فى خبر من ذهب ١ / ٩٥.

(٣) تنظر المراجع السابقة.

القدوة المقرئ»، و«شيخ القراء» معدود فى الطبقة الرابعة منهم كان يقرئ أهل الكوفة فى زمانه، وقد فاق نظراءه فى القرآن حتى صار أقرأ أهل زمانه، قالوا عنه: إنه أقرأ من بال على تراب، وربما اشتهيت تقبيل رأسه لحسن قراءته، وكان إذا قرأ فى المسجد لا تسمع حركة، حتى كانه ليس فى المسجد احد.

وقد عرف عن أبى محمد يحيى بن وثاب رضى الله عنه إلى جانب إمامته فى القراءة أنه كان يؤم الناس للصلاة فى أحد مساجد الكوفة، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على سلوكه وحسن سيرته فى الناس.

ومما قيل عنه أيضًا أنه كان خاشعًا، حاضراً فى صلاته، إذا رأيته وقف للصلاة قلت: هذا وقف للحساب...، وكان إذا قضى صلاته مكث فى المسجد مليا ما شاء الله، وعليه مسحة من الخشوع.

وكان رضى الله عنه زاهداً فى ملبسه، وكان يصلى فى «مُستُقة»[1]، لكنه كان عزيز النفس، يدل على ذلك أن الحجاج بن يوسف الثقفى لما أصدر أمره بالا يؤمّ للصلاة فى الكوفة إلا عربى النّسب، فقال القوم ليحيى بن وثاب: اعتزل الإمامة!! فتحيّن الفرصة وأسمع الأمير صوته بالقراءة، فانتبه الحجاج، وقال: من هذا؟ قالوا: إنه يحيى بن وثاب، قال: ماله؟ قالوا: أمرت ألاّ يؤم إلا عربىّ، فنحاه قومه، فقال: ليس عن مثل هذا نهيت، فصلى بهم يومًا، ثم قال: اطلبوا إماما غيرى؛ إنما أردت ألاّ تستذلونى، فإذا صار الأمر إلىّ فانا لا أؤمكم[2].

● شيوخه فى الفقه والحديث:

انفرد الذهبى فى سير أعلام النبلاء بنعت يحيى بن وثاب بـ«الفقيه»، وهو على حق، لأنه من المستبعد أن يؤم الناس للصلاة وهو غير عالم بمسائل الفقه فى الشريعة، ويغلب على الظن أن شيوخه فى الفقه هم أنفسهم شيوخه فى الحديث، فقد روى أنه حدّث عن عبدالله بن عباس، وعبدالله بن عمر، وأنه روى مرسلا عن عائشة وأبى هريرة وابن مسعود وابن الزبير وغيرهم؛ لأن مدرسة الفقه

---

(١) المُستُقة بضم التاء وفتحها: فروة طويلة الكم، معرّبة. القاموس المحيط ٣/ ٢٤٤ ستق.
(٢) معرفة القراء الكبار ١/ ٦٢، ٦٤.

في هذا العصر لم تكن قد انفصلت عن مدرسة الحديث، فالشيخ في الصدر الأول من الإسلام كان محدثًا ومقرئًا وفقيها[1].

● شيوخه ومصادرهم في القراءة:

١ – عبيد بن نضلة السلماني: تعلم منه ابن وثّاب القرآن آية آية، وكان قد قرأ على علقمة، وقرأ علقمة على عبدالله بن مسعود، وقرأ ابن مسعود على النبيّ ﷺ[2].

٢ – علقمة بن قيس بن عبدالله بن مالك (أبو شبل)، النخعي، الفقيه الكبير، ولد في حياة النبي ﷺ، قرأ عليه يحيى بن وثاب، وأخذ عنه القراءة عرضا، وكان علقمة قد صاحب عبدالله بن مسعود، وقرأ عليه وسمع من علي وعمر وأبي الدرداء وعائشة، ومات سنة اثنتين وستين من الهجرة[3].

٣ – الأسود بن يزيد بن قيس (ابن أخي علقمة السابق) ، يكنى أبا عبد الرحمن، قرأ عليه يحيى بن وثاب، وأخذ عنه القراة عرضا، وكان الأسود قد صاحب عبدالله بن مسعود وقرأ عليه، توفي سنة أربع وسبعين، وقيل سنة خمس وسبعين من الهجرة[4].

٤ – مسروق بن الأجدع، من همدان، ويكنى أبا عائشة، قرأ عليه يحيى ابن وثاب، وأخذ عنه القراءة عرضا، وكان مسروق قد قرأ على عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، توفي سنة ثلاث وستين من الهجرة[5].

٥ – أبو مريم زرّ بن حبيش بن حباشة الأسدي، قرأ عليه يحيى بن وثاب، وروى عنه، وكان أبو مريم أعرب الناس، وكان عبدالله بن مسعود يسأله عن العربية، وقراءته موصولة بعبد الله بن مسعود، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم، عاش مائة وعشرين سنة، وتوفي سنة ثلاث وثمانين من الهجرة[6].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٤ / ٣٧٩ – ٣٨١، والمعارف ٥٢٨.
(٢) الطبقات الكبرى ٦ / ٢٩٩، والنشر ١ / ١٦٥، طبقات القراء ١ / ٤٩٧، ٤٩٨.
(٣) المعارف لابن قتيبة ٤٣١، والنشر ١ / ١٦٥، وطبقات القراء ١ / ٥١٦.
(٤) المعارف ٤٣٢، والنشر ١ / ١٦٥، طبقات القراء ١ / ١٧١.
(٥) المعارف ٤٣٢، والنشر ١ / ١٦٥، طبقات القراء ٢ / ٢٩٤.
(٦) المعارف ٤٢٧، والنشر ١ / ١٥٥، طبقات القراء ١ / ٢٩٤.

٦ - أبو عمرو الشيباني، اسمه سعد بن إياس (أو ابن إلياس)، قرأ عليه يحيى بن وثاب، وأخذ عنه القراءة عرضا، وكان الشيبانى قد قرأ على عبد الله ابن مسعود، وعاش مائة وعشرين سنة[١].

٧ - أبو عبد الرحمن السلمى الكوفى، هو عبدالله بن حبيب بن ربيعة الضرير، كان مقرئًا، ومعلمًا، ويحمل عنه الفقه، انتهت إليه القراءة تجويداً وضبطًا، وكان ثقة كبير القدر، له حديث مخرج فى الكتب الستة، ولد فى حياة النبى ﷺ، ولم يزل يقرئ الناس من زمن عثمان رضى الله عنه حتى توفى سنة أربع وسبعين من الهجرة، كان ابن وثاب قد أخذ عنه القراءة عرضًا، وأخذ هو عن عثمان بن عفان، وعلى بن أبى طالب، وأبى بن كعب، وزيد بن ثابت، وعبدالله بن مسعود، وجميعهم أخذ عن رسول الله ﷺ[٢].

● أشهر تلاميذه:

١ - أبو محمد سليمان بن مهران «الأعمش»، مولى لبنى كاهل من بنى أسد، ولد يوم مقتل الحسين بن على رضى الله عنهما سنة إحدى وستين، ومات سنة ثمان وأربعين ومائة من الهجرة، اشتغل برواية الحديث وبالقراءة، غير أن الحديث كان أغلب عليه من القراءة، وكان الأعمش قد قرأ على يحيى بن وثاب، ثم كان شيخًا لحمزة بن حبيب الزيات[٣].

٢ - أبو محمد طلحة بن مصرف اليامى، وهو أبو عبدالله أيضًا، أصله من همدان، قرأ على يحيى بن وثاب، وكان قارئ أهل الكوفة فى زمانه، فلما رأى كثرة الناس عليه كره ذلك، ومشى إلى الأعمش فقرأ عليه، فمال الناس إلى الأعمش، وتركوا طلحة، مات رضى الله عنه سنة اثنتى عشر ومائة[٤].

---

(١) المعارف ٤٢٦، والنشر ١/ ١٥٥ طبقات القراء ١/٣٠٣.

(٢) المعارف ٥٢٨، ٥٤٧، والنشر ١/ ١٥٥، طبقات القراء ١/ ٤١٣، تحبير التيسير ٢١.

(٣) المعارف ٤٨٩، ٤٩٠، النشر ١/ ١٦٥ وطبقات القراء ١/ ٣١٥ وتحبير التيسير ٢١، سير اعلام النبلاء ٤/ ٣٨٠.

(٤) المعارف ٥٢٩، النشر ١/ ١٦٥، معرفة القراء الكبار ١/ ٦٣ وطبقات القراء ١/ ٣٤٣.

٣ – حبيب بن أبى ثابت (أبو يحيى) القرشى، حدث عن يحيى بن وثاب، وعرف بالصدق فى روايته مات سنة تسع عشرة ومائة من الهجرة[١].

٤ – أبو إسحاق السبيعى، واسمه عمرو بن عبدالله، ينتسب إلى بطن من همدان يقال لهم السبيع، ولد قبل انتهاء خلافة عثمان بثلاث سنين، ومات سنة سبع وعشرين ومائة عن خمس وتسعين سنة، حدَّث عن يحيى بن وثاب، وقد ذكر من مروياته أنه روى جماعة عن أبى إسحاق عن يحيى عن ابن عمر: (من راح إلى الجمعة فليغتسل)[٢].

٥ – أبو إسحاق الشيبانى، اسمه سليمان بن أبى سليمان، مولى لبنى شيبان حدّث عن يحيى بن وثاب، وتوفى سنة تسع وعشرين ومائة من الهجرة[٣].

● منزلة قراءته بين القراءات :

وضع المتأخرون من علماء القراءات معايير خاصة، على أساسها تصنف القراءات القرآنية إلى قراءات سبعية أو عشرية وإلى ما فوق العشرة أو الشاذة، وفى أحيان كثيرة خلعوا على السبعية والعشرية صفة المتواترة، ونفوا تلك الصفة عما عداها من القراءات، يقول ابن الجزرى: القراءة المتواترة هى « كل قراءة وافقت العربية مطلقًا، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو تقديراً، وتواتر نقلها »[٤]، ويقول أيضًا: والذى جمع فى زماننا هذا الأركان الثلاثة هو قراءة الأئمة العشرة التى أجمع الناس على تلقيها بالقبول، وهم أبو جعفر، ونافع، وابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب، وابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائى، وخلف[٥]، ثم يقول: والصحيح أن ما وراء العشرة فهو شاذ، وفاقا للبغوى، والشيخ الإمام على ابن عبدالكافى السبكى[٦].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٤ / ٣٨٠.
(٢) المعارف ٤٥١، وسير أعلام النبلاء ٤ / ٣٨٠، ٣٨١.
(٣) المعارف ٤٥١، وسير أعلام النبلاء ٤ / ٣٨٠.
(٤) منجد المقرئين ٩١.
(٥) السابق ٩٣.
(٦) السابق٩٥.

لكننا رأينا ابن الجزرى فى كتابه النشر يعطى مفهومًا أوسع للقراءة الصحيحة، بحيث لا تنحصر القراءة المتواترة فى قراءة الأئمة العشرة الذين سبق ذكرهم، بمعنى أنه ليس من الحتم أن تخرج عنه كل قراءات من سواهم، وليس بالضرورة أن تدخل فيه كل قراءة نسبت إلى أحد منهم، يقول فى ذلك: «كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف ولو احتمالا، وصح سندها، فهى القراءة الصحيحة التى لا يجوز ردها، ولا يحل إنكارها، بل هى من الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن، ووجب على الناس قبولها، سواء كانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم، ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة، سواء كانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم، هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف.. قال أبو شامة رحمه الله فى كتابه «المرشد الوجيز»: فلا ينبغى أن يغتر بكل قراءة تعزى إلى واحد من هؤلاء الأئمة السبعة ويطلق عليها لفظ الصحة وإن هكذا أنزلت، إلا إذا دخلت فى ذلك الضابط، وحينئذ لا ينفرد بنقلها [أى القراءة الصحيحة] مصنف عن غيره، ولا يختص ذلك بنقلها عنهم، بل إن نقلت عن غيرهم من القراء فذلك لا يخرجها عن الصحة، فإن الاعتماد على استجماع تلك الأوصاف لاعمن تنسب إليه، فإن القراءات المنسوبة إلى كل قارئ من السبعة وغيرهم منقسمة إلى المجمع عليه والشاذ، غير أن هؤلاء السبعة، لشهرتهم، وكثرة الصحيح المجتمع عليه فى قراءتهم تركن النفس إلى ما نقل عنهم فوق ما ينقل عن غيرهم»[١].

وكان ابن جنى رحمه الله قد سبق غيره فى بيان قوة ما يسمى من القراءات شاذا، وأنه مع خروجه عن القراءات السبعة نازع بالثقة إلى قرائه، محفوف بالروايات من أمامه وورائه آخذ من سمت العربية مهلة ميدانه، ولعله أو كثيرا منه مساوٍ فى الفصاحة للمجتمع عليه[٢].

(١) النشر ١/ ٩، ١٠.

(٢) بتصرف من مقدمة المحتسب لابن جنى ٣٢، ٣٣.

ونحن في ضوء ما سبق لا نرتاب لحظة في أن قراءة صاحبنا أبي محمد يحيى بن وثاب من القراءات التي اجتمعت لها أركان الصحة، وأسباب القوة، وهي كما يأتي:

١ - الركن الأول - صحة السند:

لقد أثبتنا عند الحديث عن شيوخه أن قراءة يحيى بن وثاب متصلة السند برسول الله ﷺ؛ فقد كان من شيوخه أبو عبدالرحمن السلمي الضرير، وأبو مريم زر بن حبيش، وأبو عمرو بن إياس الشيباني، قال ابن الجزري: «وقرأ هؤلاء الثلاثة على عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وقرأ السلمي وزر أيضًا على عثمان ابن عفان، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما، وقرأ السلمي أيضًا على أبيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، رضي الله عنهما، وقرأ ابن مسعود، وعثمان، وعلي، وأبيّ، وزيد، على رسول الله ﷺ(١).

٢ - الركن الثاني - موافقة خط المصحف:

كان الخليفة الثالث عثمان بن عفان قد جمع المصاحف في مصحف واحد، وكان ذلك عند ما حضر حذيفة بن اليمان فتح أذر بيجان وأرمينية، ورأى الناس يختلفون في ألفاظ القرآن اختلافًا شديدًا، حتى كاد بعضهم يكفر بعضا، فأشار على الخليفة بجمع الناس على مصحف واحد؛ حتى لا يختلفوا في كتاب الله كاختلاف اليهود والنصارى، فأمر عثمان رضي الله عنه بأن تجمع المصاحف في مصحف واحد، وأن تكتب منه سبع نسخ، وأمر بتوجيهها إلى الأمصار: البصرة، والكوفة، ومكة، والشام، واليمن، والبحرين، وأمسك لنفسه مصحفًا، وهو الذي يقال له المصحف الإمام، وأمر كذلك بحمل الناس على أخذ ما فيها، وترك ما خالفها(٢).

وقد ترتب على ذلك - فيما بعد - أن «اختار المسلمون من كل مصر وُجه إليه مصحف أئمةً مشهورين بالثقة والأمانة في النقل، وحسن الدين وكمال

---

(١) النشر ١ / ١٥٥، وينظر ما كتبناه عن شيوخه.

(٢) النشر ١ /٧، والإبانة عن معاني القراءات ٦٢ - ٦٥.

العلم، أفنوا عمرهم في القراءة والإقراء، واشتهر أمرهم، وأجمع أهل مصرهم على عدالتهم فيما نقلوه، وثقتهم فيما قرءوه ورووه، وعلى علمهم بما يقرءون، ولم تخرج قراءتهم عن خط مصحفهم، وهؤلاء منهم:

- بالمدينة: أبو جعفر، وشيبة، ونافع.
- وبمكة: عبدالله بن كثير، وحميد الأعرج، وابن محيصن.
- **وبالكوفة: يحيى بن وثاب**، وعاصم، والأعمش، وحمزة، والكسائى.
- وبالشام: عبدالله بن عامر، وعطية بن قيس الكلابى، ويحيى بن الحارث الذمارى.
- وبالبصرة: عبدالله بن إسحاق، وأبو عمرو بن العلاء، وعاصم الجحدرىّ، ويعقوب الحضرمى»[1].

ومن خلال الكلام السابق نتبين بوضوح تحقق ابن الجزرى يقينا من موافقة قراءة ابن وثاب لخط المصحف الذى أرسل إلى الكوفة، ومن أن صاحبنا هذا معدود فى القراء الثقات الموصوفين بالأمانة والعدالة والضبط فيما قرءوا به، وفيما نقلوه عن غيرهم، شأنه فى ذلك شأن القراء السبعة أو العشرة الذين أورد ابن الجزرى أسماءهم فى كلامه المتقدم.

٣ - الركن الثالث:

أن توافق القراءة أحد الوجوه الجائزة فى اللغة العربية أو فى لهجاتها فتحمل عليه، ويحمل هو عليها، ومن هنا أجاز العلماء تعلمها وتعليمها، وتدوينها فى الكتب، وبيان وجهها من حيث اللغة والإعراب والمعنى، والاستدلال بها على وجه من وجوه اللغة العربية، بل أطبق الناس على الاحتجاج بالقراءات الشاذة فى العربية إذا لم تخالف قياسًا معروفًا، بل لو خالفته يحتج بها فى مثل ذلك الحرف بعينه، وإن لم يجز القياس عليه، ولا يعلم فى ذلك خلاف بين النحاة[2].

---

(١) منجد المقرئين ١١٣، ١١٤.
(٢) الاقتراح فى علم أصول النحو. ١٥.

وهذا يعنى أن الشذوذ فى القراءات إنما هو شذوذ عن القواعد الموضوعة بغير استقصاء كاف لأوضاع العربية وأحوالها، وليس شذوذا عن سنن العربية وطبيعتها[1].

وحسبنا بعد ذلك أن نقرر أننا فى القدر الذى جمعناه من قراءة يحيى ابن وثاب، وعرضنا له فى هذا البحث – لم نجد فيه ما يعد خارجا بالكلية عن أقيسة اللغة العربية، أو اختلاف اللهجات، مما يؤكد لنا– وللقارئ أيضًا – أننا بصدد النظر فى مادة لغوية موثقة، صالحة للوصف والتحليل والتفسير على المستوى الذى حددناه لدراسة هذه القراءة، وهو المستوى الصوتى.

فمن الله نستمد العون، ونسأله الهدى والرشاد، والتوفيق والسداد، إنه نعم المجيب.

* * *

---

(١) الحديث النبوى الشريف وأثره فى الدراسات اللغوية والنحوية ٢٨٧.

الفصل الثانى

الظواهر السياقية فى الصوائت

● تمهيـد :

الصوائت هى المصطلح الصوتى المقابل للصوامت، وعليهما معًا يقوم علم الأصوات أو علم الصوتيات.

فأحيانا تدرس الوحدات المكونة لكل منهما دراسة مفردة بعيدة عن السياق؛ من أجل التعرف على مخرج الصوت، والأعضاء التى يتكون فيها، وعلى الصفات التى يتصف بها من جهر وهمس، وشدة ورخاوة، وتفخيم وترقيق.. وغيرها، وتعرف تلك الدراسة بـ « الدراسة الفوناتيكية ».

وأحيانا أخرى تدرس تلك الوحدات عندما تتركب وتتجاور فى سياقات أو تراكيب صوتية معينة (مقاطع – كلمات – جمل)، فيرصد الدارس ما يطرأ عليها فى السياق من الإطالة والتقصير، أو التفخيم والترقيق، أو الإدغام والفك، أو الإظهار والإخفاء، أو الفتح والإمالة، أو التحقيق والتسهيل، أو التثقيل والتخفيف، أو المماثلة والمخالفة، أو التصحيح والإعلال، أو الإبدال والقلب، أو الحذف والزيادة، أو إحلال حركة فى محل حركة أخرى.. فضلاً عما قد يلحظ فى السياق من الوحدات الثانوية من النبر أو التنغيم أو التزمين..، ويطلق على هذا النوع من الدراسة : « الدراسة الفنولوجية ».

ولا يغيب عن بال المتخصصين فى هذا الحقل من الدراسات اللغوية أن النظر فى القراءات القرآنية، ورصد ما يطرأ على الوحدات الصوتية فيها من تغييرات صوتية، يعد من قبيل الدراسة الأخيرة، المسماة بـ « الفنولوجية – أو التشكيلية، أو دراسة وظائف الأصوات ».

وبعد : فسوف نعرض لما ورد فى قراءة يحيى بن وثاب (رضى الله عنه) من ظواهر صوتية تتعلق بالصوائت، ثم نعقب بالظواهر التى تتعلق بالصوامت.

المبحث الأول:

المماثلة فى الصوائت

المماثلة فى اللغة: هى مفاعلة من الفعل الثلاثى المزيد بحرف واحد، يقال ماثلة إذا ساواه، ولا تكون المماثلة إلا فى المتفقين فى الجنس تقول: نحوه كنحوه، وفقهه كفقهه، ولونه كلونه، وطعمه كطعمه[1].

ويراد من المماثلة فى اصطلاح علماء الأصوات: تأثر الأصوات اللغوية بعضها ببعض فى المتصل من الكلام، وقد عرفها بعضهم بأنها عبارة عن «التعديلات التكييفية للصوت بسبب مجاورته – ولا نقول ملاصقته – لأصوات أخرى»، أو هى «تحول الفونيمات المتخالفة إلى متماثلة، إما تماثلا جزئيا أو كليا»[2].

والمماثلة الجزئية هى التى يؤثر فيها صوت فى صوت آخر تأثيراً جزئيًا، بحيث لا يتطابق الصوتان اللذان أثر أحدهما فى الآخر، ومن أمثلة ذلك قولهم مَمْبك، يريدون: من بك، وقولهم: شمْباء وعمْبر، يريدون: شنباء، وعنبرا[3]، قال سيبويه: لم يجعلوا النون باء لبعدها فى المخرج، وأنها ليست فيها غنة، لكنهم أبدلوا من مكانها أشبه الحروف بالنون، وهى الميم[4]، فالباء أثرت فى النون تأثيراً جزئيًا فحولتها إلى الميم الموافقة لها فى المخرج وفى بعض الصفات.

أما المماثلة الكلية فهى التى يفنى فيها أحد الصوتين فى الآخر، فيتطابقان كل المطابقة، وذلك كما فى قولهم: اطعّن، وادّان، على وزن افتعل من الثلاثى طعن، ودان، وكما فى قراءة بعضهم: (الحمدُ لُله) بضم الدال واللام، وقراءة بعضهم الآخر: (الحمدِ لِله) بكسر الدال واللام[5].

---

(١) لسان العرب: مادة (مثل)، وتاج العروس ٨ / ١١٠ (مثل).

(٢) دراسة الصوت اللغوى – احمد مختار عمر ٣٢.

(٣) ينظر الكتاب لسيبوية ٤ / ٤٥٣.

(٤) السابق من الكتاب. (٥) ينظر الخصائص ٢ / ١٤٤.

والمماثلة تقع بين الصوامت، وبين الصوائت، وتقع كذلك بين الصامت والصائت[1].

وقد عبّر العلماء عن المماثلة بتعبيرات مختلفة، وكان مؤداها واحداً، فسيبويه والمتقدمون والمتأخرون عرضوا للمماثلة بين الصوامت فى باب الإدغام[2]، وابن جنى المتوفى ٣٩٢هـ عرض فى كتابه لتأثر الحركة بحركة أخرى، متقدمة عليها أو متاخرة عنها، وسمّى الحركات فى صورتها الجديدة الناجمة عن التأثر « حركات الإتباع »[3]، يشير إلى المماثلة بين الصوائت.

وقد عرض المستشرق الألمانى (براجستراسر) أيضًا فى كتابه « التطور النحوى للغة العربية » لما أسماه « تغير الحركات »، وعدّ من أنواعه الإبدال فى الحركات، وكان يعنى به انقلاب مخرج الحركة، وقد ذكر أن للحروف الصائتة مخارج مثل مخارج الحروف الصامتة، غير أن تحديدها وتمييزها مشكل.. وذكر أيضًا أن من أهم أنواع الإبدال فى الحركات « التشابه »، وأراد منه مشابهة الحركة لحركة أخرى، ومشابهة الحركة لحرف صامت[4].

والنوع الأول – كما يفهم من أمثلته – هو بعينه إتباع الحركات أو المماثلة فى الصوائت.

وقد أوضح براجستراسر أن التشابه فى الحركات لا يكون إلا منفصلاً؛ لأن بين الحركتين حرفًا صامتًا فارقا بينهما[5].

وهذا يعنى أن المماثلة بين الصوائت لا تكون تجاورية، وإنما تكون متباعدة دائمًا، أى لا يتجاور فيها الصوتان اللذان يؤثر أحدهما فى الآخر.

هذا وقد توالت الإشارة إلى ظاهرة المماثلة فى كتب المحدثين العرب، ولم يكن هؤلاء على درجة واحدة فيما كتبوه عنها، فمنهم من اقتصر فى حديثه على المماثلة فى الأصوات الصامتة[6]، ومنهم من أشار بجانب ذلك إلى أن تأثر

---

(١) ينظر أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى ص ١٧٥ وما بعدها.

(٢) ينظر الكتاب ٤ / ٤٣١ وما بعدها. (٣) ينظر الخصائص ٢ / ٣٣٣ – ٣٣٧.

(٤) التطور النحوى للغة العربية ٦٢. (٥) السابق.

(٦) ينظر التجويد والأصوات، د. إبراهيم نجا ص ٩٦ ط ١٩٧٢م – السعادة.

الأصوات اللغوية بعضها ببعض قد يكون فى أصوات اللين أيضاً، وهو ما يسمى بانسجام أصوات اللين[١].

ويستفاد من النظر فيما كتبوه أن الشرط الأساسى لتحقق المماثلة فى الصوامت أن يكون التقاء الصوتين مباشراً، بحيث لا يفصل بينهما أى فاصل ولو كان هذا الفاصل حركة قصيرة[٢].

وقد أفرد هذه الظاهرة بالحديث أيضاً الدكتور أحمد علم الدين الجندى تحت عنوان «المماثلة فى الحركات»، وهو لا يرى بأسا فى أن يطلق عليها ظاهرة الانسجام، التى قد تبدو فى الحركتين من الكلمة أو من الكلمتين، ويرى أن السر فى وجودها اعتماد الناطقين بها – فى أول الأمر – على السماع وعلى النطق والإنشاد، مما يتيح للمتكلم أن يجرى على طبيعته دون تقيد بما يفرضه نظام الكتابة العربية، وهو يعنى فى كل شواهده بنسبة المماثلة إلى القبائل التى عرف عنها الميل إلى الانسجام بين الأصوات الصائتة، وهى القبائل البدوية فى معظم الأحيان، لأن لهجتهم متطورة، وتجنح فى تطورها إلى أن يكون عمل اللسان فى الصوتين المتجاورين عملاً واحداً[٣].

وممن عنوا بالمماثلة وأفردوا لها مساحة لا بأس بها الدكتور عبدالصبور شاهين، وكان ذلك فى كتابه «أثر القراءات فى الأصوات والنحو العربى»، حيث عرض لآراء بعض المحدثين الغربيين فى المماثلة، وقد بين أن إطلاق المماثلة شامل لكل تأثير يحدث بين صوتين متجاورين فيقارب بينهما، مهما يكن مبلغه، وأهم ما أشار إليه فى حديثه هو حصر الأسباب التى تؤدى إلى تحقيق المماثلة فيما يأتى:

١ – وجود قوة ذاتية فى الصوت المُؤَثِّر تميزه عن مجاوره الذى يتأثر به، وتتحقق هذه القوة:

---

(١) ينظر الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس ١٧٩ – ١٨٤.
(٢) السابق.
(٣) ينظر اللجهات العربية فى التراث ٢٦٦ – ٢٧٣.

(أ) بوجود صفة ذاتية لا يتخلى عنها الصوت كالاستطالة، والتكرير، والصفير، والغنة، واللين، والمدّ.

(ب) بوجود صفة ذاتية يتخلى عنها الصوت أحيانا كالإطباق.

والصوت الذى يتصف بصفة من هذه الصفات يمكن أن يعد صوتًا ممتازاً، أو أكثر مقاومة، أو أكثر استقراراً وثباتا.

٢- وجود قوة فى الصوت بحكم الموقع، كأن يكون الصوت المؤثِّر فى بداية المقطع، فى حين يكون الصوت المتأثر فى نهاية المقطع السابق، وبناء على هذا فهو خاص بالتأثر الرجعى وحده.

٣ - العامل النفسى العضوى، ويختلف معناه فى المماثلة الرجعية عن معناه فى المماثلة التقدمية.

فهو يعنى عندما تكون المماثلة رجعية: الإسراع بحركات النطق عن مواضعها.

ويعنى عندما تكون المماثلة تقدمية: التزام حركات النطق والجمود عليها[1].

٤ - عامل الانسجام بين أصوات اللين: وهذا قد ذكره بمناسبة اختيار أبى عمرو بن العلاء كسر الميم فى (بملكنا) من قوله: ﴿ **مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمِلْكِنَا** ﴾ [طه: ٨٧]. وفتح الغين فى (غرفة) من قوله: ﴿ **إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غَرْفَةً بِيَدِهِ** ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، فقال: إنه اختيار مبنى على قانون الانسجام الشائع فى لهجات البدو الذى يظهر فيه انسجام الحركات المشهور عن تميم؛ لأنهم أهل بداوة ينزعون إلى إحداث هذا الانسجام فى أصوات اللين[2].

وأيضًا وجدنا الدكتور عبد الغفار هلال يتحدث عن المماثلة حديثًا مفصلاً فى كتابه «أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى»، ومن أهم ما ذكره بشأنها ما يأتى:

---

(١) ينظر أثر القراءات فى الأصوات والنحو العربى ٢٣١ - ٢٣٩.

(٢) انظر أثر القراءات فى الأصوات والنحو العربى ٣١٢، ٣١٣، وقارن مع كتاب فى اللهجات العربية د. أنيس ٩٦.

١ - أن المماثلة أحد المظاهر لتجاور الأصوات فى الكلمات، وأن التأثر بالمجاورة يقع بين السواكن، ويقع بين العلل، وقد يقع بينهما معا، ولكن لوضوح التأثر بين السواكن فصّل الباحثون أنواع التأثر فيها، وبينوا اتجاهاته.

٢ - «إذا تواءمت الأصوات المتجاورة مخرجا وصفة سهل نطقها، وتحققت لها السلاسة والانسجام، فلا يتناول التغيير شيئًا منها. أما إذا كانت متنافرة فى ذلك، فإن جهاز النطق يتعثر فى التفوه بها، وهنا يلزم نوع من التغيير فى بعض تلك الصور؛ ليمكن النطق بها دون معاناة أو نفور».

٣ - الموافقة بين الحركات ضرب من تجانس الصوت وانسجامه، يؤدى إلى الإسراع والخفة، وهو منسوب إلى أهل البادية، الذين يقتصدون فى الجهد العضلى، ويعمدون إلى سهولة إخراج الأصوات.

٤ - هذه التغييرات - كما ذكر بعض الباحثين - تحدث بصورة غير واعية، ولا تفطن إليها أذن السامع، ولكنها تظهر بوضوح فى التسجيلات الطيفية[١].

ومنه يتضح أن أسباب المماثلة تنحصر فى شيئين:

أحدهما: العامل العضوى، وهو تعثر الجهاز النطقى فى التفوه بالأصوات المتجاورة المتنافرة.

ثانيهما: العامل النفسى وهو الإسراع والجنوح إلى ما هو أخف، وذلك مألوف فى طبيعة أهل البادية، دون قصد منهم إلى شىء من ذلك.

٥ - لوْ تركت المماثلة تعمل عملها دون عوائق ربما أدى ذلك إلى خلط الأبنية وعدم معرفة أصول الكلمات، فإذا كانت المماثلة تقلل من الخلاف بين الفونيمات، فإن المخالفة الصوتية تستخدم لإعادة الخلافات التى لا غنى عنها، ولإبراز الفونيمات فى صورة أكثر استقلالية[٢].

ويعد من صميم البحث فى المماثلة بين الحركات ما كتبه الدكتور محمد

---

(١) انظر أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى ١٧٥، ١٨٧ ط أولى ١٩٧٩م. وقارن مع دراسة الصوت اللغوى ٣٢٨.

(٢) أبنية العربية فى ضوء على التشكيل الصوتى ١٨٨، ودراسة الصوت اللغوى ٣٣٠.

خاطر فى العدد الثامن من مجلة كلية اللغة العربية فى القاهرة تحت عنوان: «إتباع الحركة فى القراءات»، حيث جمع عدداً كبيراً من القراءات التى وقع فيها إتباع الحركة أو السكون لحركة سابقة أو لاحقة، وكان قد أورد صور الإتباع للفتحة، ثم صور الإتباع للضمة، ثم صور الإتباع للكسرة، مقدمًا فى كل الحالات الصيغة الأصلية، مع نسبتها إلى السورة والآية، ثم يذكر الصيغة الطارئة، مع نسبتها إلى من قرأ بها، وتوثيقها من المراجع الأربعة التى اعتمد عليها، أو من بعضها.

والذى يعنينا هنا اقتناص ما يعد قانونا أو نتيجة لهذه الدراسة، ومن أهم تلك القوانين والنتائج ما يأتى:

١ - ينبغى ألا يحمل على الإتباع (المماثلة) إلا ما اتحد معناه على اختلاف الضبط، أمّا ما اختلف معناه باختلاف الضبط فهو من المتغاير[١].

٢ - الصيغة الأصلية دائمًا هى الأكثر والأخف قياسًا واستعمالاً[٢].

٣ - يؤكد البحث ما قرره المتقدمون من درجات القوة فى الحركات والسكون، فأقواها الضمة، تليها الكسرة، تليها الفتحة، يليها السكون[٣].

٤ - ورود الإتباع فى قراءات قراء تختلف أصولهم القبلية، وتتعدد بيئاتهم الجغرافية والاجتماعية ينفى أن يكون الميل إلى المماثلة أو المضارعة بين الأصوات مقصوراً على البيئة البدوية[٤].

٥ - لا تتضح ولا توجد علاقة بين الحركة ونوع الحرف، سواء نظرنا إلى الحركة التابعة أم إلى الحركة المتبوعة[٥].

---

(١) إتباع الحركة فى القراءات ص ١٥، العدد الثامن (مجلة كلية اللغة بالقاهرة).

(٢) السابق ٢٩.

(٣) السابق ٤٥، وبعض الباحثين يرتبها كذلك بحسب الثقل والخفة: ينظر ٧٤ من خصائص اللغة العربية د. محمد حسن جبل.

(٤) السابق نفسه.

(٥) السابق نفسه، وهذا خلاف ما عليه القدماء والمحدثون، انظر فى ذلك ٢٨٨ القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث.

٦ - السكون - فيما قرر علماء العربية - أخف من الحركات، يليه الفتح، ثم الكسر، ثم الضم، ولذا كان السكون أكثر ويعد أصلا فيما جاء في عينه الحركة والسكون، فإذا عدلوا عن السكون في عين (فَعْل) إلى (فَعَل) كان ذلك لعلة الإتباع (المماثلة) ليكون عمل اللسان وأعضاء النطق من وجه واحد، وعلى وتيرة واحدة[١].

٧ - تقدم الحركة يجعلها أقوى على التأثير في غيرها وإن كان غيرها أقوى منها، فالفتحة الضعيفة إذا تقدمت صارت أقوى من الضمة المتأخرة أو من الكسرة المتأخرة[٢].

٨ - جاء إتباع الضمة السابقة للفتحة اللاحقة، ولم يأت إتباع الكسرة السابقة للفتحة اللاحقة، مما يعني أن الضمة أقرب إلى الفتحة من الكسرة إليها[٣].

٩ - إتباع الفتحة للكسرة أكثر، وإتباع الضمة للكسرة كثير، وأقل منهما إتباع السكون للكسرة[٤].

١٠ - إذا جاز في الإتباع أن يكون لحركة سابقة أو لحركة لاحقة كان الإتباع للسابق أولى لأنه الأكثر في كلامهم[٥].

وسوف نضيف إلى هذا الذي قدمناه شيئا من التقعيد والتقنين أدّى إليه النظر في الشواهد التطبيقية من قراءة يحيى بن وثاب.

* * *

(١) السابق ص ١٤.
(٢) السابق ص ١٩.
(٣) السابق ص ٢٢.
(٤) السابق ص ٣٧.
(٥) السابق ص ٣٨، ٤٥.

التطبيق على المماثلة فى الحركات من قراءة يحيى بن وثاب

١ - شواهد المماثلة الكلية

أولاً: المماثلة فى صيغ الأفعال:

١ - من ذلك الفعل «نعم» من قوله تعالى: ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤].

وقوله تعالى: ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٣٠، ٤٤].

و«نعم» كما ذكر صاحب اللسان: فعل من أفعال المدح، فيه أربع لغات هى:

(أ) نَعِم: بفتح أوله وكسر ثانيه.

(ب) نِعِم: بكسر النون إتباعا لكسرة العين.

(ج) نِعْم: بكسر النون، وإسكان العين تخفيفا.

(د) نَعْمَ: بفتح النون كاللغة الأولى وإسكان العين تخفيفا[١].

وجميع هذه اللغات ورد فى القراءات القرآنية:

● **فاللغة الأولى** من الترتيب السابق (نَعِم) بفتح الأول وكسر الثانى - قرأ بها يحيى بن يعمر فى الرعد وص، وذكر أبو حيان، والسمين الحلبى أنها الأصل[٢]، وقرأ بها ابن عامر وحمزة والكسائى وخلف قوله تعالى فى البقرة: ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ [البقرة: ٢٧١]، وقوله فى النساء: ﴿إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ﴾ [النساء: ٥٨]، بفتح النون وكسر العين مشبعة من (نعما) على الأصل، والفعل كعلم، ووافقهم الأعمش[٣].

● **واللغة الثانية** «نِعِم» بكسر النون وكسر العين قرأ بها **يحيى بن وثاب** آيتى الرعد وص[٤]، وقرأ بها أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو وعاصم

---

(١) بتصرف من اللسان، مادة (نعم).

(٢) البحر المحيط ٦/ ٣٨٢، والدر المصون ٧/ ٤٥، ٩/ ٣٧٤ تحقيق د. أحمد الخراط.

(٣) إتحاف فضلاء البشر ١/ ٤٥٥.

(٤) مختصر فى شواذ القرآن لابن خالويه ص ٧١.

ويعقوب آيتي البقرة والنساء، بكسر النون إتباعا لكسرة العين، وهي لغة هذيل[1].

● **واللغة الثالثة** «نِعْم» بكسر النون وسكون العين قرأ بها الجمهور من القراء آيتي الرعد وص[2]، وهي قراءة أبي جعفر، واليزيدي والحسن[3]، وقد قال عنها أبو حيان إنها الأكثر استعمالاً[4].

● **واللغة الرابعة** «نَعْم» بفتح النون وسكون العين، قرأ بها **يحيى بن وثاب** وحده، قال أبو حيان: وتخفيف (فَعِل) لغة تيمية[5]، وقال السمين الحلبي: إنها تخفيف الأصل، وقال: ولغة تميم تسكين فَعِل مطلقا[6].

وقولهم عن الصيغة الأولى (نعم) كعلم إنها الأصل يستفاد على وجه الضرورة من النظر في كتب اللغة والنحو والصرف؛ لأن الصيغة الأصلية لفعل المدح الثلاثي المجرد لا تخلو من أن تكون على فَعَل بفتح الفاء مع فتح العين أو كسرها أو ضمها، ولم يسمع في الفعل المذكور فتح العين ولا ضمها، فتعين أن يكون فتح الفاء مع كسر العين هو الصيغة الأصلية في فعل المدح.

أما الصيغة الثانية بكسر النون والعين (نِعِم) فهي متفرعة عن الصيغة الأولى الأصلية، وذلك التفريع خاص بما هو حلقي العين عند سيبويه، ذكر ذلك في قوله: (هذا باب الحروف الستة [أي الحلقية] إذا كان واحد منها عينا، وكانت الفاء قبلها مفتوحة، وكان فَعِلاً) ثم قال: إذا كان كذلك كسرت الفاء في لغة تميم، وذلك قولك: ... لِعِب، وضِحِك، ونِغِل، ووِخِم، فيما كان على فَعِل إذا كان صفة أو فعلاً أو اسماً.. فكسرت ما قبل العين حيث لزمها الكسر، وكان ذلك أخف عليهم.. فأرادوا أن يكون العمل من وجه واحد، كما أنهم إذا أدغموا فإنما أرادوا أن يرفعوا ألسنتهم من موضع واحد..، وأما أهل الحجاز فيجرون جميع هذا على القياس[7].

---

(١) اتحاف فضلاء البشر ١/ ٤٤٥.
(٢) الدر المصون ٧/ ٤٥.
(٣) الاتحاف ١/ ٤٥٥.
(٤) البحر المحيط ٦/ ٣٨٢.
(٥) السابق.
(٦) الدر المصون ٧/ ٤٥.
(٧) الكتاب ٤/ ١٠٧، ١٠٨ مع بعض الاختصار.

وإذا كان السابقون قد قرروا أن حرف الحلق يناسبه الفتح، وأنه من « حق الحلقي أن يفتح نفسه أو ما قبله، كما في « يدْعَم » و« يدْمَع »؛ لثقل الحلقي وخفة الفتحة؛ ولمناسبتها له »[1]، فإنهم أنفسهم قد لحظوا أن هذا الحق قد تعطل في لغة تميم التي تكسر النون من (نَعِم) لتصير إلى (نِعِم) بكسرتين؛ لأنهم لو فتحوا العين الحلقية في كل ما جاء على فَعِل لم يبق شيء من فَعِل الحلقي العين مكسور الوسط، ولأدى ذلك إلى التباس صيغة فعِل بكسر العين بصيغة فَعَل بفتح العين[2].

وهنا نلحظ أن القانون السابع الذي نسبناه إلى الدكتور محمد خاطر فيما سبق وهو « الفتحة الضعيفة إذا تقدمت صارت أقوى من الضمة المتأخرة أو من الكسرة المتأخرة »[3]، ليس على إطلاقه، بدليل أنه لم يسمع في اللغات المتقدمة(نَعَمَ) بفتح العين إتباعًا لفتح النون، فالفتحة المتقدمة بحكم الموقع تكون أقوى على التأثير في غيرها من الضم أو الكسر ما لم يمنع من ذلك مانع كان تجور صيغة على صيغة أو تلتبس بها.

ولذا رأينا تميما أو هذيلا – كما سبقت الإشارة إلى ذلك – تنطق بصيغة فعل المدح المذكور (نعم) بكسر النون على سبيل الإتباع لكسرة العين، وهذا بعينه ما يطلق عليه (المماثلة) أي ماثلت حركة النون حركة العين فصارت كسرة مثلها، وبتعبير آخر أثرت كسرة العين في فتحة النون تأثيرًا رجعيًا، فتحولت إلى كسرة مماثلة.

فالكسرة المتأخرة هنا أقوى بحكم تكوينها من الفتحة وإن تقدمت؛ لأن الكسرة تتكون في مقدم اللسان، مع ضيق المسافة بين أعلى نقطة يرتفع إليها اللسان وبين مقدم الحنك الأعلى، دون حدوث الحفيف، وذلك يجعل الهواء الذي يحملها إلى خارج الجهاز النطقي أقوى اندفاعًا، فقوتها تاتي من تكوينها

---

(١) شرح الرضي على الشافية ١ / ٤٠.

(٢) ينظر الكتاب ٤ / ١٠٧، ١٠٨.

(٣) ينظر مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة، العدد الثامن ص ١٩.

فى موقع قريب من نهاية الجهاز النطقى، ومن ضيق المسافة بين عضوى النطق، وعلى العكس من ذلك الفتحة فهى تتكون فى موقع أسبق فى الجهاز النطقى، وتكون المسافة بين عضوى النطق أوسع ما تكون منها فى سائر الحركات والصوامت، هذا ما قرره القدماء وكثير من المحدثين(١).

فعامل القوة فى الكسرة بحكم التكوين عندما يضاف إليه العامل الاحترازى «وهو أمن التباس صيغة أصلية بصيغة أصلية أخرى» يبرر تغلب الكسرة المتأخرة على الفتحة المتقدمة فى لغة تميم وهذيل، وإنما فعلوا ذلك ليحصل نوع من التخفيف والانسجام بالخروج من كسر النون إلى كسر العين فى فعل المدح (نِعِم) الذى جاءت على نهجه قراءة **يحيى بن وثاب** ومن وافقه، لأن اللسان فى نطقه بهذه الصيغة يعمل فى جهة واحدة(٢).

وأما الصيغة الثالثة وهى (نِعْم) بكسر النون وسكون العين، فيجوز أن تكون تفريعا من الصيغة الأولى الأصلية، أى كما قالوا فى شَهِد: شِهْدَ، قالوا فى نَعِمَ: نِعْمَ، نقلوا حركة العين إلى الفاء (فاء الكلمة) وسكنوا العين كراهة الانتقال من الأخف (الفتحة) إلى الأثقل (الكسرة) فى البناء المبنى على الخفة، وهو بناء الثلاثى المجرد، وقالوا بالنقل ولم يقولوا بالحذف لكراهة حذف أقوى الحركتين وهى الكسرة(٣).

ويجوز أن تكون هذه الصيغة (نِعْمَ) تفريعا من الصيغة الثانية (نِعِم)(٤)، أى حدثت المماثلة فى الصيغة الأصلية على نحو ما ذكرناه آنفا، ثم حدث التخفيف بإسكان العين، ويبدو لى أن ذلك هو الأرجح، وأن التطور توالى فى الصيغة الأصلية مرتين: مرة بالمماثلة، ومرة أخرى بالتخلص من حركة العين فصارت العين ساكنة.

---

(١) ينظر السابق ص٤٥، وينظر مربع دانيال جونز فى علم اللغة (القسم الثانى الأصوات) ١٨٣، والأصوات اللغوية د. أنيس ص ٣٣.

(٢) ينظر شرح الرضى على الشافية ٤٠، ٤١، والمغنى فى تصريف الأفعال ٧٤، ٧٥.

(٣) ينظر شرح الرضى على الشافية ٤٢، والمغنى فى تصريف الأفعال ٧٣.

(٤) المغنى فى تصريف الأفعال ٧٣، ٧٤.

وربما كان بلوغ التطور فى هذه الصيغة (نِعْم) إلى أقصى مراحله مبرراً لشيوعها فى اللغة الفصحى وفى اللهجات الحديثة، أما فى الفصحى فيكفى دليلاً على ذلك أن كل كتب اللغة والنحو والصرف عندما عرضت لصيغتى المدح والذم القياسيتين آثرت هذه الصيغة « المكسورة الأول الساكنة الوسط » فى عنوان الباب (باب نِعْم وبئْس)، كما أن الأمثلة الموضحة لأحوال هذا الفعل واستعمالاته تكاد تستأثر بها تلك الصيغة، أما بقية الصيغ فلم تتناول إلا للتنبيه على أنها كانت موجودة فى اللغة المحفوظة عن العرب، أو أنها مازالت موجودة فى مناطق قليلة.

ويرشح كثرة استعمال هذه الصيغة أيضًا كثرة القراء الذين جاءت قراءتهم على نهجها، وهم القراء السبعة وأبو جعفر واليزيدى والحسن، وهذا يعنى أنها أوسع بيئة وانتشاراً، ويدل على ذلك أيضًا أن المراجع العربية على اتساعها لم تنسب هذه الصيغة إلى قبيلة بعينها؛ مما يعنى دورانها على ألسنة العرب فى مختلف البيئات، وعند جميع الطبقات.

ويضاف إلى كل ذلك أنها الصيغة الأكثر استعمالاً فى اللهجات الحديثة، ففى مصر والسعودية وغيرهما من الأقطار العربية يقال فى الثناء على الشخص أو فى المصادقة عليه؛ (ونِعْم)، أى فلان صاحب كذا وكذا من الأخلاق الحميدة، ونِعْم هو، أو نِعْم هى.

يبقى الحديث عن الصيغة الرابعة (نَعْمَ) بفتح النون، وسكون العين، ويبدو أنها فرع عن الصيغة الأولى الأصلية (نَعِمَ) بفتح فكسر، تمّ ذلك بإسقاط الكسرة، فصارت العين إلى السكون، وهذا الطريق مألوف عند العرب فيما ورد من الأسماء على (فَعِل)، قال سيبويه : « هذا باب ما يسكن استخفافا وهو فى الأصل متحرك »، وذلك قولهم فى فَخِذ : فَخْذ .. وهى لغة بكر بن وائل وأناس كثير من تميم[1]، ومألوف أيضًا فيما ورد على (فَعِل) من الأفعال، سواء أكانت العين حلقية أو غير حلقية[2]، يقول سيبويه : « نِعْم وبِئْس » : إنما هما (فَعِلَ)

---

(١) الكتاب ٤ / ١١٣ .

(٢) شرح الرضى على الشافية ١ / ٤١ .

وهو أصلهما، وبلغنا أن بعض العرب يقول: «نَعْمَ الرجل»[١]، والذى حملهم على هذا أنهم كرهوا أن يرفعوا ألسنتهم عن المفتوح إلى المكسور، والمفتوح أخف عليهم، فكرهوا أن ينتقلوا من الأخف (أى الفتح) إلى الأثقل (أى الكسر) فى البناء المبنى على الخفة، أى بناء الثلاثى المجرد، فسكنوه، لأن السكون أخف من الفتح، فيكون الانتقال من الفتح إلى الأخف منه[٢].

وبعض الدارسين يرى أن الصيغة الرابعة قد تطورت عن الصيغة الثانية (نِعِم) بكسرتين، بمعنى أنه «عندما أسكنت العين رجعت إلى الفاء حركتها التى أبدلت قبل لتتبع العين»[٣].

والمرجح عندى أن الصيغة الرابعة تطورت مباشرة عن الصيغة الأولى (نَعِم) بفتح النون وكسر العين؛ يستأنس فى ذلك بقول السمين الحلبى: «إنها تخفيف الأصل»[٤]، ثم بقول ابن منظور: «ولك أن تطرح الكسرة من الثانى، وتترك الأول مفتوحًا، فتقول «نَعْمَ» الرجل بفتح النون وسكون العين»[٥].

ويبدو لى أن هذه الصيغة (نَعْمَ) التى جاءت على نهجها القراءة الثانية ليحيى بن وثاب تلى الصيغة الثالثة – التى جاءت على نهجها قراءة الجمهور من القراء – فى الشيوع والاستعمال فى ألسنة العرب، وبخاصة فى لهجات بكر بن وائل، ولهجات بنى تميم[٦]، قال أبو حيان: «وتميم تسكن عين فَعِل»[٧]، وقال فى موضع آخر: «تسكين عَلِمَ قياس مطرد فى لغة تميم»[٨]، وقال السمين

---

(١) الكتاب ٤ / ١١٦.
(٢) السابق ٤ / ١١٤، وشرح الشافية للرضى ١ / ٤٢.
(٣) اللهجات فى الكتاب لسيبويه – أصواتا وبنية – ص ١٤٧.
(٤) الدر المصون ٧ / ٤٥ تحقيق د. الخراط.
(٥) لسان العرب مادة: (ن ع م).
(٦) ينظر الكتاب ٤ / ١١٣.
(٧) البحر المحيط ٣ / ٣٧٢.
(٨) السابق ٣ / ٧٢٩.

الحلبي: «تسكين فعِل بكسر العين مقيس، وتسكين مفتوحها شاذ، كما في قوله تعالى: ﴿ فِيمَا شَجْرَ بَيْنَهُمْ ﴾[١]، بإسكان الجيم فيما قرأ به أبو السمال[٢].

وربما دلَّ على شيوع تلك الصيغة في كلام بكر وتميم وجود نظائر لها في أحرف أخرى وردت بها القراءات القرآنية، منها:

● قراءة آية البقرة (٢٥٥): ﴿ وَسْعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ ﴾ بإسكان السين من الفعل (وَسِعَ)[٣].

● وقراءة آية آل عمران (١٤٦): ﴿ فَمَا وَهْنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ بإسكان الهاء من (وهنوا)، وهي قراءة عكرمة وأبي السمال[٤].

● وقراءة آية النساء (٨٣): ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلْمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ بإسكان اللام من (لعلْمه)، وهي قراءة أبي السمال[٥].

ومن نظائرها التي ورد بها الشعر العربي قول الأخطل[٦]:

فإن تبله يضجر كما ضجْر بازلٌ   من الإبْل دَبْرتْ صفحتاه وغاربُهْ

حيث أسكن الشاعر الجيم من (ضَجِر)، والباء من (دَبِرَتْ) جريا على على نهج بني تميم في صيغة (فَعِل)، حيث أثر عنهم إسكان العين، فالأخطل جرى في هذا البيت على لهجة قومه؛ لأنه من بني الفَدَوْكس إحدى بطون تغلب ابن وائل بن قاسط من تميم[٧].

---

(١) الدر المصون ٢ / ٤٠٢، والآية رقم ٦٥ من النساء.

(٢) البحر المحيط ٣ / ٦٩٥.

(٣) البحر المحيط ٢ / ٦١٢، الدر المصون ١ / ٦١٥ ط / ١٩٩٤م.

(٤) البحر المحيط ٣ / ٣٧٢، الدر المصون ٢ / ٢٢٩ ط / ١٩٩٤م.

(٥) البحر المحيط ٣ / ٧٢٩، الدر المصون ٢ / ٤٠٢ ط / ١٩٩٤م.

(٦) ينظر الكامل للمبرد ٣ / ٩٥ ط دار الفكر بدون تاريخ، والموضعين السابقين من البحر والدر.

(٧) ينظر الاشتقاق لابن دريد ٣٣٨.

وخلاصة القول تتضح من النظر فى الجدول الآتى:

الصيغة	أصل أم فرع	طريق التغيير فيها	أصحابها	عدد المقاطع	عدد القراء
نَعِمَ	أصل	ـــــــــــ	الحجازيون(1)	٣	٦
نِعِمَ	فرع	المماثلة	تميم وهذيل	٣	٧
نِعْمَ	فرع	التخفيف	تميم	٢	١٠
نَعْمَ	فرع	التخفيف	تميم	٢	

٢ – ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿ اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾ [طه: ٤٢].

قرأها يحيى بن وثاب: «ولاتِنيا» بكسر التاء إتباعا لحركة النون(٢).

والإتباع كما أشرنا هو مصطلح القدماء، ويطلق عليه المحدثون المماثلة، وهى هنا مماثلة رجعية، حيث أثَّرت الكسرة التى تلى النون فى الفتحة المتقدمة التالية للتاء، فجذبت الكسرة الفتحة إليها، فصارت التاء مكسورة مثل النون، ويطلق عليها مماثلة تباعدية لوجود الفاصل بين الحركتين وهو حرف النون.

وليس بمستغرب أن يكون كسر التاء هنا من قبيل المماثلة ومن قبيل المضارعة أيضا؛ فهذا يحدث أحيانا كما فى آية طه المذكورة، وكما فى آية الفاتحة ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، التى قرأها عبيد بن عمير الليثى، وزر بن حبيش، ويحيى بن وثاب، والنخعى، والأعمش – بكسر النون، فهو من قبيل المضارعة التى تعنى كسر حرف المضارعة فى ألسنة بعض العرب، مثل تميم وقيس وأسد وربيعة وهذيل(٣)، وهو (أى كسر النون) من قبيل المماثلة أيضا، حيث أثرت الكسرة الطويلة المتأخرة (أى كسرة العين) على فتحة النون المتقدمة فجذبتها إليها على سبيل المماثلة الرجعية.

---

(١) قال الرضى فى شرح الشافية ١ / ٤٠ وجميع هذه التفريعات فى كلام بنى تميم، أما أهل الحجاز فلا يغيرون البناء ولا يفرعون أهـ.

(٢) مختصر فى شواذ القرآن ٩٠، البحر الميحط ٧ / ٢٣٦، الدرّ ٨ / ٤٠ وهى غير منسوبة فى الكشاف ٢ / ٥٣٨.

(٣) ينظر المحتسب ١ / ٣٣٠، واعراب القرآن ١ / ١٧٣، والبحر المحيط ١ / ٤١.

هذا الاتفاق في الموضع يحدث أحيانًا كما أشرنا، ولا يحدث في أحايين كثيرة، وذلك واضح من قراءة زيد بن علي ويحيى بن وثاب وعبيد بن عمير الليثي لقوله ﴿إِيَّاكَ نِعْبُدُ﴾ بكسر النون[1]، إذ يفسر بالمضارعة ولا يفسر بالمماثلة وقد رأينا في القراءتين (تِنيا – نِستعين) أن الفتحة وإن تقدمت في الموقع لم تقو على التأثير في الكسرة المتأخرة، وإنما الذي حدث هو العكس، حيث أثرت الكسرة المتأخرة على الفتحة فجذبتها إليها؛ لأن الكسرة أقوى بحكم التكوين في الجهاز النطقي من الفتحة، وقد شرحنا ذلك فيما سبق؛ يضاف إلى ذلك أن الفتحة وقعت في موقع من مواقع التّخلي عنها للكسرة في ألسنة القبائل التي سبق ذكرها، وهو اقترانها بحرف المضارعة، فذلك يجعلها عرضة للتغيير عند من ألفوا كسر أحرف المضارعة في لهجتهم.

والآن يجوز لنا أن نصوغ هذه العبارة لتكون في موضع الاختبار، فإذا لم يُصادمها شيء مما أثر من كلام العرب أصبحت قانونا، فنقول:

«الفتحة المتقدمة الواقعة بعد حرف من حروف المضارعة لا تقوى على التأثير في الكسرة المتأخرة عنها».

هذا والعامل النفسي العضوي الذي هو الإسراع في النطق بالحركات عند البدو[2] قد تسبب هنا أيضًا في انتقال الفتحة من موضعها في اللسان إلى موضع الكسرة؛ بحيث تتوافق الحركتان في الجزء الذي يرتفع من اللسان، وفي درجة ارتفاعه، وفي الفراغ بينه وبين الحنك الأعلى، وفي شكل الشفتين، وإنما كان ذلك سمة من سمات البدو لما عرف عنهم من الميل «إلى تقريب الأصوات بعضها من بعض لضرب من التشاكل ومراعاة الانسجام، بحيث يعمل اللسان في الصوتين عملا واحداً»[3].

(١) السابق من البحر المحيط.

(٢) انظر أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ٢٣١ – ٢٣٩.

(٣) اللهجات العربية في التراث ٢٧٣ مع تصرف يسير.

ثانيًا : المماثلة فى صيغ الأسماء :

١ - فيما جاء على صيغة (فَعْل) :

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ [النحل : ٦٨].

المراد من النّحْل ذباب العسل، وسمى نحلاً لأن الله عز وجل نحل الناسَ العسلَ الذى يخرج من بطونها، وهو من الأسماء التى تذكر وتؤنث، والتأنيث فيه لغة أهل الحجاز، فمن ذكره فلأن لفظه مذكر، ومن أنثه فلأنه جمع نحلة[١].

ولفظة (النَّحل) المذكورة فى الآية قرأها الجمهور من القراء بفتح النون المشددة وسكون الحاء، وقرأها يحيى بن وثاب بفتحتين[٢].

وعلى هذا تكون هذه الكلمة مما ورد فى اللغة على (فَعْل وفَعَل) بسكون العين وفتحها، والمعنى متحد[٣].

وإذا عقدنا مقارنة بين السكون وبين مطلق الحركة وجدنا أن السكون أخف من سائر الحركات، وأنه يؤدى وظيفة صوتية فيكون علامة على غلق المقطع الصوتى، وعلى الوقف، وعلى خُلوّ الحرف من الحركة، وأنه «وحدة فى النظام الصوتى يقف فى مقابل الحركة أيا كانت، فهو قيمة خلافية[٤]، علاقتها بالحركة علاقة الإيجاب والسلب[٥].

وقد جعلوا السكون أصلا فيما جاء فى عينه الحركة والسكون كلفظة (النَّحْل) السابقة لأنهم وجدوا الألفاظ التى جاءت على (فعْل) بسكون العين أكثر كثيرا مما جاء على (فعَل) بفتحها، ولذا كان العدول عن أخف الأبنية إلى

---

(١) ينظر اللسان مادة (نحل)، والبحر المحيط ٦ / ٥٥٩، والدر المصون ٧ / ٢٦٢.

(٢) المختصر فى شواذ القرآن لابن خالويه ٧٧، والكشاف ٢ / ٤١٧، والبحر المحيط ٦ / ٥٥٩ والدر المصون ٧ / ٢٦٢، وتفسير القرطبى ١٠ / ١٣٣، وفتح القدير ٣ / ١٧٥.

(٣) إتباع الحركة فى القراءات ١٣، ١٤، العدد الثامن من مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة.

(٤) اللغة العربية معناها ومبناها ٢٩٥، والجانب الصوتى للوقف فى العربية ولهجاتها ٤١.

(٥) ينظر أثر القراءات فى الأصوات والنحو العربى ٣٧٧.

ما دونه فى الخفة، وعن أشيعها فى كلامهم إلى ما هو أقل منه محتاجا إلى سبب قوى لهذا العدول[١].

وهذا السبب يتلخص فى أمرين:

الأول: هو أن الفتحة أقوى من السكون لكونها أمرًا وجوديًا له قياس وله مخرج، بينما السكون أمر عدمى لا قياس له ولا مخرج[٢].

الثاني: هو تقدم الفتحة فى الموقع، وذلك يمنحها مزيداً من القوة على التأثير فى اللاحق لها، فأحالت السكون الذى هو قيمة خلافية سالبة إلى قيمة إيجابية مماثلة وهى الفتحة التالية للعين.

وهذا النوع من التأثير يعرف بالتأثير التقدمى أو بالمماثلة التقدمية، حيث أثر الأول فى الثانى.

وقد أجاز الكوفيون طرد هذه المماثلة فى كل ما جاء على (فَعْل) بسكون العين، وكانت عينه حرفا من حروف الحلق، فيجيزون فيه فتح العين، فيقولون: النّحْل والنَّحَل، والنَّهْر والنَّهرَ، والشَّعْر والشَّعَر، والصَّخْر والصَّخَر[٣]. ومن هذا القبيل أيضًا: اللغْط واللغَط، والسَّحْر والسحَر، والفَحْم، والفَحَم، والبَعْر والبَعَر، والَظعْن والظعَن، والدأْبُ والدأَب[٤].

وقد اختلفت المذاهب فى الحكم على هذا النوع من الكلمات، فالكوفيون – وعلى رأسهم الفراء – يجعلون الفتح والإسكان فى العين من باب تعاقب اللغات أو اختلاف اللهجات[٥]، والبغداديون – ويؤيدهم ابن جنى والرضى – يجعلون الفتح أثرا من آثار حروف الحلق[٦]، فالحرف الحلقى من حقه عندهم أن يفتح نفسه كما فى الأمثلة السابقة، وأن يفتح ما قبله كما فى قَرْح وقَرَح، وصدْع

---

(١) ينظر إتباع الحركة فى القراءات ١٤ (مجلة كلية اللغة العربية فى القاهرة) العدد ٨.

(٢) ينظر أثر القراءات فى الأصوات والنحو العربى ٣٧٧، والجانب الصوتى للوقف ٤٣.

(٣) ينظر المحتسب ١/ ٨٤، ١٦٧، ٢٣٤.

(٤) المخصص لابن سيده (١٥/ ٨٠).

(٥) السابق ١٥/ ٨١.

(٦) المحتسب ١/ ٨٤، ١٦٧، ٢٣٤، وشرح الرضى على الشافية ١/ ٤٠.

وصدَع، وشمْع وشَمَعَ، واللطْع واللطَع، والشّبْح والشَّبَح، وأن يفتح ما بعده كما في الحلْب والحلَب، والحفْر والحفَر، والعَيْب والعيَب، والعذْل والعذَل[1].

وقد صرح ابن جني بأنه يرى رأى البغداديين في أن فتح العين له علاقة بالحرف الحلقى، فيكون أثراً من آثار حرف الحلق، ويكون في ذات الوقت لهجة لقوم معينين، ويرى أن ذلك كان شائعاً في لهجة عُقَيْل، مطردا في كلامهم، وأنه كان ينطق كلهم أو بعضهم (نحَوه)، و(اللحَم) بفتح الحاء منهما، وقد يفتحون الحلقى وإن لم يكن في موضع العين من الكلمة، فقد قالوا: (محَموم) بفتح الحاء أيضاً[2].

لكن الذى ينبغى التنبيه عليه هو أن فتح العين مما جاء على (فَعْل) الساكن الوسط ليس وقفا على الصيغ التى اشتملت على حروف الحلق، بل إن معظم ما جاء على (فَعْل وفعَل) في لسان العرب مما يجوز فتح عينه وإسكانها ليست العين فيه حرفا من حروف الحلق[3] مما يدل على أنه لا فرق بين ما مضى من أمثلة وبين غيرها، كالقدْر والقدَر، والسَّطْر والسَّطَر، والنَّفْر والنَّفَر، والقط والقطَط، والشَّبْر والشبَر، والطَّرْد والطَّرَد، والشلّ والشلَل، والدَّرْك والدَّرَك، والقَرْس والقَرَس، واليَبْس واليَبس[4].

وخلاصة القول في ذلك أنه يحكم على ما فتحت عينه من الأمثلة السابقة مما لم يشتمل على حرف من حروف الحلق بأنه من باب المماثلة التقدمية التى تأثرت فيها القيمة الخلافية السالبة (السكون) بالقيمة الإيجابية المتقدمة وهى الفتحة، فصار السكون إلى فتحة مماثلة.

ويحكم على ما فتحت عينه مما اشتمل على حرف الحلق فاء أو عينا أو لاماً

---

(١) انظر نفس الصفحات من المحتسب والمخصص، واللهجات العربية في التراث ص٢٦٣ – ٢٦٥.

(٢) الصفحات السابقة من المحتسب.

(٣) ينظر الإحصاء الدال على ذلك في رسالة الدكتوراه للأستاذ الدكتور محمد خاطر، «دراسة في الصيغ العربية ص ٧٠٦ وما بعدها.

(٤) تنظر هذه الأمثلة في إصلاح المنطق ٩٥ – ٩٧، وفي أدب الكاتب ٥٢٦ – ٥٢٧.

بأنه إلى جانب كونه من المماثلة يحقق نوعًا من المناسبة بين الصامت (حرف الحلق) وبين الصائت وهو الفتحة[1].

أما تفسير هذه المناسبة فهو أن وضع اللسان والشفتين عند تكوين حروف الحلق يكون مناسبًا لوضعهما عند خروج الفتحة، حيث يكون اللسان مع الفتحة مستويا فى قاع الفم تقريبًا، وتكون الشفتان فى حال وسطى بين الانفراج والاستدارة، « وأصوات الحلق بعد صدورها من مخرجها الحلقى تحتاج إلى إتساع فى مجراها بالفم، وألا يكون هناك ما يعوق هذا المجرى فى زوايا الفم، ولهذا ناسبها من أصوات اللين أكثرها اتساعا وهى الفتحة[2]، يضاف إلى ذلك أن حروف الحلق صعبة فى إخراجها وتكوينها؛ لكون الحلق عضلة غير مرنة ولكونها من أدخل الحروف فى جهاز النطق، وهذا يناسبه أن تكون الحركة المصاحبة من أخف الحركات، وذلك متحقق فى الفتحة التى ينساب معها الهواء فى جوف الحلق والفم انسيابًا لا يحدث مع غيرها[3].

ولنا بعد ذلك أن نقول عن تلك المناسبة إنها علة مرشحة لحدوث المماثلة فيما كان على (فَعْل)، وكان أحد حروفه من حروف الحلق، أما العلة الأساسية فى حدوثها فهى وجود الفتحة المتقدمة الواقعة بعد الفاء فى تلك الصيغة، وهى علة كافية لتحقيق المماثلة فيما لم يشتمل على حرف الحلق كما ذكرنا.

٢ - المماثلة فى اسم العدد (عشرة) :

من ذلك قوله تعالى : ﴿ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾ [البقر: ٦٠].

وقوله تعالى : ﴿ وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ﴾ [الأعراف : ١٦٠].

قرئت لفظة (عشرة) من الآية الأولى بكسر الشين، ونسبت القراءة بذلك

---

(١) انظر ٢٨٩ القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث.

(٢) فى اللهجات العربية د. إبراهيم أنيس ص ١٧٠ ط ١٩٧٣ الرابعة.

(٣) ينظر اللهجات العربية فى التراث ص ٢٦٣، والقراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث ٢٨٨ وما بعدها.

إلى مجاهد، وطلحة، وعيسى، ويحيى بن وثاب، وابن أبى ليلى، ويزيد، وروى ذلك نعيم السعيدى عن أبى عمرو[١].

وقرأ الآية الثانية الأعمش، وابن وثاب، وطلحة بن سليمان (عشرة) بكسر الشين.

وقد روى عنهم فتحها أيضاً.

ووافقهم على الكسر فقط أبو حيوة، وطلحة بن مصرف[٢].

وأما إسكان الشين من (عشرة) فى الآيتين فهو قراءة القراء السبعة باتفاق[٣] وروى عن الأعمش، والمطوعى[٤].

ونسبت لغة الكسر إلى بنى تميم[٥]، قال أبو حيان: وكسرهم لها نادر فى قياسهم؛ لأنهم يخففون (فَعِلاً)، يقولون فى نَمِر: نمْراً[٦].

ونسبت لغة الإسكان إلى أهل الحجاز[٧]، قال أبو جعفر النحاس: وهذا عجيب؛ لأن لغة تميم (عشِرة) بالكسر وسبيلهم التخفيف، ولغة الحجاز (عشْرة) بالسكون وسبيلهم التثقيل[٨].

---

(١) البحر المحيط ١ / ٣٧٠.

(٢) الدر المصون ٥ / ٤٨٧، ونسبت القراءة بكسر الشين إلى يحيى بن وثاب والأعمش وطلحة بن سليمان فى المحتسب ١ / ٢٦١، وزاد عليهم أبو حيان فى البحر ٥ / ١٩٨ طلحة ابن مصرف، وأبا حيوة، ونسبها البنا الدمياطى فى الاتحاف ٢ / ٦٥ إلى المطوعى.

ونسبت القراءة بفتح الشين فى المحتسب ١ / ٢٦١ إلى طلحة بن سليمان - بخلاف ونسبها أبو حيان فى البحر ٥ / ١٩٨ إلى ابن وثاب والأعمش وطلحة بن سليمان، ونسبها ابن منظور فى اللسان ٤ / ٢٩٥٢ إلى الأعمش، ومثله السمين فى الدر ١ / ٢٣٧ ط أولى ١٩٩٤م.

(٣) البحر المحيط ١ / ٣٦٩، ٥ / ١٩٨، والفتوحات الإلهية ٢ / ٢٠٠.

(٤) البحر المحيط ١ / ٣٧٠، وإتحاف فضلاء البشر ٢ / ٦٥.

(٥) البحر المحيط ٥ / ١٩٨، والدر المصون ١ / ٣٨٦، ٥ / ٤٨٧، وإعراب القرآن لأبى جعفر النحاس ١ / ١٨٠، ولسان العرب ٤ / ٢٩٥٢ (عشر).

(٦) البحر المحيط ١ / ٣٧٠.

(٧) المثبت فى الهامش قبل السابق، والكتاب ٣ / ٥٥٧، ٥٥٩، والمحتسب ١ / ٨٥، ٢٦١ والمخصص ١٧ / ١٠٢، والمزهر ٢ / ٢٧٥، والإتحاف ٢ / ٦٥، وشرح الأشمونى ٤ / ٦٧.

(٨) الدر المصون ١ / ٢٣٧ الطبعة الأولى ١٩٩٤م.

ولم يخالف فى نسبة الكسر إلى تميم والإسكان إلى الحجازيين إلا أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي فى كتابه مجالس العلماء، فقد نقل عن بعض النحويين (ولم يسمهم) أن أهل الحجاز يقولون : إحدى عشَرة، وتميم تسكن الشين فتقول : إحدى عشْرة، وقد قرئ بهما[1].

وأما فتح الشين من المركب العددى الذى للمؤنث فقد نسبه السيوطى إلى بعض بنى تميم، وعزاه إلى يونس بن حبيب فى نوادره[2].

قال أبو حيان : قال الزمخشرى : الفتح لغة، وقال ابن عطية : هى لغة ضعيفة، وقال المهدوى : فتح الشين غير معروف[3].

وقال الأزهرى : وأهل اللغة والنحو لا يعرفون فتح الشين فى هذا الموضع[4].

وربما كان مراد الأزهرى أن فتح الشين فى المركب العددى للمؤنث لم يشتهر ولم يصل إلى حد المتعارف عليه، وهو لغة نادرة، قليلة الشيوع، وليس مراده أنه لم يرد فى اللغة أصلاً؛ لأن القراءة الشاذة قد وردت به، ولا خلاف بين العلماء فى أنها تَثبت بها اللغة[5].

ويذهب بعض المحدثين إلى أن اللغات الثلاث التى ذكرناها فى المركب العددى الذى للمؤنث (وهو إحدى عشرة وتسع عشرة وما بينهما) كانت

---

(١) مجالس العلماء ١٩٠ ط - الثانية ١٩٨٣م مطبعة المدنى.

(٢) المزهر ٢ / ٢٧٥، وقارن مع شرح الأشمونى ٤ / ٦٧.

(٣) البحر المحيط ١ / ٣٧٠.

(٤) نقل ذلك ابن منظور فى اللسان ٤ / ٢٩٥٢ (عشر)، والمثبت فى المطبوع من تهذيب اللغة ١ / ٤٠٧ « وتقول فى المؤنث إحدى عَشَرَة، ومن العرب من يكسر الشين فيقول عَشِرة، ومنهم من يسكن الشين فيقول : إحدى عَشْرَة . . » ونص كلامه فى معانى القراءات له ١ / ١٥٢، ١٥٣ : « اتفق القراء على تسكين الشين من « عَشْرَة » ها هنا وهى اللغة العالية الفصيحة، وفيها لغة أخرى « عَشِرَة » بكسر الشين، وقد قرأبها بعض القراء وهى قليلة، وأما عَشَرة (بفتح الشين) فى مثل هذا الموضع فإن أهل اللغة لا يعرفونها، وقد قرأبها الأعمش، والعرب لا تعرفها، والقراءة المختارة (عشْرة) بسكون الشين أ هـ ».

(٥) ينظر مقدمة المحتسب ١ / ٣٢، ٣٣، والنشر ١ / ١٠، ١٦، ٣٦.

موجودة فى اللغات السامية، وأن السريانية كانت تسكن الشين من (عشرة)، وأن الحبشية – وقريب منها العبرية – كانت تنطقها بالفتح، بينما كانت الأكادية تنطقها بالكسر[1].

وإذا كان من الصعب الحكم على واحدة من تلك اللغات بأنها الأصل فقد وجدنا الأشمونى فى شرحه على الألفية قد جزم بأن الفتح (لغة بعض تميم) هو الأصل[2]، بينما أكد بعض المحدثين على القول بأن لهجة أهل الحجاز التى تسكن الشين هى الأصل الموروث عن السامية الأمّ، وأن الكسرة فى الشين على لهجة بنى تميم من قبيل اجتلاب الحركة، وهو ما يسمى بالقلقلة[3].

ونحن نذهب مذهب المحدثين فى القول بأن الصيغة الحجازية هى الأصل؛ لأن لهجة أهل الحجاز التى تسكن الشين من المركب العددى للمؤنث كانت – ومازالت – هى الأكثر والأفشى فى الاستعمال، وهى اللغة التى جرت على نهجها قراءة الجمهور[4]، يضاف إلى ذلك أنها الصيغة الأخف على اللسان؛ لأن سكون الشين يعدّل من توالى الحركات فى المركب العددى الذى هو كالكلمة الواحدة.

وإذا صح هذا يمكن القول بأن لهجة بعض تميم التى تفتح الشين قد تطورت عن لهجة أهل الحجاز على سبيل المماثلة التقدمية، حيث أثرت فتحة العين على السكون الذى هو قيمة خلافية سالبة فحولته إلى قيمة إيجابية مماثلة، ففتحت الشين حتى يعمل اللسان عملاً واحداً.

والفتحة كانت الأقوى بحكم كونها قيمة إيجابية، ثم بحكم موقعها المتقدم، يضاف إلى ذلك العامل النفسى العضوى، الذى يعنى الجمود على الحركة المتقدمة والالتزام بها فيما بعدها[5].

---

(١) لهجة تميم: دراسة تاريخية وصفية ٢٩٤.

(٢) شرح الأشمونى ٤ / ٦٧.

(٣) انظر الأصل والهامش من اللهجات العربية فى التراث ٢٤٨.

(٤) البحر ٥ / ١٩٨، الإتحاف ٢ / ٦٥.

(٥) انظر على الترتيب اللغة العربية معناها ومبناها ٢٩٥، والجانب الصوتى للوقف فى العربية ولهجاتها ٤١، العدد الثامن من مجلة كلية اللغة بالقاهرة (إتباع الحركة فى القراءات ص١٩، وأثر القراءات فى الأصوات والنحو العربى ٢٣١ – ٢٣٩.

وعلى ذلك تفسر قراءة يحيى بن وثاب والأعمش وطلحة بن سليمان والجحدرى وابن الفضل الأنصارى (اثنتى عشرة أسباطا أمما) بفتح الشين من عشرة[١].

أما لهجة عامة بنى تميم وهى كسر الشين فى « إحدى عشِرة وتسع عشِرة » وما بينهما فتمثل التطور الثانى عندهم، ويمكن تفسيرها بحدوث المخالفة الصوتية، « وهى تعديل الصوت الموجود فى سلسلة الكلام بتأثير صوت مجاور، ولكنه تعديل عكسى يؤدى إلى زيادة مدى الخلاف بين الصوتين[٢]، وهذه المخالفة ضرورة لتحقيق التوازن، وتقليل فاعلية عامل المماثلة[٣].

وهذا معناه أن معظم بنى تميم حوّلوا فتحة الشين التى كان ينطق بها بعضهم إلى حركة مخالفة للفتحات السابقة عليها وللفتحات التالية لها، والذى مهد لحدوث هذه المخالفة ورشح وقوعها فى هذا الموقع هو أن الفتحة القصيرة عقب الشين كانت قد توسطت بين فتحتين قويتين، أولاهما - فتحة العين، وهى قوية بحكم تقدمها فى الموقع على فتحة الشين، والثانية - فتحة الراء، وهى قوية لتحصنها بحرف قوى وهو الراء المتصفة بالتكرير، فكأنها فتحة مكررة أيضاً.

وهذه المخالفة تهدف إلى أمرين :

أولهما : يتعلق بالجانب العضوى، وهو تيسير جانب النطق باللفظ عن طريق « تجنب النطق بمجموعة مصوتات متحدة الطابع متواصلة[٤].

وثانيهما : يتعلق بالجانب الدلالى، وذلك أن الكسرة بعد الشين على هذه اللهجة تنبىء عن أن هذه الصيغة خاصة بالمؤنث؛ لأن هذه اللهجة غير واردة على الإطلاق مع صيغ المركب العددى للمذكر (أحد عشر وأخواته)[٥] فهى

---

(١) البحر المحيط ٥ / ١٩٨، والدر المصون ١ / ٣٨٦، ٥ /٤٨٧ .

(٢) دراسة الصوت اللغوى د. أحمد مختار ٣٢٩ .

(٣) السابق ٣٣٠ .

(٤) العربية الفصحى نحو بناء لغوى جديد، الأب هنرى فليش ٤٨ ط أولى ١٩٦٦م

(٥) يستفاد ذلك من خلال الأمثلة التى ذكرها سيبويه فى الكتاب ٣ /٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩ .

تحمل دلالة التفريق بين الصيغ التى للمؤنث، والصيغ التى للمذكر، وذلك بوجود الكسرة فى الأولى، وعدم وجودها فى الثانية(١).

وعلى ذلك النهج تفسر قراءة يحيى بن وثاب والأعمش وطلحة بن سليمان لقوله: ﴿ وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشِرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ﴾ [الأعراف: ١٦٠] بكسر الشين من عشرة، وهى أيضًا قراءة أبى حيوة، وطلحة بن مصرف والمطوعى(٢).

هذا وقد تنبه كثير من علماء العربية إلى أن نسبة التسكين إلى أهل الحجاز فى الشين من المركب العددى للمؤنث، ونسبة التحريك إلى بنى تميم هو « عكس ما عليه لغة أهل الحجاز وبنى تميم؛ لأن أهل الحجاز فى غير هذا يشبعون عامة الكلام [أى يحركون]، وبنو تميم يخففون [أى يسكنون الوسط](٣).

وكان ابن جنى قد سبق ابن سيده إلى هذه الملحوظة، فذكر أن « القبيلتين جميعًا فارقتا فى هذا الموضع من العدد معتاد لغتهما، وأخذت كل واحدة منهما لغة صاحبتها، وتركت مألوف اللغة السائرة عنها، فقال أهل الحجاز « اثنتا عشْرة » بالإسكان، وقال التميميون « عشِرة » بالكسر؛ وسبب ذلك أن العدد موضع يحدث معه ترك الأصول، وتضم فيه الكلم بعضه إلى بعض، وذلك من « أحد عشر إلى تسعة عشر »(٤) فلما فارقوا أصول الكلام من الإفراد وصاروا إلى الضم، فارقوا أيضًا أصول أوضاعهم ومألوف لغاتهم، فأسكن من كان يحرك، وحرك من كان يسكن(٥).

---

(١) يؤيد هذا الكلام حديث ابن جنى فى المحتسب ١ / ٢٦٣ سطر ١١ وما بعده، إذْ يقول: إن فتح الشين خاص بصيغة واحدة بعينها من بين صيغ المركب العددى الذى للمؤنث، وهى (اثنتا عشرة) و(اثنتى عشرة)؛ حيث إن الصدر منهما يختص بالتأنيث، و(عشرة) بفتح الشين تختص بالتذكير، وكل واحد من هذين يدفع صاحبه، ولذا جاءت الآية ﴿اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾ وكانت الأسباط مذكرة، والأمم مؤنثة، انتهى بتصرف.

(٢) المحتسب ١ / ٢٦١، والدر المصون ٥ / ٤٨٧، والاتحاف ٢ / ٦٥.

(٣) المخصص لابن سيده١٧ / ١٠٢.

(٤) هكذا أثبت المركب العددى فى المطبوع من المحتسب ١ / ٢٦٢، وأرى أن الأصوب من إحدى عشرة إلى تسع عشرة »؛ لأن الكلام عن المركب العددى للمؤنث، وهو فى التعليق على آية الأعراف ١٦٠ ﴿ وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ﴾.

(٥) المحتسب ١ / ٢٦١، ٢٦٢.

٣ – المماثلة فيما جاء على صيغة (فُعْل):

- من ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ [الكهف: ٧٣].
- وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ [الكهف: ٨٨].
- وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا﴾ [آل عمران: ٤١].

الكلمتان ﴿يسْرا﴾ و﴿عُسْرًا﴾ اللتان زيلت بهما الآيتان الأوليان – مصدران للثلاثى المجرد، قال الفيومى: عَسُر الأمر عُسْرًا مثل قرب قربا، وعسارة بالفتح، فهو عسير، أى صعب شديد[١].

وقال أيضًا: يَسُرَ يُسْرًا من باب قَرُبَ، فهو يسير أى سَهْل[٢].

وضبط الكلمتين بضم الفاء وسكون العين فى كتب اللغة يدل على أصالة سكون العين فى القياس الصرفى.

وإسكان العين منهما فى قراءة الجمهور من القراء[٣] يدل على فشوّ هذه الصيغة فى الاستعمال.

أما ضم السين منهما «عُسُر ويُسُر» فقد قرأ به أبو جعفر المدنى، وعيسى ابن عمر، ويحيى بن وثاب[٤].

وتفسر قراءة ابن وثاب ومن معه بوقوع المماثلة الصوتية التقدمية، حيث أثر الأول وهو الضم لكونه قيمة إيجابية فى الثانى وهو السكون لكونه قيمة خلافية سالبة، فتحول الأخير إلى ضمة مماثلة للأولى، تحقيقًا لمبدأ الانسجام الصوتى.

---

(١) المصباح المنير ٤٠٩ (عسر).

(٢) السابق ٦٨٠ (يسر).

(٣) انظر البحر المحيط ٧/ ٢٠٧، ٢٢٣، وتفسير القرطبى ١١/ ٢٣.

(٤) المختصر فى شواذ القرآن لابن خالويه ٨٤، ٨٥، وفى البحر المحيط ٧/ ٢٠٧، ٢٢٣، والدر المصون ٧/ ٥٤٣، وينسب الضم فيهما إلى أبى جعفر حيث وردا.

وكانت الضمة الأقوى بحكم تكوينها، وتقدم موقعها فى الصيغة، وصفتها الوجودية، يضاف إلى ذلك العامل النفسى العضوى الذى هو الجمود على الحركة المتقدمة والالتزام بها[١].

● والآية الثالثة قرأها يحيى بن وثاب، وعلقمة بن قيس: «إلا رُمُزًا»[٢] بضم الراء والميم[٣].

وأصل هذه الكلمة فى هذه القراءة ضم الراء وسكون الميم، وهى تحتمل أن تكون اسما للإشارة وما فى معناها، أو مصدراً سماعيًا، كشكر يشكر شكراً، وتحتمل أن تكون جمعا لرمزة كبُسْرة وبُسْرٍ[٤].

وأيا ما كان الأمر فقد وقعت فيها المماثلة التقدمية على النحو الذى سبق قبل قليل والهدف منها هو تحقيق نوع من الانسجام الصوتى بين الحركات المتوالية فى الكلمة الواحدة.

ونحن لا نشك لحظة فى أن أهل الحجاز كانوا يحافظون على سكون العين فيما كان الأصل فيه سكون العين مما جاء على (فُعْل)؛ لأنهم أهل تأن وتؤدة؛ ولأنهم يعطون كل حرف حقه من التحريك والتسكين، أما البدو وهم أهل تغيير فنراهم فى بعض الأحيان يُؤثرون الحركة على السكون، وقد كان بنو أسد يفعلون ذلك فيما جاء على «فُعْل» بسكون العين، صرح بذلك الفيومى وقرره فى قوله: «كل اسم ثلاثي على فُعْل بضم الفاء وسكون العين فبنو أسد يضمون العين إتباعاً للأول، نحو عُسُرٍ ويُسُرٍ»[٥].

---

(١) ينظر: إتباع الحركة فى القراءات ٤٥، والجانب الصوتى للوقف ٤١، وأثر القراءات فى الأصوات والنحو العربى ٢٣١ - ٢٣٩.

(٢) الرّمز بفتح فسكون على قراءة الجمهور معناه: تحريك الشفتين، أو إشارة باليد والرأس، أو إيماء، أو إشارة بالعين، أو بالإصبع المسبحة، أو باللسان، وقيل هو الكتابة على الأرض، وقيل هو الصوت الخفىّ، بتصرف من البحر المحيط ٣ / ١٤٠.

(٣) المختصر فى شواذ القرآن ٢٧، والكشاف ١ / ٤٢٩، والبحر المحيط ٣ / ١٤٠، ١٤١، والدرّ المصون ٣ / ١٦٦، وإعراب القرآن للنحاس ١ / ٣٥٧، وتفسير الرازى ٨ / ٤١، وشواذ القراءة للكرمانى ورقة ٤٩.

(٤) السابق من الدر المصون.

(٥) المصباح المنير ٦٩٨.

وقد كان لهذا النهج من الإتباع أو المماثلة فى كلامهم صدى واسع فى القراءة القرآنية، وبخاصة فيما عرف بالشواذ منها، ومن ذلك:

- قوله تعالى: ﴿وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ﴾ [البقرة: ١٦٤]، فقد قرئ ﴿الْفُلْكِ﴾ بضم الفاء وإسكان اللام، وهو المشهور الذى عليه قراءة الجمهور، وقرئ بضم اللام على الإتباع(١).
- وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، حيث قرأ العشرة ماعدا أباجعفر بإسكان السين من «اليسر والعسر»، وقرأها أبو جعفر ويحيى بن وثاب وابن هرمز وعيسى بن عمر بضم السين منهما(٢).
- وقوله تعالى: ﴿قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، قرأ الجمهور بضم الراء وسكون الشين، وقرأ الحسن والأعشى عن أبى بكر عن عاصم بضم الشين أيضًا(٣).
- وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾ [البقرة: ٢٦٠] قرأه الجمهور بضم الجيم وسكون الزاى ﴿جزءا﴾ وهى الأكثر، وقرأ أبو بكر عن عاصم بضم الزاى إتباعا لضمة الجيم(٤).
- وقوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠] قرأه أبو جعفر بضم السين إتباعًا لضمة العين قبلها(٥).
- وقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾ [آل عمران: ٢٦] يقرأ بضم اللام على إتباعها الميم، فيكون ﴿الْمُلُك﴾ كالرُّبْع والرُّبُع(٦).

---

(١) إعراب القراءات الشواذ للعكبرى ١/ ٢٢٢، ٢/ ٢٩١.
(٢) المختصر فى شواذ القرآن ١٩، والبحر المحيط ٢/ ٢٠٠، والنشر ٢/ ٤٢٧.
(٣) المختصر فى شواذ القرآن ٢٢، والبحر ٢/ ٦١٦، وإعراب القراءات الشواذ للعكبرى ٢/٢٦٨.
(٤) البحر المحيط ٢/ ٦٤٧، تفسير القرطبى ٣/ ٣٠١، تحبير التيسير ٩٣، والنشر فى القراءات العشر ٢/ ٤٣٨، ٤٣٩، وإتحاف فضلاء البشر ١/ ٤٥١.
(٥) النشر ٢/ ٢٣٦، والإتحاف ١/ ٤٥٨.
(٦) إعراب القراءات الشواذ ١/ ٣١٠.

• وقوله تعالى: ﴿ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا ﴾ [النساء: ٦] قرأه عامة القراء وجمهورهم بضم الراء وسكون الشين، وقرأه الحسن بضم الراء والشين على الإتباع(١).

• وقول تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ ﴾ [النساء: ٣٧] فيه أربع لغات: ضم الباء وسكون الخاء وهى قراءة الجمهور، ولغة أهل الحجاز(٢)، ومنها ضم الباء والخاء معا، وهى قراءة لعيسى بن عمر والحسن، ولغة لبنى أسد(٣). ومها فتح الباء والخاء لحمزة والكسائى، وفتح الباء وسكون الخاء لقتادة وابن الزبير(٤).

• وقوله تعالى: ﴿ وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ﴾ [الأعراف: ١٤٦] قرأه أهل المدينة وأهل البصرة والأعمش بضم الراء وسكون الشين من (الرشد) وقرأه ابن عامر فى رواية بضم الشين إتباعا لضمة الراء(٥).

• وقوله تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ﴾ [الأعراف: ١٩٩] قرأه الجمهور بضم العين وسكون الراء، وقرأه عيسى بن عمر بضمها على الإتباع(٦).

• وقوله تعالى: ﴿ أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ [هود: ٨٠] قرأه الجمهور بضم الراء وإسكان الكاف، وقرأه عمرو بن عبيد، وسعيد بن أبى عروبة بضم الكاف على الإتباع(٧).

• وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ ﴾ [هود: ٨١] قرأه عيسى بن عمر «الصبُح» بضم الباء، وهو لغة أو إتْباع(٨).

---

(١) المختصر فى شواذ القرآن ٣١، والبحر المحيط ٣ / ٥٢٠ «بدون نسبة»، وتفسير القرطبى ٥ / ٣٧، وفتح القدير ١ / ٤٢٦.

(٢) البحر المحيط ٣ / ٦٣٥، والفتوحات الإلهية ١ / ٣٨١.

(٣) السابقين، والمختصر فى شواذ القرآن ٣٣.

(٤) الدر المصون ٢ / ٣٦٢، والفتوحات الإلهية ١ / ٣٨١.

(٥) البحر المحيط ٥. ١٧٤، والفتوحات الإلهية ٢ / ١٩١، والإتحاف ٢ / ٦٢.

(٦) المختصر فى شواذ القران ٥٣، والبحر المحيط ٥ / ٢٥٤، وفتح القدير ٢ / ٢٧٩.

(٧) المختصر فى شواذ القرآن ٦٥.

(٨) المختصر فى شواذ القرآن ٦٧، والبحر المحيط ٦ / ١٩١.

• وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦] قرأه جمهور القراء بإسكان الشين على الأصل، وقرأه الحسن وابن عامر وابن عباس واليزيدى وأبو عمرو ويعقوب بضم الراء والشين، وهو من الإتباع(١).

• وقوله تعالى: ﴿عُسْرًا - نُكْرًا - عُذْرًا﴾ [الكهف: ٧٣، ٧٤، ٧٦] قرأها الجمهور بإسكان الوسط، وقرأها عيسى بن عمر، ويحيى بن وثاب وأبو جعفر بضم الفاء والعين على الإتباع(٢).

• وقوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ [الكهف: ٦٨] قرأه الجمهور ﴿خُبْرًا﴾ بإسكان الباء، وقرأه ابن عباس وأبو عمرو والحسن والاعرج وعيسى وابن هرمز بضم الباء إتْباعا لضمة الخاء(٣).

• وقوله تعالى: ﴿رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء: ٩٠] قرئ بضم الراء وإسكان الغين والهاء منهما، وقرأه الأعمش بضم الراء وضم الغين والهاء(٤).

• وقوله تعالى: ﴿فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا﴾ [الشعراء: ٢١] قرأه الجمهور بإسكان الكاف، وقرأه عيسى بن عمر، وحميد، ومجاهد بضم الكاف إتْباعا لضمة الحاء(٥).

• وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ﴾ [النمل: ١١] قرأه الجمهور بضم الحاء وسكون السين، وقرأه عيسى بن عمر، وعطاء بن أبى رباح، وابن مقسم بضم الحاء والسين على الإتباع(٦).

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢ / ٤٦٥، فتح القدير ١ / ٤٢٦، الإتحاف ٢ / ٢١٩.

(٢) المختصر فى شواذ القرآن ٨٤، وإعراب شواذ القراءات ٢ / ٢٨، والإتحاف ٢ / ٢٢١، وفى البحر ٧ / ٢٠٧ نسب ضم السين من (عسرا) إلى أبى جعفر وحده، وفى ٧ / ٢٠٨ قال: ضم الكاف من (نكرا) هو قراءة نافع وأبى بكر وابن ذكوان وأبى جعفر وشيبة وطلحة ويعقوب وأبى حاتم وفى ٧ / ٢٠٩ نسب ضم الذال من (عذرا) إلى عيسى بن عمر وحده.

(٣) المختصر فى شواذ القرآن ٨٤، المحتسب ١ / ١٦٢، ونسب ضم الباء فى البحر ٧ / ٢٠٥ إلى الحسن وابن هرمز وحدهما.

(٤) البحر المحيط ٧ / ٤٦٣، والاتحاف ٢ / ٢٦٧.

(٥) المختصر فى شواذ القرآن ١٠٧، ونسب ضم الكاف إلى عيسى وحده ٨ / ١٤٧.

(٦) إعراب القرآن للنحاس ١ / ٢٤١، وتفسير القرطبى ٢ / ١٦، والبحر المحيط ٨ / ٢١٥.

• وقوله تعالى: ﴿ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤] قرأه الجمهور بسكون اللام من ﴿ظُلْمًا﴾، وقرأه عيسى بن عمر وابن مقسم بضمها إتباعا لضمة الظاء[١].

• وقوله تعالى: ﴿وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾ [القصص: ٣٢] قرأه ابن عامر وأبو بكر وحمزة والكسائي وخلف ووافقهم الشنبوذي بضم الراء وسكون الهاء من (الرُّهْب)، وقرأه بضم الراء والهاء معا عيسى بن عمر، والجحدري، وقتادة، والحسن[٢].

• وقوله تعالى: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ﴾ [القصص: ٣٥] قرأه الحسن بضم العين وسكون الضاد، وقرأه هو وزيد بن عليّ بضمهما جميعا[٣].

• وقوله تعالى: ﴿بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص: ٤١] قرأه الجمهور بضم النون وسكون الصاد، وقرأه بضمهما أبو جعفر والحسن وشيبة، وأبو عمارة عن حفص، والجعفي عن أبي بكر، وأبو معاذ عن نافع[٤].

• وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾ [الرحمن: ٧٦] قرأه الجمهور بضم الخاء وسكون الضاد، وقرأه الأعرج بضم الضاد أيضًا.. ويجوز أن يكون على الإتباع[٥].

• وقوله تعالى: ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ [الجن: ٢] قرأه الجمهور بضم الراء وسكون الشين، وقرأه عيسى بن عمر بضمتين[٦].

• وقوله تعالى: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ [المرسلات: ١] قرأه الجمهور بضم

---

(١) المختصر في شواذ القرآن ١١٠.

(٢) السابق ١١٤، والبحر والمحيط ٨/ ٣٠٣.

(٣) المحتسب ٢/ ١٥٢، والبحر المحيط ٨/ ٣٠٤، وفتح القدير ٤/ ١٧٣.

(٤) المختصر في شواذ القرآن ١٣٠، والبحر المحيط ٩/ ١٦١.

(٥) المحتسب ٢/ ٣٠٥، وإعراب القراءات الشواذ ٢/ ٥٤٨، وعبارة البحر ١٠/ ٧١: وقرأ عثمان بن عفان ونصر بن عاصم والجحدري ومالك بن دينار وابن محيصن وزهير الفرقبيّ وغيره (خضر) بسكون الضاد، وعنهم أيضًا ضم الضاد اهـ.

(٦) المختصر في شواذ القرآن ١٦٣، والبحر المحيط ١٠/ ٢٩٣.

العين وسكون الراء، وقرأه الحسن وعيسى بن عمر بضمتين إتباعا لضمة العين، وهى لغة جيدة[1].

● وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ﴾ [المرسلات: ٣٣] قرأه الجمهور بضم الصاد وسكون الفاء، وقرأه الحسن بضم الفاء أيضًا[2].

● وقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٦] قرأه الجمهور بضم العين والياء مع إسكان السين منهما، وقرأه عيسى بن عمر ويحيى بن وثاب وأبو جعفر بضم السين منهما أيضًا[3].

● وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ [العصر: ٢] قرأه الجمهور بضم الخاء وسكون السين، وقرأه بضمتين الأعرج، وطلحة، وعيسى الثقفى، وابن هرمز، وزيد بن على، وهارون عن أبى بكر عن عاصم[4].

يبقى القول بأن المماثلة فى صيغة «فُعْل» المذكورة جرت على ألسنة البدو، وكانت فاشية فى قبائل بنى أسد كما نقلنا عن الفيومى فيما مضى[5] وربما تجاوزت حدود هذه القبائل إلى غيرها، وذلك يفهم من قول ابن جنى فى المحتسب: حكى أبو الحسن عن يونس وعيسى بن عمر أنه ما سمع فى شىء «فُعْل» إلا وقد سمع فيه «فُعُل» بضمتين[6]، وهذا الوجه إلى جانب كثرته فى الاستعمال وجريانه على الألسنة، وصف بأنه «لغة جيدة»[7].

وهذا لا يمنع من القول بأن الصيغة الأصلية (فُعْل) بضم الفاء وسكون العين هى الأكثر والأجود؛ لكونها الأخف على اللسان، إذْ هى تقلّ حركة، وتدمج المقطعين الصوتيين فى مقطع واحد، ولذا كانت الصيغة التى جرت عليها

---

(١) البحر المحيط ١٠/ ٣٧٣، وإعراب القراءات الشواذ ٢/ ٦٦١، والإتحاف ٢/ ٥٨٠.

(٢) المحتسب ١/ ١٦٢، ٢/ ٣٠٦، والبحر المحيط ١٠/ ٣٧٨.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٢٥٣، والبحر المحيط ١٠/ ٥٠١، والفتوحات الإلهية ٤/ ٤٦٢.

(٤) البحر المحيط ١٠/ ٥٣٩، وتفسير القرطبى ٢/ ١٨٠.

(٥) المصباح المنير ٦٩٨.

(٦) المحتسب ٢/ ١٦٢، ١٧٠.

(٧) إعراب القراءات الشواذ للعكبرى ٢/ ٦٦١.

القراءات المشهورة المنسوبة لجمهور القراء السبعة والعشرة، وكانت الصيغة الممثلة للغة أهل الحجاز ولبنى تميم أيضاً[1].

٤ - المماثلة فى صيغة (مُفْعَلات) اسما للفاعل على غير القياس:

من ذلك قوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٢٤].

وكلمة المحصنات بفتح الصاد اسم فاعل، مأخوذة من أحصن إذا تزوج، وهى على غير قياس اسم الفاعل من الرباعى المبدوء بالهمزة، روى الأزهرى عن ابن الأعرابى أنه قال: كلام العرب كله على أفعل فهو مُفْعِل، إلا ثلاثة أحرف: أحصن فهو مُحْصَنٌ، ألفج فهو مُلفَجٌ، وأسهب فهو مُسْهَبٌ، وزاد ابن سيده: أسهم فهو مُسْهَمٌ[2].

والآية معطوفة على أصناف من يحرم نكاحهن فى الآية المتقدمة، أى حرمت عليكم أمهاتكم والمحصنات من النساء، أى حرم عليكم نكاح أمهاتكم ونكاح المتزوجات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم بنكاح أو بملك.

وهذه الكلمة (المحصنات) قرأها القراء السبعة فى هذا الموضع بفتح الصاد[3] قال أبو عبيد: أجمع القراء [أى السبعة] على نصب الصاد فى الحرف الأول من النساء، فلم يختلفوا فى فتح هذه؛ لأن تأويلها ذوات الأزواج يُسْبَيْن فَيُحِلُّهُنَّ السباء لمن وطئها من المالكين لها، وتنقطع العصمة بينهن وبين أزواجهن بأن يحضن حيضة ويطهرن منها[4].

وقرأ يحيى بن وثاب (والمُحْصُنات) بضم الصاد إتْباعا لضمة الميم السابقة[5]، ونسب أبو حيان هذه القراءة إلى يزيد بن قطيب، حيث قرأ بضم الصاد إتباعا لضمة الميم، ولم يعتدوا بالحاجز الساكن لأنه غير حصين[6]، وقد

---

(١) البحر المحيط ٣ / ٦٣٥، والفتوحات الإلهية ١ / ٣٨١.
(٢) المصباح المنير ١٣٩، واللسان ٢ ٩٠٢ (حصن).
(٣) البحر المحيط ٣ / ٥٨٤. (٤) اللسان ٢ ٩٠٢ (حصن).
(٥) شواذ القراءة واختلاف المصاحف للكرمانى ورقة ٥٩ وبدون نسبة فى إعراب القراءات الشواذ للعكبرى ١ / ٣٧٨.
(٦) البحر المحيط ٣ / ٥٨٤.

جاءت نظائر لهذه القراءة، منها قراءة ابن أبى عبلة ﴿ فَمُسْتَقَرٌ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ [الأنعام: ٩٨][١]، بضم التاء فيهما إتباعا لضمة الميم السابقة، ومنها قراءة بعض المكيّين ﴿ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرُدِّفِينَ ﴾ [الأنفال: ٩]، بتضعيف الدال وضم الراء إتباعا لضمة الميم السابقة، قال أبو حيان: وروى عن الخليل أنه يضم الراء إتباعا لحركة الميم[٢].

وما حدث هنا من الإتباع أو المماثلة التقدمية التى أثر فيها الصوت الأول وهو ضمة الميم فى الصوت الثانى وهو فتحة الصاد أو فتحة التاء أو فتحة الراء من الأمثلة المذكورة - سببه العامل النفسى العضوى المتمثل فى الجمود على الحركة السابقة والتزامها فيما بعدها[٣] وذلك يحقق نوعًا من الانسجام بين الأصوات المتماثلة، ونوعًا من التخفيف «يتمثل فى استمرار مواضع أداء الحركة فى الفم على هيئة واحدة فى الصوتين، وتجنب الانتقال من هيئة إلى خرى»[٤].

٥ - المماثلة فيما جاء على فعيل بمعنى مفعول:

من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾ [مريم: ٢٥].

ولفظة الجنى معناها الثمر المجتنى مادام طريا[٥].

وهذه قرأها الجمهور بفتح الجيم، وأصلها (جنيي) على فعيل بمعنى مفعول، أدغمت الياء فى الياء.

وقرأها طلحة بن سليمان، ويحيى بن وثاب بكسر الجيم إتباعا لحركة النون[٦].

وتفسر هذه القراءة الأخيرة بحدوث المماثلة الرجعية التى أثر فيها الصوت

(١) وانظر السابق. (٢) البحر المحيط ٥ / ٢٧٩.
(٣) انظر أثر القراءات فى الأصوات والنحو العربى ٢٣١ - ٢٣٩.
(٤) خصائص اللغة العربية د. محمد حسن جبل ١٢٤.
(٥) اللسان ط (٧٠٧) جنى.
(٦) شواذ القراءة للكرمانى ورقة ١٤٧، وإعراب القراءات الشواذ ٢ / ٤٨، والمحتسب ٢ / ٤١، والكشاف ٢ / ٥٠٧، والبحر المحيط ٧ / ٢٥٥، والدر المصون ٤ / ٥٠١.

الثانى وهو كسرة النون فى الصوت الأول وهو فتحة الجيم، فتحولت إلى كسرة مماثلة لما بعدها تحقيقًا للانسجام بين الحركات المتجاورة، حيث لم يفصل بين الحركتين إلا صامت واحد وهو النون.

وننبه هنا إلى أن الفتحة وإن تقدمت فى الموقع على الكسرة لم تقو على التأثير فيها؛ ذلك لأن الكسرة كانت قد تحصنت بالياءين الشبيهتين بالصائت من جهة، ومن جهة ثانية لو أتيح للفتحة أن تؤثر فى الكسرة فى هذه الصيغة لأدى ذلك إلى أن تصير الكلمة على وزن مفقود بين أبنية اللغة العربية، «لأنه ليس فى الكلام فعْيل»[1].

وبناء على ذلك يمكن صياغة هذا الفرض على النحو الآتى:

«الكسرة القصيرة المتأخرة المجاورة للياءين الشبيهتين بالصائت أقوى من الفتحة المتقدمة فيما جاء على وزن فَعيل».

٦ - المماثلة فيما جاء على وزن «فعول» مصدرًا أو جمعًا:

• من ذلك قوله تعالى: ﴿**إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا**﴾ [مريم: ٥٨].

لفظة ﴿**بُكِيًّا**﴾ تحتمل أن تكون مصدرًا للفعل بكى بكيا، وأصله بكى بُكُويا، مثل جلس جلوسًا، ثم قلبت الواو ياء، وأدغمت فى الياء، وقلبت ضمة الكاف كسرة لتناسب الياء، فصارت ﴿**بُكِيًّا**﴾[2] ويكون المعنى خروا ساجدين، وبكوْا بُكاءً.

وتحتمل أن تكون جمعا، إذ يقال: رجل باك، ورجال بكاة وبُكىّ، وأصله «بُكُوى» على «فُعُول» فعلوا به من القلب والإدغام مثلما فعلوا على تقدير كونه مصدرًا، والمعنى خروا ساجدين وانهمرت أعينهم باكين.

وهذه اللفظة «بكيا» قرأها الجمهور بضم الباء، وقرأها يحيى بن وثاب

---

(١) الكتاب ٤ / ١٠٨.

(٢) هذا معناه أن الياءين الشبيهتين بالصائت أثرتا فى الضمة التى كانت تلى الكاف فى الأصل المفترض للكلمة تأثير رجعيا، فتحولت الضمة إلى كسرة على سبيل المماثلة الرجعية.

وعبد الله بن مسعود، والأعمش، وحمزة والكسائي - بكسر الباء إتباعا لحركة الكاف[1].

وعلى كلا الاحتمالين المصدر أو الجمع يكون الكسر في الباء من قبيل المماثلة الرجعية، حيث أثر الثاني وهو كسرة الكاف في الأول وهو ضمة الباء فتحولت إلى كسرة مماثلة ليكون عمل اللسان في الحركتين واحداً، وإنما كانت الكسرة المتأخرة أقوى من الضمة المتقدمة؛ لأنها أي الكسرة بحكم تكوينها تنتسب إلى طرف اللسان ومقدمه كما سبق أن ذكرنا، ولأنها تحصنت بالياءين الشبيهتين بالصائت بعدها، يضاف إلى ذلك أن اللغة العربية تنفر من موقعية الضمة قبل الياء كما حدث في مثل «مُوقن وموسر» قبل الإعلال، ومن موقعية الواو قبل الياء، وبخاصة في طرف الكلمة كما حدث في «بُكوى» الأصل المفترض قبل الإعلال أيضاً، لهذا كله كانت الكسرة المتأخرة هنا أقوى من الضمة المتقدمة، «وهي بطبيعتها أسهل في الأداء من الضمة أيضًا»[2].

ويمكن صياغة قانون هذه المماثلة على النحو الآتي:

«الكسرة القصيرة المتأخرة المجاورة للياءين الشبيهتين بالصائت أقوى من الضمة المتقدمة فيما جاء على وزن (فُعُول).

● ومن أمثلة ما جاء على فُعُول» مصدراً:

قوله تعالى: ﴿وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤].

ولفظة ﴿علوًّا﴾ مصدر للفعل علا علوا، بمعنى تجبّر وتكبّر[3].

قرأها الجمهور بضم العين واللام، وقرأها عبد الله بن مسعود، ويحيى بن وثاب والأعمش، وطلحة، وأبان بن تغلب (عِليًّا) بقلب الواو المشددة ياء مشددة، مع كسر العين واللام[4].

---

(١) ينظر البحر المحيط ٧ / ٢٧٧، والنشر ٢ / ٣١٧، وسراج القارئ المبتدئ ٢٨٤ وغيث النفع ٢٨٥، والإتحاف ٢٩٨ مصورة عن ط عبدالحميد حنفي ١٣٥٩هـ.

(٢) انظر القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ٢٩٠، بتصرف يسير.

(٣) المصباح المنير ٤٢٨ (علو).

(٤) البحر المحيط ٨ / ٢١٦ ونسبها ابن خالوية في المختصر ص ١١٠ إلى طلحة والأعمش وابن مسعود فقط.

ورويت القراءة عن يحيى بن وثاب والأعمش وطلحة (عُلِيًّا) بضم العين وكسر اللام[1].

والكلمة المذكورة وزنها (فُعُول)، وأصلها قبل الإعلال (عُلُوو) ثم أدغمت الواو فى الواو فصارت(علوا)، وعليها جاءت قراءة الجمهور، وهى اللغة المطردة فى القياس والاستعمال.

أما الصورتان الأخريان اللتان جاءت عليهما قراءتا يحيى بن وثاب ومن معه فقد تطورتا عن قراءة الجمهور بطريق المخالفة الصوتية، ثم بطريق المماثلة الرجعية، فالعرب الذين كانوا ينطقون وفق القراءة الثالثة (عليا) بضم فكسر، وجدوا أن لغة الجمهور (عُلُوًّا) قد توالت فيها الأمثال، وهى الضمة التى تلى العين، والضمة التى تلى اللام، والواوان، وهما من جنس الضم، فخالفوا بين هذه المتماثلات، فكسروا اللام، واستلزم ذلك قلب الواو المشددة فى الطرف، فصارت الصورة بعد إجراء المخالفة (عُلِيًّا) بضم العين وكسر اللام.

أما العرب الذين كانوا ينطقون وفق الصورة الثانية (عِلِيًّا) بكسر العين واللام والياء المشددة – فقد تطور نطقهم عن الصورة الثالثة (عُلِيًّا) بطريق المماثلة الرجعية حيث أثر الصائت المتاخر وهو الكسرة التى بعد اللام فى الصائت المتقدم وهو الضمة التى تلى العين، فحولتها إلى كسرة مماثلة؛ ليعمل اللسان عملاً واحداً عندما ينطق بكسرتين متجاورتين.

وقانون هذه المماثلة كالآتى:

«الكسرة القصيرة المتأخرة المجاورة للياءين الشبيهتين بالصائت أقوى من الضمة المتقدمة فيما جاء على وزن فُعُول».

● **ومن أمثلة ما جاء على «فُعُول» جمعا:**

قوله تعالى: ﴿**وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَّهُ خُوَارٌ**﴾[الأعراف: ١٤٨] قرأ السبعة والحسن وأبو جعفر وشيبة كلمة (**حُلِيِّهِمْ**)

---

(١) البحر المحيط ٨/ ٢١٦ ونسبها ابن خالوية فى المختصر ص ١١٠ إلى طلحة وحده.

بضم الحاء وكسر اللام،، وهى جمع على وزن «فعول» مفردها «حَلْى»، مثل ثَدْى وثُدِىّ، وأصل الجمع «حُلُوىٌ»، اجتمعت الواو والياء، وسبقت إحداهما بالسكون، فقلبت الواو ياء وأدغمت فى الياء، وكسر ما قبلها لتصح الياء[1]، فالياء المشدّدة أثرت فى الضمة التى تلى اللام تأثيراً رجعياً، فحولتها كسرة على جهة المماثلة بين الصائت وشبه الصائت.

وقرأ الأخوان حمزة والكسائى «من حليهم» بكسر الحاء إتباعا لكسرة اللام[2]، وهى أيضًا قراءة أصحاب عبدالله، ويحيى بن وثاب، وطلحة والأعمش[3]، وضم الحاء فى الصورة الأولى التى جاءتْ عليها قراءة السبعة أو جمهورهم «هو الأصل»[4]، وقد تطورت عنه الصورة الثانية التى تكسر الحاء فيها على سبيل المماثلة الرجعية، حيث أثر الثانى المتأخر وهو كسرة اللام فى الأول وهو ضمة الحاء؛ لتقدّم الكسرة فى الفم ولمجاورتها للياءين الشبيهتين بالصائت، وذلك يمنحها قوة على التأثير فى الضمة المتقدمة عليها، وعلى جذبها إليها، وتحويلها إلى كسرة مماثلة، والهدف من كل ذلك واضح، فمن كسر الحاء استثقل الخروج من ضم إلى كسر، وأراد أن يقرب بعض اللفظ من بعض طلبا للتخفيف، وليعمل اللسان عملاً واحداً فى الكسرتين والياء بعدها[5].

وقانون هذه المماثلة:

«الكسرة القصيرة المتأخرة المجاورة للياءين الشبيهتين بالصائت أقوى من الضمة المتقدمة فيما جاء على وزن فُعُول».

٧ - المماثلة فى المركب الإضافى «اسم الفاعل وياء المتكلم»:

من ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

---

(١) البحر المحيط ٥/ ١٧٦.
(٢) السابق، وسراج القارئ المبتدئ ٢٢٧، وإبراز المعانى من حرز الأمانى ٤٨٢.
(٣) السابق من البحر المحيط.
(٤) سراج القارئ المبتدئ ٢٢٧.
(٥) الحجة فى القراءات السبع لابن خالوية ١٦٤، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحجتها ١/ ٤٧٨، وقارن مع معانى القرآن للأخفش ٢/ ٣١٠ط الثانية ١٩٨١م.

وأصل المركب قبل الإضافة «بمصر خين لى»، وهو جمع مصرخ، كمسلمين جمع مسلم، حذفت اللام للتخفيف، وحذفت النون للإضافة، فالتقى ساكنان: ياء الجمع، وياء الإضافة، فأدغمت ياء الجمع فى ياء الإضافة، ثم حركت ياء الإضافة بالفتح طلبا للخفة وتخلصا من توالى ثلاث كسرات[1]، ولأن الياء المدغم فيها تفتح أبداً[2].

وقد جرت قراءة الجمهور من السبعة ماعدا حمزة على فتح الياء المشددة[3]، وذلك هو القياس، والوجه الأكثر فى الاستعمال، وفى لغة العرب.

وهناك قراءة سبعية أخرى كسرت فيها ياء الإضافة على أصل التخلص من التقاء الساكنين، وإتباعا لكسرة الخاء[4].

وعليها جاءت قراءة حمزة، ووافقه الأعمش، وتنسب إلى يحيى بن وثاب، وحمران بن أعين، وجماعة من التابعين[5].

وقد طعن بعض العلماء فى هذه القراءة، وحكم عليها بالضعف أو بالرداءة أو بالغلط أو بالوهم أو بعدم السماع من العرب، ويكفينا من العبارات الدالة على ذلك ما يأتى:

- وقد أنكر أبو حاتم السجستانى على أبى عمرو تحسينه لهذه القراءة[6].
- وقال أبو إسحاق الزجاج: هذه القراءة عند جميع النحويين رديئة مرذولة، ولا وجه لها إلا وجه ضعيف[7].
- وقال الزمخشرى: وهى ضعيفة، واستشهدوا لها ببيت مجهول[8].

---

(١) الفتوحات الإلهية ٢/ ٥٢٢.
(٢) السابق، والدر المصون ٧/ ٨٨، والإتحاف ٢/ ١٦٨.
(٣) إبراز المعانى من حرز الأمانى ٥٤٩، والموضعان السابقان من الدرّ والإتحاف.
(٤) الفتوحات الإلهية ٢/ ٥٢٢.
(٥) ينظر إبراز المعانى ٥٤٩، ٥٥٠، والبحر المحيط ٦/ ٤٢٨، والدرالمصون ٧/ ٩٣، والإتحاف ٢/ ١٦٨.
(٦) البحر المحيط ٦/ ٤٢٩، والدر المصون ٧/ ٨٩.
(٧) معانى القرآن وإعرابه للزجاج ٣/ ١٥٩، وإبراز المعانى ٥٥٠، والبحر المحيط ٦/ ٤٢٨، والدر المصون ٧/ ٩٠.
(٨) الكشاف ٢/ ٣٧٤، وإبراز المعانى ٥٥٠، والبحر المحيط ٦/ ٤٢٨، والدر ٧/ ٩٠.

هذا فى الوقت الذى أجازها فيه لفيف من النحويين واللغويين، منهم قطرب، وأبو عمرو بن العلاء، وأبو على الفارسى، وقال القاسم بن معْن– وهو من رؤساء النحويين الكوفيين –: هى صواب، وقال صاحب الإتحاف: هو متواترة صحيحة، والطاعن فيها غالط قاصر، ونفى النافى لسماعها لا يدل على عدمها، فمن سمعها مقدم عليه؛ إذ هو مثبت(١).

وقد تردد فى قبولها أبو زكريا الفراء فى معانى القرآن، فقال: وقد خفض الياء من «بمصرخى» الأعمش ويحيى بن وثاب جميعًا، حدثنى بذلك القاسم ابن مَعْن عن الأعمش، ولعلها من وهم القراء، فإنه قلّ من سلم منهم من الوهم، ثم قاسها على قولهم: منذِ اليوم، ومُذِ اليوم، قال: الرفع هو الوجه، والخفض جائز، فكذلك الياء من «بمَصرخِىّ» خفضت ولها أصل فى النصب(٢).

وقال أبو عبيد: وأما الخفض فإنا نراه غلطا؛ لأنهم ظنوا أن الباء التى فى قوله «بمصرخِىّ» تكسر كل ما بعدها، وقد كان فى القراء من يجعله لحنا، ولا أحب أن أبلغ به هذا كله، ولكن وجه القراءة عندنا غيرها(٣).

وكان الأخفش أكثر تشددا إذ قال: ما سمعت بهذا من أحد من العرب، ولا من أحد من النحويين(٤)، ووافقه فى ذلك أبو جعفر النحاس فى قوله: قد صار هذا الوجه بإجماع لا يجوز، ولا ينبغى أن يحمل كتاب الله تعالى على الشذوذ(٥).

ونحن إذْ نحسن الظن بهؤلاء الأئمة من اللغويين والنحويين نصل فى فهم كلامهم إلى ما وصل إليه أبو نصر بن القشيرى فى تفسيره، وهو أن ما ثبت بالتواتر عن النبى ﷺ لا يجوز أن يقال هو خطأ أو قبيح أو ردىء، بل فى القرآن

---

(١) إبراز المعانى ٥٤٩، ٥٥٠، والبحر ٦/ ٤٢٨، والدر ٧/ ٩٣، والإتحاف ٢/ ١٦٨.
(٢) معانى القرآن للفراء ٢/ ٧٥، وإبراز المعانى ٥٥٢، والدرالمصون ٧/ ٩٢، ٩٤.
(٣) إبراز المعانى ٥٥٠، البحر المحيط ٦/ ٤٢٨، والدر المصون ٧/ ٩٢.
(٤) معانى القرآن للأخفش ٢/ ٣٧٥، وإبراز المعانى ٥٥٠، والبحر ٦/ ٤٢٨ والدر المصون ٧/ ٩٣.
(٥) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ١٨٣، ونفس الموضع من الثلاثة الأخيرة من السابق.

فصيح، وفيه ما هو أفصح، فلعل هؤلاء أرادوا أن غير هذا الذى قرأ به حمزة أفصح، ونقرر ما قرره أبو شامة من أنه يستفاد من كلام أهل اللغة المتقدم ضعف هذه القراءة وشذوذها، وأما عدم الجواز فلا؛ فقد نقل جماعة من أهل اللغة أن هذه لغة، وإن شذت وقلّ استعمالها[1].

هذا وقد انبرى للدفاع عن هذه القراءة، واهتم بتوجيهها الشيخ أبو شامة الدمشقى والشيخ أبو حيان، وتلميذه السمين الحلبى، وجملة ما ذكر فى ذلك أن كسر ياء الإضافة فى قراءة ابن وثاب والأعمش وحمزة «بمصرخىٍّ» يحمل على الآتى:

١ - ياء الإعراب ساكنة، وياء المتكلم أصلها السكون، فلما التقيا كسرت الأخيرة على الأصل فى التخلص من الساكنين، ولم يمكن تحريك الأولى لأنها علامة الجرّ؛ ولأنها مدغمة فى الثانية، والمدغم لا يكون إلا ساكنا.

٢ - أن ياء المتكلم تشبه هاء الضمير فى أن كلا منهما ضمير على حرف واحد يشترك فيه النصب والجر، وكما تكسر الهاء بعد الكسرة وبعد الياء الساكنة فى نحو: «عليه» و«فيه»، كذلك تكسر ياء المتكلم بعد الياء الساكنة[2].

٣ - أن كسر الياء فى القراءة المذكورة يحمل على الاتباع لما بعده، وهو كسر همزة (إنّى) من قوله: ﴿**وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِن قَبْلُ**﴾ [إبراهيم: ٢٢]، كقراءة ﴿ **الْحَمْدِ لِلِّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الفاتحة: ٢][3]، وكقولهم: بعير، وشعير، وشهيد.. بكسر أوائلها إتباعا للكسرة بعدها، وهذا الوجه ضعيف، أو ضعيف جداً كما عبر السمين الحلبى[4].

---

(١) إبراز المعانى ٥٥٠.
(٢) ينظر التوجيه الأول والثانى فى إبراز المعانى ٥٥١، ٥٥٢، والدر المصون ٧/ ٨٩.
(٣) وهى قراءة الحسن البصرى وابن أبى عبلة وزيد بن على ينظر المحتسب ١/ ٣٧، والدر المصون ١/ ٤١.
(٤) الدر المصون ٧/ ٩٥، وإبراز المعانى ٥٥٢.

٤ - أن ياء المتكلم لما أدغمت فيها التى قبلها قويت بالإدغام، فأشبهت الحروف الصحاح، فاحتملت الكسر؛ لأنه إنما يستثقل فيها إذا خفت وانكسر ما قبلها(١).

ويفهم من التوجيه الأول والثانى والرابع أن ياء المتكلم إنما كسرت لوقوعها فى أحد المواقع الذى يكسر فيه الحرف، حيث كانت الحرف الثانى من الساكنين، وكان الأول منهما يلزمه السكون؛ لأنه المدغم، فقوى تحريكها بالكسر مثلما هو الغالب فيما يقع فى هذا الموقع، وناسبها الكسر لقوتها بالإدغام، ولشبهها بالحروف الصحاح.

وهذه اللغة وإن لم تكن فى شيوع الأخرى التى تفتح الياء المضافة إلى اسم الفاعل، فإنها معروفة عن بنى يربوع بن حنظلة بن مالك من تميم، فقد كانوا يكسرون ياء المتكلم إذا أضيف إليها جمع مذكر سالم، فيقولون: ضاربىِّ، وطالبىِّ، ومصرخىِّ، فى كل موضع تقدمتها الياء الساكنة(٢).

وزعم قطرب بعد نسبتها إلى بنى يربوع أنهم كانوا يزيدون على ياء الإضافة ياء، وأنشد من الرجز على هذه اللغة.

أقبل فى ثوب معافرىٍّ   بين اختلاط الليل والعشىِّ
قال لها: هل لكِ ياتافىِّ   قالت له ما أنت بالمرضىِّ

وقد تابع أبو حيان أبا شامة فى نسبة الرجز للأغلب العجلى، وهو من بنى تميم، ثم نقل عنه القول بأنها لغة باقية فى أفواه كثير من الناس إلى اليوم، يقولون: «ما فِىِّ أفعل كذا» بكسر الياء(٣).

أما التوجيه الثالث الذى يفسر كسر ياء المتكلم بالإتباع لما بعدها من كسر همزة (إنّى) فيكون من باب المماثلة الرجعية التى أثر فيها الصوت الثانى فيما

---

(١) السابق من الدر المصون.
(٢) مميزات لغات العرب / حفنى ناصف ٢٣، ط السعادة ١٣٣٠ هـ.
(٣) ينظر المحتسب ٢ / ٤٩، وإبراز المعانى ٥٥١، والبحر المحيط ٦ / ٤٢٩، والدر المصون ٧ / ٩٠، ٩١، وخزانة الأدب ٢ / ٢٥٧.

قبله، وقد حكم السمين الحلبى على هذا الوجه من الإتباع (أو المماثلة) بأنه « ضعيف جداً »(١).

ويبدو لى أن وجه الضعف يكمن فى كون المماثلة واقعة بين الحركتين من كلمتين، وفى أن لها وجها آخر كثير الوقوع يمكن حملها عليه، وهو المماثلة التقدمية فى الحركتين من الكلمة الواحدة، فيكون الذى أثر فى فتحة ياء المتكلم وحولها إلى الكسرة هو الكسرات المتقدمة وأشباهها، فالباء الموحدة من « بمصرخى » مكسورة، والراء مكسورة، وصفة التكرير فيها تجعلها بحرفين، والخاء مكسورة، والياءان شبيهتان بالكسرتين إلى حد كبير؛ لأن الياء الساكنة التى لم تجانسها الحركة السابقة عليها، والياء المحركة تصنف إلى نصف الصائت الذى هو الكسرة، يضاف إلى ذلك تقدم الكسرات فى الموقع، وذلك بمنحها قوة التأثير فى الفتحة المتأخرة.

كل ذلك – من وجهة نظر موضوعية – يرشح أن تكون المماثلة تقدمية، ويضعف أن تكون رجعية، وقد فطن إلى ذلك السمين الحلبى فيما نقلناه عنه آنفا، وهذا الذى ذكرنا يوافق القول « بأن إتباع اللاحق للسابق أكثر من إتباع السابق للاحق »(٢)، وإذا كان ذلك مؤكداً فيما هو فى الكلمة الواحدة فإنه يكون أشد توكيداً فيما هو فى الكلمتين كالحالة التى معنا.

ولنا بعد ذلك أن نستنتج قوانين هذه المماثلة :

- « الكسرات المتقدمة وأشباهها أقوى من الفتحة القصيرة المتأخرة ».
- « إذا وجد مؤثران من جنس واحد، وكان أحدهما متقدما، وكان الآخر متأخراً، كان الأولى بالتأثير هو المتقدم فى الموقع ».
- « إذا جاز أن تكون الحركة المؤثرة من كلمة مستقلة عن الكلمة المتضمنة للصوت المتأثر، وجاز أن تكون من ذات الكلمة أو مما اتحد معها بالتركيب مثلاً، كان الأولى اعتبار المؤثر القريب الذى هو من بنية الكلمة ذاتها أو مما اتحد معها بالتركيب ونحوه ».

---

(١) الدر المصون ٧ / ٩٥.

(٢) إتباع الحركة فى القراءات ٤٥ ، مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة، العدد الثامن.

ثالثًا: المماثلة فى الحروف:

أ - فى حرف الجر (مِنِ):

من ذلك قوله تعالى: ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة: ١].

وقوله تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: ٣].

قرأ الجمهور من القراء بفتح النون من حرف الجر «من»، وهذه هى اللغة الكثيرة فى الاستعمال، وكان الأصل فى حركة هذه النون السكون؛ وهو قياس الحركة فى الحرف الثانى من سائر الأدوات المبنية على حرفين، نحو فى وعن وبل وهل، ومثلها فى ذلك (مِنْ) إذا لم يقع بعدها الساكن الذى هو أداة التعريف (ألْ)، فإذا وقعت بعدها فتحوا النون منها هربا من التقاء الساكنين، ولم تكسر نون (من) فى هذه الحال على أساس أن الأصل والقياس فى التخلص من الساكن هو كسر الأول منهما؛ لأن دخولها على (ألْ) كثير فى الكلام، وألْ تدخل فى كل اسم نكرة، وذلك كثير أيضًا، ففتحوا نون مِنْ قبلها استخفافا، وفرارا من توالى الكسرتين فيما يكسر استعماله[١]، قال سيبويه «لما كثرت فى كلامهم ولم تكن فعلاً، وكان الفتح أخف عليهم فتحوا، وشبهوها بأين وكيف»[٢].

وبالرغم من ذلك فقد حكى أبو عمرو عن أهل نجران أنهم يكسرون النون والميم من حرف الجر المذكور فى قوله تعالى: ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ﴾[٣]، قال أبو حاتم: وزعم هارون أن أبا عمرو بن العلاء قرأ (مِنِ الله) بكسر الميم والنون[٤].

ونسبت القراءة بكسر النون والميم فى قوله عز وجل «مِنِ المشركين» إلى الحسن البصرى ويحيى بن وثاب، وإبراهيم النخعى وعيسى بن عمر[٥].

---

(١) هذا التعليل للسيرافى، أثبته الشيخ عبدالسلام هارون فى هامش الكتاب ٤ / ١٥٤، وينظر القواعد والتطبيقات، عبد السميع شبانه ١٨٤، وينظر المحتسب ١ / ٢٨٣.

(٢) الكتاب ٤ / ١٥٣، ١٥٤.

(٣) المختصر لابن خالويه ٥٦، والمحتسب ١ / ٢٨٣، والبحر المحيط ٥ / ٣٦٧، وفى الدر المصون ٦ / ٦ وهى لغية.

(٤) إعراب القرآن لأبى جعفر النحاس ٢ / ٢٠٢.

(٥) المختصر لابن خالويه ٥٦، واقتصر فى الاتحاف ٢ / ٨٧ على نسبتها إلى الحسن البصرى.

وقد اختلفوا في التعليل لكسر النون في القراءتين على ثلاثة أوجه:

الأول: هو أن الكسر في النون من (مِنْ) إنما جاء على الأصل والقياس في التخلص من التقاء الساكنين[١]، وهو مذهب سيبويه الذى يقول: «وزعموا أن ناسا من العرب يقولون «مِنِ الله» فيكسرونه ويجرونه على القياس»[٢]، ولم يبال أصحاب هذا الرأى بالكسرتين؛ لعروض الثانية[٣].

الثاني: هو أن الكسر قد يكون للتخلص من الساكنين، وقد يكون للإتباع، أى أنه صالح لهذا، ولهذا[٤].

الثالث: هو أن الكسر في النون إتباع لكسرة الميم في (مِنِ اللهِ)، وفى نظائره، «وما أشبهه»[٥].

ونحن نرى الرأى الأخير؛ لأن القول بالوجه الأول فيه رجوع إلى ما هرب منه الناطقون بالفتح، وهو ثقل الكسرتين فيما يكثر استعماله، وفيه مصادمة لقانون تطور العربية نحو التخفيف ونحو السهولة واليسر، أما القول بالإتباع أو بما يسميه المحدثون المماثلة التقدمية، حيث أثرت كسرة الميم في حركة النون وهى الفتحة فحولتها إلى كسرة مماثلة، فهو يحقق للناطقين به شيئًا من الانسجام بين الحركات، وبخاصة فى البيئات البدوية.

وقد صرح العلماء بنسبة هذه اللغة إلى قبيلتى طيء وكلب، وحكوا عنهم أنهم كانوا يقولون: «اطلبوا مِنِ الرحمن»[٦]، كما أنها حكيت عن أهل نجران فيما نقله أبو عمرو بن العلاء عنهم[٧].

* * *

---

(١) الاتحاف ٢ / ٨٧. (٢) الكتاب ٤ / ١٥٤.

(٣) القواعد والتطبيقات فى الابدال والإعلال ص ١٨٥، ط الخامسة ١٤٠٩هـ.

(٤) البحر المحيط ٥ / ٣٦٧، والدر المصون ٦ /٦.

(٥) إعراب القراءات الشواذ للعكبرى ١ / ٦٠٦.

(٦) لسان العرب ٦ / ٤٢٨٢ (م ن ن).

(٧) المختصر لابن خالويه ٥٦، والمحتسب ١ / ٢٨٣، والكشاف ٢ / ١٧٢، والبحر المحيط ٥ / ٣٦٧ والدر المصون ٦ /٦.

المبحث الثانى

المماثلة الجزئية فى الصوائت

● **تمهيد فى التعريف بالإمالة:**

الإمالة فى اللغة مأخوذة من الأصل اللغوى (ميل)، قال ابن فارس: الميم والياء واللام كلمة صحيحة تدل على انحراف فى الشىء إلى جانب منه[١]، وقال الفيومى: مال عن الطريق يميل ميلا: تركه وحاد عنه[٢].

وقد جمع ابن يعيش المعنى اللغوى والإصطلاحى فى عبارة واحدة، فقال: «اعلم أن الإمالة مصدر أملته أميله إمالة، والميل الانحراف عن القصد، يقال منه: مال الشىء، ومال الحاكم، إذا عدل عن الاستواء.

وكذلك الإمالة فى العربية: عدول بالألف عن استوائه، وجنوح به إلى الياء، فيصير مخرجه بين مخرج الألف المفخمة وبين مخرج الياء، وبحسب قرب ذلك الموضع من الياء تكون شدة الإمالة، وبحسب بعده تكون خفتها، والتفخيم هو الأصل، والإمالة طارئة، والذى يدل على أن التفخيم هو الأصل أنه يجوز تفخيم كل ممال، ولا يجوز إمالة كل مفخم، وأيضًا فإن التفخيم لا يحتاج إلى سبب، والإمالة تحتاج إلى سبب، والإمالة لغة بنى تميم، والفتح لغة أهل الحجاز[٣].

وكما تمال الألف إلى الياء تمال الفتحة نحو الكسرة، وتمال الفتحة نحو الضمة، وتمال الألف نحو الواو[٤].

وقد ذكر اللغويون والنحاة والقراء أنواعًا أخرى للإمالة، منها إمالة الضمة

---

(١) المقاييس ٥ / ٢٩٠ (ميل).

(٢) المصباح المنير ٢ / ٥٨٨ (مال).

(٣) شرح المفصل ٩ / ٥٣، ٥٤- المتنبى - القاهرة.

(٤) ينظر الكتاب ٤ / ٤٣٢، وسر صناعة الإعراب ١ / ٥٨، ٥٩، والنشر ٢ / ٣٠، وفى اللهجات العربية ٦٥.

نحو الكسرة كما فى قولهم: «مررت بمذعور» و«ابن بور»(١)، ومنها إمالة الكسرة نحو الضمة كما فى نحو قيل وبيع(٢)، ومنها إمالة ما قبل هاء التانيث وما شابهها فى الوقف(٣).

وقد ذكروا أن للإمالة أسبابًا، ترجع فى مجملها إلى شيئين: أحدهما الكسرة، والثانى الياء، وكل منهما يكون متقدمًا على محل الإمالة من الكلمة، ويكون متأخراً عنها، ويكون مقدراً فى محل الإمالة، وقد تكون الكسرة والياء غير موجودتين فى اللفظ، ولا مقدرتين فى محل الإمالة، ولكنهما مما يعرض فى بعض تصاريف الكلمة، وقد تمال الألف أو الفتحة لأجل ألف أخرى ممالة أو فتحة أخرى ممالة، وقد تمال الألف تشبيها بالألف الممالة، وبسبب كثرة الاستعمال، وللفرق بين الاسم والحرف، فتبلغ الأسباب اثنى عشر سببًا، والله أعلم(٤).

والإمالة بأسبابها المذكورة تحقق نوعًا من التناسب أو التقارب بين الحركة الممالة وبين الحركة التى كانت سببًا فى الإمالة، أو تشعر بأصل الممال، أو بما يعرض له فى بعض تصاريف الكلمة، أو بشبه يدل على ذلك الأصل(٥).

وهى تفيد أيضًا تحقيق السهولة فى النطق؛ لان اللسان ينحدر بالممال نحو الممال إليه، والانحدار أخف على اللسان مع الارتفاع الموجود فى ضد الإمالة وهو الفتح(٦).

وأما نسبة الفتح إلى أهل الحجاز، والإمالة إلى بنى تميم، فليست على إطلاقها؛ لأن بعض هؤلاء وأولئك قد ينطقون بغير ما شاع فى بيئتهم لأسباب تتعلق بطبيعة بلاد العرب، وأنها كانت مفتوحة أمام هجرة القبائل شرقًا وغربًا أو شمالاً وجنوبًا، سعيًا وراء الرزق، أو بسبب ضيق المكان، أو الحروب، أو المصاهرة، أو لأى سبب آخر.

---

(١) ينظر الكتاب ٤ / ١٤٣، وسر الصناعة ١ / ٥٩.

(٢) ينظر سر الصناعة ١ / ٥٩، وإبراز المعانى ٣٢١.

(٣) ينظر الكتاب ٤ / ١٤٠، ١٤١، والنشر ٢ / ٨٢ - ٩٠.

(٤) النشر ٢ / ٣٢. (٥) السابق ٢ / ٣٥ بتصرف.

(٦) ينظر نفس الموضع من السابق.

وقد أدرك سيبويه ذلك ونبه عليه في قوله « واعلم أنه ليس كل من أمال الألفات وافق غيره من العرب ممن يميل، ولكنه قد يخالف كل واحد من الفريقين صاحبه، فينصب بعضٌ ما يميل صاحبَه، ويميل بعضٌ ما ينصب صاحبَه، وكذلك من كان النصب من لغته لا يوافق غيره ممن ينصب، ولكن أمره وأمر صاحبه كأمر الأولين في الكسر، فإذا رأيت عربيا كذلك فلا تُرَيَنّه خلط في لغته، ولكن هذا من أمرهم »(١).

وقد أشار ابن الجزري إلى أن أئمة القراء قد اختلفوا في كون الإمالة فرعا عن الفتح أو أن كلا منهما أصل قائم برأسه، لكنهم اتفقوا على أنهما لغتان فصيحتان صحيحتان، نزل بهما القرآن الكريم(٢).

ومن الشواهد على الإمالة في قراءة ابن وثاب:

قوله تعالى: ﴿ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴾[المائدة: ١٠٢].

الآية والتي قبلها نزلت في النهي عن السؤالات الممتنعة التي هي من قبيل التعنت والشطط، مثل سؤال قوم عيسى المائدة ثم كفرهم بها، وسؤال قوم موسى في شأن البقرة وذبحها، وفي رؤية الله جهرة، وسؤال قوم صالح الناقة، وسؤال قريش آية فلما انشق القمر كفروا وقالوا سحر مستمر(٣)..

وفي هذا الشاهد قراءتان:

الأولى: قراءة الجمهور من القراء السبعة (سالها) بالسين المفتوحة الخالصة الفتح من غير إمالة، وبالهمزة المحققة، ولم ترد فيها الإمالة لعدم وجود السبب المقتضي لها من الكسر أو الياء لا في اللفظ ولا في التقدير؛ لأن الجذر اللغوى للفعل هو السين والهمزة واللام.

وقد وصفت قراءة التحقيق هذه بانها الأصل، وبانها اللغة الفاشية(٤)، وإذا

(١) ينظر الكتاب ٤ / ١٢٥، وينظر الهامش أيضًا.
(٢) النشر ٢ / ٣١، ٣٢.
(٣) ينظر البحر المحيط ٤ / ٣٨٣ ط ١٩٩٢ – دار الفكر – بيروت.
(٤) الدر المصون ١٠ / ٤٤٥ تحقيق د. الخراط.

سهلت الهمزة فى هذه القراءة كان التسهيل بين بين، أى بين الهمزة والفتحة؛ لأنها همزة مفتوحة وما قبلها مفتوح أيضًا.

الثانية: قراءة يحيى بن وثاب وإبراهيم النخعى (قد سالها) بالكسرة والإمالة من غير همزة[1]، أى بإمالة الفتحة التى بعد السين نحو الكسرة، ولا يجوز إخلاص الكسرة؛ لأن ما قبل الألف لا يكون إلا مفتوحًا، فهى فتحة ممالة نحو الكسرة.

والسبب فى هذه الإمالة وجود الكسرة المقدرة فى الفعل؛ لأنه من «سال يسال» مثل «خاف يخاف»، والأصل فيهما قبل الإعلال «سَوِل» و«خَوِفَ»، بالواو المكسورة، ثم أعلت لما تحركت وانفتح ما قبلها، فقلبت ألفا، فالمسوغ للإمالة هو تلك الكسرة التى كانت قبل الإعلال فى الواو.

وقد يكون السبب فى هذه الإمالة أيضًا وجود الكسرة فى بعض تصاريف الكلمة؛ لأنه يقال عند إسناد الفعل إلى تاء الفاعل (سِلْت) بوزن (خِفْت)، فالإمالة وقعت بسبب هذه الكسرة التى بعد السين كما تقع فى خاف لوقوع الكسرة بعد الخاء فى خِفْت[2].

والجذر اللغوى للفعل على هذه القراءة هو السين والواو واللام، وبابه فَعِل يفعل بكسر العين فى الماضى، وبفتحها فى المضارع، والدليل على أن عين الفعل هى الواو وليس الهمزة ما حكاه أبو زيد عن العرب[3]، وحدث به أبو على الفارسى من قولهم «هما يتساولان»[4].

وعلى هذا النهج تحمل قراءة الآية ﴿فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾ [البقرة: ٦١] حيث قرئ الفعل (سِلْتُم) بوزن (بِعْتُم)، وعليه يحمل الفعل فى قول حسان:

سالت هذيل رسول الله فاحشة ... ضلت هذيل بما قالت ولم تصب[5]

---

(١) المختصر لابن خالويه ٤١، ونسبت إلى النخعى وحده فى البحر المحيط ٤ / ٣٨٣، والدر المصون ٤ / ٤٤٢ تحقيق الخراط.

(٢) المحتسب ١ / ٢١٩ بتصرف.

(٣) الدر المصون ١٠ / ٤٤٥.

(٤) المحتسب ١ / ٢٢٠، واللسان والمصباح المنير مادة: (سال).

(٥) الدر المصون ١ / ٣٩٦ تحقيق د. الخراط.

فالفعل فى القراءة وفى البيت جاء على لغة من يقول «سال يسال» مثل «خاف يخاف»، قال الزمخشرى: «وهى لغة قريش، يقولون: سِلْتَ تَسَالُ، وهما يتسايلان[١]، وذلك وإن كان غير بعيد لما عرف عن قريش من عدم الهمز، إلا أن الصواب فيه «هما يتساولان» بالواو كما حكاه أبو زيد وحدث به أبو على الفارسى، وإثبات الزمخشرى له بالياء راجع إما إلى التحريف، وإما إلى الخطأ فى النَّسْخ[٢].

وفى هذا الفعل قراءة ثالثة أثبتها أبو حيان، ونسبها إلى إبراهيم النخعى ويحيى بن وثاب وهى (سِألتم) بكسر السين والهمزة المفتوحة، ثم قال: وهذا من تداخل اللغات[٣].

وهو يشير بتداخل اللغات إلى الجمع بين اللغة التى جذرها السين والهمزة واللام، واللغة التى جذرها السين والواو واللام؛ لأن السين المكسورة تدل على أن القارئين قصدا اللغة الثانية، وأرادا أن تكون القراءة (سِلتم) مثل (خفتم)، وحين كسرا السين توهما أنها مفتوحة، فجاءا بالعين همزة مفتوحة[٤].

والجمع بين اللغتين فى صيغة واحدة جاء فى بيت قيل عنه: «إنه مثال لا نظير له»[٥] وهو قول بلال بن جرير:

إذا ضِفْتَهُمْ أو سأايلتهم وجدْتَ بهم علة حاضِرَهْ[٦]

وفيه جمع الشاعر بين الهمزة التى فى «سألته»، والياء التى فى «سايلته»، ووزنه: فعايلتهم[٧].

---

(١) الكشاف ٤ / ١٥٦.
(٢) البحر المحيط ١٠ / ٢٧١، والدر المصون ١٠ /٤٤٥ تحقيق د. الخراط.
(٣) البحر المحيط ١ / ٣٨٠، والمحتسب ١ / ٨٩.
(٤) السابقين، مع تصرف.
(٥) القاموس المحيط ٤ / ٣٩٢ باب اللام فصل السين.
(٦) الرواية فى البحر المحيط ١ / ٣٨٠ (إذا جئتهم وسايلتهم...).
(٧) ينظر القاموس المحيط ٤ / ٣٩٢، وفى المحتسب ١ / ٩٠ وزنه: فعاعلتهم أهـ وهو الصواب الذى يقتضيه القياس الصرفى.

أو الأصل (ساءلتهم) ثم قلب الهمزة ياء، وجمع بين العوض والمعوض عنه، وقدم الهمزة قبل ألف فاعل اضطراراً[1].

والحاصل أن قراءة يحيى بن وثاب وإبراهيم النخعى : «قد سالها» بالكسر والإمالة، من باب المماثلة الجزئية، أى حدث فيها تقريب الفتحة من الكسرة، أو بتعبير آخر نقول أثرت الكسرة التى كانت فى (سَوِل) قبل الإعلال، أو التى توجد فى التصريف (سِلْتُ) على الفتحة الموجودة فى (سالها) فحولتها إلى فتحة ممالة نحو الكسرة، ولا يجوز تحويلها إلى كسرة خالصة؛ لأن ما قبل الألف لا يكون إلا مفتوحاً.

والإمالة فى هذه القراءة تحقق نوعًا من التجانس والانسجام بين الحركة الممالة، وبين السبب فى الإمالة، وهو الكسرة المقدرة أو الموجودة فى بعض تصاريف الكلمة.

وقراءة يحيى بن وثاب لهذا الفعل بالإمالة موافقة لما شاع فى البيئة التى كان يعيش فيها وهى الكوفة؛ حيث كانت القبائل البدوية تنزل فيها وفى الأماكن القريبة منها، وموافقة لانتمائه إلى قبيلة بنى أسد بالولاء، وهؤلاء ممن عرف عنهم الإمالة كمظهر من مظاهر السرعة فى الأداء والنطق.

● المماثلة الجزئية فى حرف الشرط «لَوْ» :

من ذلك قوله تعالى : ﴿ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ ﴾ [آل عمران : ٩١].

وقوله تعالى : ﴿ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا ﴾ [الكهف : ١٨].

وقوله تعالى : ﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾ [المؤمنون : ٧١].

وقوله تعالى : ﴿ وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴾ [الجن : ١٦].

---

(١) البحر المحيط ١/ ٣٨٠، والمحتسب ١/ ٩٠ بتصرف.

حرف الشرط غير الجازم (لو) الأصل في الواو منه أن تكون ساكنة، شأنه شأن الأدوات المبنية على حرفين نحو هل وبل، وهي تستعمل كذلك ما لم يقع بعدها ساكن، فإذا وقع بعدها ساكن حركت الواو بالكسر على الأصل في التخلص من الساكنين، هذا هو الشائع في الأستعمال، والمطرد في القياس.

وعلى هذا الأصل وردت قراءة جماعة القراء وجمهورهم وعامتهم، فقرءوا بكسر الواو من (لو) في الآيات المتقدمة[1].

وهناك قراءة أخرى تضم واو (لو) من الآيات السابقة، وقد نسب الضم في آية آل عمران إلى الأعمش والمطوعي[2]، وفي آية الكهف إلى يحيى بن وثاب والأعمش وأبي جعفر ونافع وشيبة[3]، والمطوعي[4]، وفي آية المؤمنون إلى يحيى بن وثاب[5]، وابن أبي إسحاق والجحدري[6]، وفي آية الجن إلى يحيى بن وثاب، والأعمش[7]، والمطوعي[8].

وهذه القراءة التي تضم الواو من (لو) جرت على خلاف الشائع في الاستعمال، وعلى خلاف القياس أيضًا؛ ولذا قال ابن جني: «والضم في هذه الواو قليل»[9].

وقد عللوا لضم هذه الواو قبل الساكن بأنها لما أشبهت واو الجماعة المتصلة بالفعل في قوله تعالى: ﴿اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ﴾ [البقرة: ١٦] عوملت معاملتها في كون الضمة هي الأنسب للواو[10].

---

(١) ينظر المحتسب ٢/٩٧، ٩٨، والبحر المحيط ٥/١٩٦، ٦/٣٩٥، ٧/١٥٤، ١٠/٣٠٠، والدر المصون ٧/ ٤٦١ تحقيق د. الخراط.

(٢) المختصر لابن خالويه ٢٨، والإتحاف ١/ ٤٨٥.

(٣) البحر المحيط ٧/ ١٥٤.

(٤) الدر المصون ٧/ ٤٦١ والسابق من الإتحاف.

(٥) البحر المحيط ٧/ ٥٧٤، والدر المصون ٥/ ١٩٦ط ١٩٩٤م.

(٦) المختصر لابن خالوية ١٠٠.

(٧) البحر المحيط ١٠/٣٠٠، والدر المصون ٦/ ٣٩٥ - ط ١٩٩٤م - الأولى.

(٨) المحتسب ٢/٣٣٣، والدر المصون ١٠/ ٤٩٥ تحقيق الخراط - والاتحاف ١/ ٤٨٥.

(٩) المحتسب ٢/٩٧، ٩٨.

(١٠) الدر المصون ٥/١٩٦، ٦/ ٣٩٥ ط ١٩٩٤ - الأولى.

ولا نبعد عن ذلك كثيراً إذا قلنا إن الواو الشبيهة بالصائت قد أثرت فى الكسرة الواقعة بعدها على قراءة الجمهور، فاجتذبتها إليها، وحولتها ضمة على سبيل المماثلة التقدمية بين شبه الصائت والصائت؛ وإنما كانت الواو هى الأقوى، لشبهها بالصائت من جهة، وبالصامت من جهة أخرى، وقدرتها على الاستقلال عن الحركة، بينما هى لا تستقل عنه أبداً، يضاف إلى ذلك «أن الضمة بعد الواو أخف من الكسرة بعد الواو؛ لأن الضمة من جنس الواو»[1]، وبها يتحقق لون من الانسجام الصوتى، ومن التناسب بين الصائت وشبه الصائت لا نكاد نجده بين الواو والكسرة.

وتصنف هذه المماثلة على أنها من باب المماثلة الجزئية؛ لأن الصوت الذى تاثر وهو الكسرة لم يتحول إلى مثل الصوت الذى أثّر فيه وهو الواو الشبيهة بالصائت، وإنما تحول إلى شىء من جنسه، وقريب منه فى المخرج[2].

* * *

---

(١) ينظر الفتوحات الإلهية ١/ ٢٠.

(٢) ينظر مربع دانيال جونز فى كتب الأصوات.

المبحث الثالث

«تعاقب الحركات»

١ - الفتح والضم والكسر فى فاء الكلمة:

● ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ [المائدة: ١٣].

قرأها الجمهور «قاسية» على صيغة اسم الفاعل من قسايقسو إذا صلب واشتد[١]، وهى لغير حمزة والكسائى من السبعة[٢]، وأصلها «قاسوَة» انقلبت الواو ياء لكسرة السين[٣]، أى أثرت الكسرة المتقدمة - وهى الأقوى بحكم تكوينها كما سبق، وبحكم تقدمها فى الموقع - على شبه الصائت «الواو المتحركة» تأثيراً تقدمياً وجزئياً، فحولتها إلى شبه صائت من جنس الكسرة، وهو الياء المتحركة.

والمعنى على هذه القراءة صيّرنا قلوبهم شديدة، أى خالية من اللين والرحمة والخشوع.

وقرأها حمزة والكسائى «قَسِيَّة» بوزن «مَطِيَّة»[٤] أى بفتح القاف وكسر السين وتشديد الياء مع حذف الألف، ووافقهما الأعمش[٥]، وهى قراءة عبد الله ابن مسعود[٦]، وإبراهيم النخعى ويحيى بن وثاب[٧].

---

(١) البحر المحيط ٤ / ٢٠٤، والدر المصون ٤ / ٢٢٢، والإتحاف ١ / ٥٣١.

(٢) كتاب السبعة ٢٤٣، سراج القارئ المبتدئ ١٩٨.

(٣) الحجة لابن خالويه ١٢٩.

(٤) كتاب السبعة ٢٤٣، وسراج القارئ المبتدى ١٩٨.

(٥) الاتحاف ١ / ٥٣١.

(٦) البحر المحيط ٤ / ٢٠٤، والدر المصون ٤ / ٢٢٢.

(٧) فتح القدير ٢ / ٣٣، الطبعة الأولى ١٩٩٣م، دار الحديث بالقاهرة.

وأصل الكلمة قبل الإعلال على هذه القراءة «قَسِيوَة» بوزن «فعيلة»، فلما اجتمعت الواو والياء، والسابق ساكن قلبت الواو ياء، وأدغمت في الياء[1]، وهنا نقول بمنطق علم التشكيل الصوتى إن الكسرة الطويلة بحكم تكوينها وموقعها المتقدم أثرت في شبه الصائت الخلفى المتأخر في الموقع تأثيراً تقدميا وجزئيا فحولته إلى شبه صائت أمامى وهو الياء المتحركة، ثم حدثت مماثلة رجعية، عندما تحول الصائت الطويل إلى صائت قصير وشبه صائت أمامى، وتم الإدغام.

وقد اختلف المتقدمون في لفظة «قسية» التى وردت بها القراءة السابقة، فقال أبو على الفارسى إنها ليست من ألفاظ العرب في الأصل، وإنما هى كلمة أعجمية معربة[2]، يعنى أنها مأخوذة من قولهم درهم قَسِيٌّ أى مغشوش، شبه قلوبهم في كونها غير صافية من الكدر بالدراهم المغشوشة الردية غير الخالصة، وقد ورد ذكر القسيات بالمعنى المشار إليه في قول أبى زيد:

لها صواهل في صُمِّ السِّلام كما صاح القسيات في أيدى الصياريفِ

وفى قول الآخر:

فما زودونى غير سحق عمامة وخمس مىءٍ منها قَسِيٌّ وزائفُ

ويكون المعنى على هذا التأصيل: وجعلنا قلوبهم «رديئة لا ترق بالرحمة»[3].

وقد جعل الزمخشرى والمبرد «قسيَّة» في القراءة المذكورة من ألفاظ العرب المشتقة من القسوة، كقراءة الجمهور السابقة، وإنما جاء على فعيل للمبالغة فقولهم قاسٍ وقَسِيٌّ، كشاهد وشهيد، والتاء في آخره للتأنيث؛ لأن الوصف للجماعة[4].

---

(١) الحجة لابن خالوية ١٢٩.

(٢) الحجة لأبى على الفارسى جـ٣ ص ٢١٧، ونقل عنه ذلك في البحر المحيط ٤ / ٢٠٥ وفى الدر المصون ٤ / ٢٢٢.

(٣) الحجة لابن خالويه ١٢٩.

(٤) الكشاف ١ / ٦١٥ دار الريان للتراث ١٩٨٧، والبحر المحيط ٤ / ٢٠٥، والدر المصون ٤ / ٢٢٢ بتصرف.

وهناك قراءة ثالثة وهى «قِسِيَّة» بكسر القاف والسين مع الياء المشددة(١)، وأصلها القراءة السابقة؛ وإنما كسرت القاف على جهة الإتباع للسين المكسورة أى حدثت فيه مماثلة رجعية، حيث أثرت كسرة السين المتحصنة بالياءين الشبيهتين بالصائت في الفتحة المتقدمة، فحولتها إلى كسرة مماثلة.

بقيت القراءة الرابعة وهى «قُسِيّة» بضم القاف وكسر السين، مع الياء المشددة، وهى منسوبة إلى الهيضم بن شداخ، وإلى يحيى بن وثاب(٢).

وقد اختلفوا فى بنائها، فقال بعضهم هى مصدر على «فُعُولة»، مثل الحزونة والسهولة، وقال آخرون هى جمع على «فُعُولة» أيضًا، والواحد قاسٍ، كما قالوا: عاتٍ وعُتِيّ، وباكٍ وبُكِيّ، ثم زادوا التاء للتأنيث كما فى حجار وحجارة، وفحول وفحولة(٣).

ويبدو - والله أعلم - أن ضم القاف الذى أثر عن يحيى بن وثاب يمثل نوعًا من المخالفة بين الفونيمات المتماثلة عند القبائل البدوية، ومنها قبيلة أسد التى عاش ابن وثاب فى كنفها طوال حياته، أما الفتح فقد كان منتشرا بين أهل الحجاز؛ لأنه الحركة الخفيفة المحببة إليهم، وقد تحول الفتح فى ألسنة بعض البدو إلى الكسر تحقيقا لمبدأ الانسجام الصوتى بين الحركات المتجاورة، دعاهم إلى ذلك العامل النفسى العضوى المتمثل فى الإسراع بالحركة عن موضعها إلى موضع ما يليها(٤).

وبناء على ذلك تكون قراءة ابن وثاب بالضم ممثلة للبيئة التى كان يعيش فيها، وهى الكوفة حيث كانت محط رحال القبائل البدوية أو قريبة من مساكنهم، وتكن قراءته بالفتح صدى لقراءة شيوخه الحجازيين الذين تنتهى إليهم قراءته كزيد بن ثابت، وعلى بن أبى طالب، وأبى بن كعب وعثمان بن عفان وغيرهم.

---

(١) بدون نسبة إلى أحد من القراء فى المختصر لابن خالوية ٣٨، والكشاف ١ / ٦٠٠، والبحر المحيط ٤ / ٢٠٥، والدر المصون ٤ / ٢٢٢.

(٢) المختصر لابن خالويه ٣٨، والبحر المحيط ٤ / ٢٠٥، والدر المصون ٤ / ٢٢٢.

(٣) ينظر إعراب القراءات الشواذ للعكبرى ١ / ٤٣١.

(٤) ينظر أثر القراءات فى الأصوات والنحو العربى من ٢٣١ - ٢٣٩.

• ومما تعاقبت الحركات الثلاث على فائه:

قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلاَّ كَبِيرًا لَّهُمْ﴾ [الأنبياء: ٥٨].

المعنى جعلهم حطامًا وفتاتا، وقال أبو حاتم: فى «جذاذ» لغات، هى جذاذ بالضم، وجذاذ بالكسر، وجذاذ بالفتح، قال قطرب: هى فى لغاتها كلها مصدر، يقال: جذّ الشيء يجذه جذّا، وجُذاذا، وجَذاذا، وجِذاذا، وهى لاتثنى ولا تجمع ولا تؤنث[١].

وضم الجيم من تلك اللفظة هو الأفصح[٢]، والأجود[٣]، والأكثر[٤]، وبه قرأ جمهور القراء وعامتهم[٥].

أما كسر الجيم فقد قرأ به يحيى بن وثاب[٦]، وهو قراءة الكسائى والأعمش وابن محيصن بخلف عنه[٧]، وزاد أبو حيان ابن مقسم وأبا حيوة وحميدا[٨].

والكسر فيما زعموا لغة[٩]، أو الكسر والضم لغتان[١٠].

وأما فتح الجيم جذاذا) فقد نسبه السمين الحلبى إلى ابن عباس، وأبى نهيك، وأبى السمال[١١].

ونسب إلى يحيى بن وثاب أيضًا أنه قرأ (جُذُذا) بضمتين دون ألف بين الذالين[١٢].

---

(١) ينظر المحتسب ٢/ ٦٤، والبحر المحيط ٧/ ٤٤٥، والدر المصون ٨/ ١٧٣، والفتوحات الإلهية ٣/ ١٣٣.

(٢) لسان العرب ١/ ٥٧٤ (جذذ).

(٣) البحر المحيط ٧/ ٤٤٥.

(٤) إبراز المعانى لأبى شامة ٥٩٩.

(٥) كتاب السبعة ٤٢٩، معانى القرآن للفراء ٢/ ٢٠٦، البحر المحيط ٧/ ٤٤٥، والدر المصون ٨/١٧٣ والفتوحات الإلهية ٣/ ١٣٣، تفسير الطبرى ١٧/ ٢٨، سراج القارئ المبتدى ٢٩٣، وغيث النفع ٢٩٤، والنشر ٢/ ٣٢٤، والإتحاف ٢/ ٢٦٥.

(٦) معانى القرآن للفراء ٢/ ٢٠٦.

(٧) الإتحاف ٢/ ٢٦٥ ونسب فى الد المصون ٨/ ١٧٣ إلى الكسائى وحده، وفى إبراز المعانى ٥٩٩ إلى الأعمش وحده.

(٨) البحر المحيط ٧/ ٤٤٥.

(٩) إبراز المعانى لأبى شامة ٥٩٩.

(١٠) غيث النفع ٢٩٤، والإتحاف ٢/ ٢٦٥.

(١١) الدر المصون ٨/ ١٧٣.

(١٢) المختصر لابن خالويه ٩٤، والبحر ٧/ ٤٤٥، والدر المصون ٨/ ١٧٣.

وهناك قراءة خامسة وهى (جَذَذًا) بفتحتين دونَ ألف بين الذالين أيضًا، لكنها لم تنسب إلى أحد فيما اطلعت عليه(١).

والقراءتان الأولى والثانية تحتملان المصدرية كما سبق، وتحتملان الجمع، فتكون قراءة الضم جمع جذاذة، على مثال زجاجة وزُجاج، وقرادة وقراد، وتكون قراءة الكسر جمع جذيذ مثال كريم وكرام وخفيف وخفاف، وتحتمل الأخيرة أيضًا أن تكون جمع جِذاذة بالكسر أيضًا(٢).

وتحتمل قراءة الضم أيضًا أن تكون من قبيل المفرد الذى يؤدى معنى الجمع، فيكون الجُذاذ كالحطام والرفات والفتات(٣).

أما قراءة الفتح فهى مصدر كالحصاد بمعنى المحصود، ومعنى « جعلهم جَذَاذا » أى مجذوذين(٤).

وأما قراء ابن وثاب (جُذُذا) بضمتين فهى جمع جذيذ، كقليب وقُلُب، وجديد وجُدُد، والمعنى جعلهم قطعا كثيرة وأجزاء متفرقة(٥).

والقراءة الخامسة (جَذَذا) بفتحتين مصدر على فعل بمعنى مفعول، والمعنى جعلهم مقطعين ومفتتين(٦).

وأورد أبو حيان قراءة سادسة ولم ينسبها أيضًا، وهى (جُذَذا) بضم الجيم وفتح الذال مخففا من (فُعُل) كسُرَر فى سُرُرٍ، جمع سرير، وهى لغة لبنى كلب، وقد تكون جمع جُذَّة، كقبَّة وقُبَب(٧).

وعلى القول بالتخفيف من (فُعُل) بضمتين تكون هذه القراءة (جُذَذًا) متفرعة عن قراءة يحيى بن وثاب التى تضم الجيم والذال، والذى دعا إلى هذا التفريع بفتح الذال هو ان الضمة حركة خلفية ثقيلة، بل هى أثقل الحركات،

---

(١) نفس الموضع السابق من البحر والدر.
(٢) السابقين، واللسان ١/ ٥٧٤ (جذذ)، والإتحاف ٢/ ٢٦٥، والفتوحات ٣/ ١٣٣.
(٣) إبراز المعانى ٥٩٩، والسابق من الفتوحات.
(٤) السابقين.
(٥) الدر المصون ٨/ ١٧٣.
(٦) السابق.
(٧) البحر ٧/ ٤٤٥، والدر ٨/ ١٧٣.

وأخف منها الكسرة، والفتحة أخفهن جميعًا[١]، فأصحاب هذه اللغة وهم بنو كلب فروا مما يستثقل وهو توالى الضمتين[٢] إلى ابدال الفتحة من الضمة الثانية، وذلك يجعل المقطع الأول مختومًا بأثقل الحركات، والمقطع الثانى مختوما باخف الحركات وهى الفتحة، وفى ذلك نوع من التوازن، ومن تخفيف العبء على الجهاز النطقى.

٢ - الضم والكسر فى فاء الكلمة:

● من ذلك قوله تعالى: ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا﴾ [البقرة: ٦١].

القثاء: اسم لما يسميه الناس الخيار والعجور والفقوس، وزنها «فِعَّال» وهمزتها أصلية، ووحداتها قثاءة، وفيها لغتان، كسر القاف وضمها والكسر أكثر وأعرف[٣]، وهو المشهور[٤].

وعلى هذه اللغة الكثيرة المشهورة وردت قراءة الجمهور من القراء «وقثائها» بكسر القاف[٥].

وجاءت قراءة يحيى بن وثاب، والأشهب، وطلحة بن مصرف والأعمش - بضم القاف منها[٦] وهى لغة[٧].

ويبدو أن لغة الكسر هى الأكثر فى الاستعمال والدوران على ألسنة العرب، أما لغة الضم فهى وإن كانت قليلة الذيوع والانتشار إذا ما قورنت بلغة الكسر-

---

(١) خصائص اللغة العربية ٧٤ د. محمد حسن جبل وشرح الرضى على الشافية ١/ ٤٤.

(٢) شرح الرضى على الشافية ١/ ٤٤.

(٣) اللسان ٥/ ٣٥٣٣ (قثا)، والمصباح ٤٩٠ (قثا)، وتاج العروس ١/ ١٠٠ قثا.

(٤) الدر المصون ١/ ٢٤٠ ط ١٩٩٤م.

(٥) معانى القرآن وإعرابه للزجاج ١/ ١١٥.

(٦) نسبت القراءة بضم القاف إلى الأول فى مختصر ابن خالوية ١٣، وإلى الأول والثانى فى المحتسب ١/ ٨٧، وإلى الأول والثالث فى البحر المحيط ١/ ٣٧٦، وإلى الثالث والرابع فى تفسير الرازى ٣/ ٩٩.

(٧) السابق من البحر المحيط.

فإن لها وجها من القياس اللغوى نبه إليه ابن جنى فى قوله: «والضم حسن الطريقة؛ وذلك أنه من النوابت، وقد كثر عنهم فيها (الفُعَّال) كالزُّباد، والقُلام، والعُلام، والثُّفاء، والرُّمان»[(١)].

وربما كان هذا التوازن بين جريان لغة الكسر فى الاستعمال، وقوة لغة الضم فى القياس، هو الذى جعل ابن دريد كأنه يسوى بين لغة الكسر والضم[(٢)].

ويبدو أن كثرة استعمال الصيغة المكسورة الأول راجع إلى خفة الكسر بالنسبة إلى الضم؛ لأن الأول ينسب إلى مقدم اللسان، وعضلة اللسان فى الطرف أكثر مرونة وأسهل فى الحركة منها فى المؤخر؛ ولذا مالت قبائل الحجاز إلى الكسر، بينما مالت قبائل تميم إلى الضم فى معظم ما جاء الكسر والضم فى فائه[(٣)].

● ومن الشواهد أيضًا قوله تعالى: ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [المائدة: ٨٩].

الكسوة هى اللباس، يجوز فيها ضم الكاف وكسرها، والضم أشهر كما قاله ابن السيد، وعند العامة الكسر أشهر[(٤)] وتجىء الكسوة مصدراً، واسما للشىء المكسوّ، وتجمع على كُسىً مثل مدية ومدى.

وقراءة الجمهور «أو كسوتهم» بكسر الكاف»[(٥)].

وقرأها «أو كسوتهم» بضم الكاف يحيى بن وثاب، وأبو عبد الرحمن السلمى، وإبراهيم النخعى، وسعيد بن المسيب[(٦)].

وعلى هذا النهج وردت ألفاظ غير قليلة ليس بينها اختلاف غير ضم الفاء

---

(١) المحتسب ١ / ٨٧ – والزُّباد: نبات له ورق عراض وسنفة، طيب يأكله الناس. والقلام: ضرب من الحمض. والعلام: الحناء. والثفاء: الخردل.

(٢) ينظر جمهرة اللغة ١ / ٤٦ (قثا)، وقارن مع البحر المحيط ١ / ٣٥٤.

(٣) انظر اللهجات العربية فى الترث ٢٥٢ – ٢٥٦.

(٤) ينظر تاج العروس ١٠ / ٣١٥ (كسا).

(٥) الدر المصون ٤ / ٤٠٩ تحقيق د. الخراط.

(٦) نسبت قراءة الضم إلى الأول والثانى فى المختصر لابن خالويه ٤٠، وإلى الثانى والثالث والرابع فى البحر المحيط ٤ / ٣٥٣، وفى الدرالمصون ٤ / ٤٠٩.

وكسرها، وقد ذكر ابن قتيبة وابن سيده بضعة وثلاثين كلمة جاءت بالوجهين[1]، وكان الضم فيها يمثل لغة القبائل التميمية، والكسر يمثل لغة القبائل الحجازية، للعلة التى أوضحناها فيما سبق.

٣ - الفتح والضم والكسر فى لام الكلمة:

● من ذلك فى قوله تعالى: ﴿وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ..﴾ [النساء:١٦٣].

● وقوله: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ﴾ [يوسف: ٧].

ذكرت المصادر أن «يوسف» مما تعددت اللغات فيه، وقد أورد فيه صاحب تاج العروس نقلا عن الفراء ثلاث لغات هى فتح السين وكسرها وضمها، وحكى فيه الهمز أيضًا، فتصير ست لغات[2].

وهو اسم عبرانى[3]، وليس عربيًا كما قد يتوهم من وضعه فى فصل الهمزة فى القاموس والتاج، وفى باب الهمزة فى اللسان[4]، قال أبو حيان: ومنع الصرف دليل على بطلان قول من ذهب إلى أنه عربى مشتق من الأسف[5].

وقال العكبرى: يوسف فيه ست لغات، ضم السين وكسرها وفتحها من غير همز، وكذلك مع الهمز، وقد قرىء بهن[6].

وحكى تثليث النون مع الهمز فى «يونس»، أى تصل اللغات فيه إلى ست لغات أيضًا، غير أن السمين الحلبى قال: «لا أعلم أنه قرىء بشىء من لغات الهمز»[7].

---

(١) ينظر أدب الكاتب ٥٤٠، والمخصص ١٥/ ٩٢، ٩٣.
(٢) تاج العروس ٦/ ٤١ (أسف) وقارن مع القاموس المحيط ٣/ ١١٧ (أسف).
(٣) البحر المحيط ٦/ ٢٣٦، والفتوحات الإلهية ٢/ ٤٣٣.
(٤) القاموس المحيط ٣/ ١١٧ أسف، وتاج العروس ٦/ ٤١ (أسف) واللسان ١/ ٨٠ أسف.
(٥) البحر المحيط ٦/ ٢٣٦.
(٦) إعراب القراءات الشواذ للعكبرى ١/ ٦٧٩، وانظر لسان العرب ١/ ٨٠ (أسف).
(٧) الدر المصون ٢/ ٤٦٤ ط ١٩٩٤م.

● والقراءة بضم السين والنون من (يوسف ويونس) مع عدم الهمز هى القراءة المشهورة التى قرأ بها جمهور القراء، وهى لغة أهل الحجاز، وأفصح من بقية اللغات الأخرى[١].

● وبعض بنى أسد يهمز ويضم النون من « يونس »[٢]، وهذه اللغة البدوية تقابل اللغة السابقة المأثورة عن أهل الحجاز الحضريين.

● وبعض العرب يهمز ويكسر النون من « يونس »[٣]، وعلى هذه اللغة جاءت قراءة طلحة بن مصرف « لقد كان فى يوسف » بالهمز وكسر السين[٤]، ومن المرجح أن هؤلاء العرب كانوا من البدو الذين اعتادوا النبر بالهمز فى كلامهم.

وفى مقابل هؤلاء يوجد من العرب من يكسر النون والسين من « يونس ويوسف » ولا يهمز، وعلى لغتهم جاءت قراءة نافع - فى رواية ابن جماز - للكلمة الأولى[٥]، وجاءت قراءة الحضرمى، وابن وثاب، وابن مصرف، والحسن للكلمة الثانية[٦]، ويرجح أن العرب الذين كانوا يسيرون على هذا النهج كانوا من أهل الحضر، ومجيئها فى قراءة ابن وثاب إنما هو صدى لقراءته التى لها أصول حجازية[٧].

بقيَت لغتان من جملة اللغات الست التى ذكرها العلماء فى الكلمتين المذكورتين، وقد ذكرهما أبو حيان عندما نسب إلى طلحة بن مصرف أنه قرأ لفظة « يوسف » بالهمز وفتح السين[٨]، وعندما نسب إلى إبراهيم النخعى ويحيى

---

(١) ينظر الكشاف ٢ / ٤٤١ دار الريان للتراث ط - الثالثة ١٩٨٧م، والبحر المحيط ٤ / ١٣٧، والدر المصون ٢ / ٤٦٤، والفتوحات الإلهية ١ / ٤٤٨، وفتح القدير ٣ / ٤.
(٢) البحر المحيط ٤ / ١٣٧، وشواذ القراءة للكرمانى ورقة ٦٦.
(٣) السابق من البحر المحيط.
(٤) تاج العروس ٦ / ٤١ (أسف).
(٥) البحر ٤ / ١٣٧، والدر المصون ٢ / ٤٦٤ ط ١٩٩٤م، الفتوحات الإهلية ١ / ٤٤٨.
(٦) المختصر لابن خالويه ٦٦، والقرطبى ٦ / ١٦.
(٧) يراجع شيوخه وسندهم فى القراءة، وذلك فى الفصل الأول من هذا البحث.
(٨) البحر المحيط ٦ / ٢٣٦، وانظر فتح القدير ٣ / ٥.

ابن وثاب أنهما فتحا النون من (يونس) مع عدم الهمز، وقد عزا أبو حيان وتلميذه السمين الحلبى هذه اللغة لبعض بنى عقيل[(١)].

وغاية ما يمكن قوله أن اللغات التى تهمز اللفظين لغات بدوية، ذلك ما قرره ابن منظور فى قوله: قال أبو زيد: أهل الحجاز وهذيل وأهل مكة والمدينة لا ينبرون[(٢)]، أى لا ينطقون بالهمز فى معظم كلامهم، وبناء على ذلك يكون طلحة بن مصرف تلميذ ابن وثاب ممثلا فيما أثر عنه – من همز يوسف مع فتح السين أو كسرها – للغة أهل البادية ممن عاشوا فى الكوفة أو قريبا منها، ولم يكن من المستغرب أن ينطق بنو أسد لفظة « يونس » بالهمز وضم النون أيضاً.

وأما اللغات التى لا همز فيها فهى لغات حضرية دأب الناطقون بها على التخلص من الهمز فى كلامهم، ولذا نسب الضم مع عدم الهمز إلى أهل الحجاز[(٣)]، وقد كانت هذه اللغة هى المعتمدة فى القراءات السبعية والعشرية المتواترة لكونها جاءت على الصيغة المتمحضة للاسمية (فُعْلُل) ولا يصح تقديرها بوزن « يُفْعُل » بضم الأول والثالث لانه مفقود فى وزن الفعل، ويليها فى الاستعمال لغة وقراءة كسر السين أو النون مع عدم الهمز؛ لأنها جاءت على صورة يجيء عليها المضارع المبنى للفاعل، وهى « يُفْعِل »، أما الصورة الثالثة من عدم الهمز وفتح النون أو السين وهى « يُونَس » و« يُوسَف » فهى الأقل لغة وقراءة، إذ لم يقرأ بها غير إبراهيم النخعى وابن وثاب، وعزيت إلى بعض بنى عقيل لا إلى جمعيهم، وربما كان السبب فى قلتها مجيئها على صورة موغلة فى شبه الفعل، وهى صورة « يُفْعَل » المختصة بالمضارع المبنى للمفعول.

* * *

---

(١) البحر المحيط ٤ / ١٣٧، والدر المصون ٢ / ٤٦٤ ط ١٩٩٤م، وانظر المختصر لابن خالويه ٦٦، وتفسير القرطبى ٦ / ١٧.

(٢) مقدمة لسان العرب ١ / ٢٦.

(٣) البحر المحيط ٤ / ١٣٧.

المبحث الرابع

«التلتلة أو كسر حروف المضارعة

● تمهيد حول المصطلح:

المطالع لمادة (ت ل ل) فى لسان العرب يجد أن التلّ يجىء مصدرا، ويراد منه الإلقاء إلى الأرض، أو صب الحبل فى البئر عند الاستسقاء، ويجيء اسما، ويقصد به الرابية المرتفعة من الأرض.

أما التلتلة فقد وردت اسما للمَشْرَبَةِ، وسميت بذلك لأنه يُصبُّ ما فيها فى الحلق، ووردت بمعنى الشدّة، وبمعنى التحريك والإقلاق، واشتق منها الفعل: تلتله - أى زعزعه وأقلقه وزلزله[١].

أما فى إصطلاح أهل اللغة فالتلتلة تعنى كسر تاء تفعلون، يقولون: تِعلمون وتِشهدون ونحوه والله أعلم[٢].

والمتامل فيما سبق يمكنه الربط بين المعنى اللغوى والاصطلاحى، وذلك بالنظر لما يحدث فى تحويل الحركة التى يحملها حرف المضارعة من الفتحة إلى الكسرة، حيث نلاحظ فى الخط أن الحركة ألقيت من فوق الحرف إلى تحته وأسفله، فكأن الفتحة الفوقية قد زعزعت وحركت من مكانها المعتاد الذى هو فوق الحرف الصامت وهو بمثابة الرابية، إلى تحت ذلك الحرف وهو بمثابة الأرض منه - هذا بالنظر إلى الكتابة.

أما بالنظر إلى ما يجرى فى أعضاء النطق - وهو الأهم - فإننا نجد الفتحة التى ينبسط بها اللسان فى قاع الفم إذا تحولت إلى الكسرة أقلق اللسان وزعزع وحرك من مكانه، فاتجه مقدمه نحو مقدم الحنك الأعلى دون حفيف، ومعلوم أن المجرى فى الفم مع الفتحة يكون أوسع منه مع الكسرة، وكلما ضاق المجرى اندفع

---

(١) اللسان ١/ ٤٤١ (تلل) بتصرف.

(٢) السابق ١/ ٤٤٢.

الهواء بشدة، فينصبُّ الهواء إلى خارج الفم انصبابا، كما ينصب الحبل في البئر، أو كما يندفع المشروب من التلتلة (المَشْرَبَة) إلى حلق الشارب وجوفه.

وبناء على ذلك التصور من الربط بين المعنيين نقول بأنه لا علاقة بين مصطلح «التلتلة» وبين حرف التاء؛ لأن هذا الأخير ليست له خصوصية تميزه عن سائر الحروف فيختص بظاهرة معينة في ألسنة اللاهجين بالعربية، وربما كان رصد العلماء لتكرار التاء في المصطلح هو الذي أوحى لهم بربط التلتلة مع كسر التاء في أول المضارع، وإلا فإن كسر أول المضارع واقع في كل حروف المضارعة[1] غير أنه يقع بدرجات مختلفة، وسوف يتضح لنا ذلك من عرض الحالات التي يكسر فيها حرف المضارعة، ثم من الأمثلة التطبيقية عليها من قراءة يحيى بن وثاب.

الحالات التي يكسر فيها أول المضاع:

● **أولاً**: يكسر حرف المضارعة من الأفعال المضارعة التي جاءت على (يفعَل) بفتح العين، وكان الماضي منها على (فَعِل) بكسر العين، ما لم يكن حرف المضارعة ياء، فغير أهل الحجاز يقولون: تِعجب وتِعلم وتِركب، وأنا إِعجب، وأنت تِعلم، ونحن نِركب.

أما المبدوء بالياء من هذا النوع فقدا استثقلوا (أوكرهوا) الكسرة في الياء، فالزموها الفتح، حيث لم يخافوا انتقاص معنى[2].

وقد شذ عن هذه القاعدة قولهم: (يِئْبى) و(يِيجِلْ) بكسر ياء المضارعة منهما؛ وذلك لأن الفعل الأول خالف القاعدة بكون ماضيه على (فَعَل) بفتح العين، وبكون المضارع منه مبدوءا بالياء[3]، أما الثاني فشذوذه من قبل أنه مبدوء بالياء، وهم يستثقلون الكسرة عليها[4].

---

(١) انظر درة الغواص في أوهام الخواص للحريري ١٧٤.

(٢) انظر الكتاب لسيبويه ٤ / ١١٠ وقارن مع لهجات العرب لأحمد تيمور ٩٢، ٩٣.

(٣) قال أبو حيان في الارتشاف ١ / ١٨٣: فأما مضارع (أبى) فالذين يكسرون حرف المضاعة إلا الياء يكسرونه مطلقا في الياء وفي غيرها، وإن لم يكن على (فَعِل) بكسر العين، وقد سمع ذلك فيه أهـ قارن مع الكتاب لسيبويه ٤ / ١١٠، ١١١.

(٤) قال صاحب الارتشاف ١ / ١٨٢: وَجِلَ المكسور العين مضارعه على يفعَل بفتح =

ومهما قيل فى تبرير الشذوذ فى الأول من أنّ مجىء المضارع على (يفعَل) بفتح العين منه جعله كأن الماضى منه على (فَعِل) بكسرها؛ لأن القياس مخالفة عين المضارع للماضى فى الحركة[1].

فإن ذلك يعنى للباحث الوصفى شيئًا واحدًا، وهو أن كسر حرف المضارعة الذى هو الياء قد سمع من العرب[2]، وأنه ليس بالضرورة أن يكون الماضى مما كسر منه حرف المضارعة على وزن « فَعِل » بكسر العين، وغاية ما يقال فى هذا الشأن أن الكسر فى حروف المضارعة كلها ورد عن العرب غير أنه متفاوت فيها، فهو « فى النون والتاء من بين حروف المضارعة أكثر »[3]، وقليل فى الهمزة، وأقل فى المبدوء بالياء.

ونقول أيضًا إن كسر حرف المضارعة فيما كان وزنه « فَعِل يفعل » كعلم يعلم – كثيرٌ، وفيما عداه وارد لكنه قليل، وهذا ما ستوضحه الأمثلة الآتية:

أمثلة تطبيقية وافقت القواعد:

● من ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ [البقرة: ٣٥].

الفعل (تقربا) يأتى من باب تعب، فيقال: قربت هذا الأمر أقربه، بمعنى فعلته أو دانيته، ويأتى من باب قتل، فيقال: قربته أقرُبُه، بنفس المعنى[4].

وقد قرأ يحيى بن وثاب (تِقربا) بكسر التاء[5] وهذه القراءة تحمل على اللغة الأولى التى يجىء فيها الفعل من باب تعب.

= العين، وهى لغة قريش وكنانة. وأهل الكسر مختلفون فمنهم من يكسر مطلقا، وهى لغة تميم، فتنقلب تلك الواو ياء – ومنهم من يكسر إلا فى الياء فيفتح، وهى لغة بنى عامر، وقوم من هؤلاء يقلبون الواو الفا فيقولون: يَاجَل، وتاجل – ومنهم من يقلبها ياء فيقول: يِيجِل، وتِيجِل، ونِيجِل، وإِيجِل أهـ قارن مع الكتاب لسيبويه ٤ / ١١١، ١١٢.

(١) انظر الكتاب ٤ / ١١٠، ١١١.

(٢) قال أبو حيان فى البحر المحيط ٩ / ٧٨: بعض كلب يكسرون الياء أيضًا، يقولون: هل يِعْلَم؟ ومثله فى الدر المصون ٩ / ٢٨١.

(٣) السابق من البحر المحيط.

(٤) اللسان ٥ / ٣٥٦٦ قرب، والمصباح المنير ٤٩٦، والفتوحات الإلهية ١ / ٤٢.

(٥) المختصر لابن خالويه ١٢، وبدون نسبة فى البحر المحيط ١ / ٢٥٦، والدر المصون ١ / ١٩١ – ط ١٩٩٤م وعبارة أبى حيان: وقرئ (ولا تقربا) بكسر التاء، وهى لغة عن الحجازيين=

• ومنها قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ﴾ [آل عمران: ٧٥].

والفعل (تأمنه) مأخوذ من الماضي أمِنَهُ بكذا، أي وثق به[١] واطمأن إليه، وقد قرأه يحيى بن وثاب (تِيمَنْه) بكسر التاء وقلب الهمزة ياء، ونسبت القراءة بذلك أيضًا إلى عبدالله بن مسعود، وإلى أبي الأشهب العطاردي العقيلي[٢]، وقرأ أبيّ بن كعب (تِئمنه) في الموضعين، و(تِئمنا) في يوسف – ١١ – بكسر التاء والهمزة[٣].

وجرى ابن وثاب على نهجه هو في قراءته لآية يوسف، من كسر التاء وقلب الهمزة ياء، ووافقه في ذلك أبو رزين، وهي لغة تميم[٤].

وقد جعل ابن عطية الكسر لحرف المضارعة في الفعلين السابقين من لغة قريش، وقد نقل عنه أبو حيان قوله في التعليق على قراءة أبيّ بن كعب (تئمنه) بكسر التاء: وما أراها إلا لغة قرشية، وهي كسر نون الجماعة كنِسْتَعين، وألف المتكلم كقول ابن عمر: لا إِخاله، وتاء المخاطب كهذه الآية (تِئمنه)، ولا يكسرون الياء في الغائب[٥] – وقد غلطه أبو حيان فيما ذهب إليه، فقال: وما ظنه من أنها لغة قرشية ليس كما ظن، وقد بينا ذلك في «نستعين»[٦].

= في «فَعِل يفعَل»، يكسرون حرف المضارعة التاء والهمزة والنون، وأكثرهم لا يكسرون الياء، ومنهم من يكسرها اهـ وأحسب أن صواب العبارة [وهي لغة غير الحجازيين] بدليل قوله في ١ / ٤٢: وفتح نون «نستعين» قرأبها الجمهور، وهي لغة الحجاز، وهي الفصحى، وقرأ عبيد ابن عمير الليثي، وزر بن حبيش ويحيى بن وثاب، والنخعي، والأعمش، بكسرها، وهي لغة قيس وتميم وأسد وربيعة وكذلك حكم حرف المضارعة في هذا الفعل وما أشبه، وقال أبو جعفر الطوسي: وهي لغة هذيل اهـ البحر ١ / ٢٥٦.

(١) اللسان ١ / ١٤١، المصباح ٢٤ (أمن).

(٢) المختصر لابن خالويه ٢٧، والكشاف ١ / ٣٤٨، والبحر المحيط ٣ / ٢٢١، وفتح القدير ١ / ٣٥٣، وشواذ القراءة للكرماني ورقة ٥١.

(٣) السابق من البحر المحيط والدر المصون ٣ / ٢٦٠، ٢٦١.

(٤) معاني القرآن للفراء ٢ / ٣٨، والبحر المحيط ٦ / ٢٤٥، والدر المصون ٣ / ٢٦٠، ٦ / ٤٤٨، وشواذ القراءة للكرماني ورقة ١١٦.

(٥) الكشاف ٤ / ٢٣ ط دار الريان ١٩٨٧م، البحر المحيط ٣ / ٢٢١، والأصل في المحرر الوجيز جـ ١ / ٧٦: تحقيق المجمع العلمي بفاس ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

(٦) السابق في البحر المحيط، وينظر ١ / ٤٢ منه.

ونحن مع أبى حيان فى اعتراضه على كلام ابن عطية؛ لأن العلماء يكادون يجمعون على خلاف ما ذهب إليه ابن عطية، فقد رأيناهم يصرحون فى أكثر من موضع بأن كسر حروف المضارعة عادة نطقية لغير أهل الحجاز[١]، وخصوا بالذكر من القبائل التى تكسر أول المضارع: قبائل بهراء، وتميم، وبنى أخيل، وبنى أسد، وقيس، وربيعة وهذيل[٢].

● ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿ **إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ** ﴾ [النساء: ١٠٤].

الفعلان «تألمون –يألمون» مأخوذان من الماضى أَلِمَ أَلَمًا بوزن تعب تعبا[٣]، وقد قرأهما يحيى بن وثاب «تِئْلَمُون – يِئْلَمُون» بكسر التاء من الأول والثالث، وبكسر الياء من الثانى، مع إبقاء الهمزة فى الجميع، وقرأ ابن السميفع بكسر التاء فقط مع الهمزة أيضًا[٤].

ونسب إلى يحيى بن وثاب أيضًا أنه كسر التاء والياء مع قلب الهمزة ياء[٥]، ومثل ذلك قراءة منصور بن المعتمر بكسر التاء وقلب الهمزة[٦].

وعقب ابن جنى بأن هذه القراءة التى كسرت ياء المضارعة فى «ييلمون» محمولة على قولهم «ييجل» بكسر الياء؛ لشبهها به فى اللفظ[٧] بمعنى أنه احتمل الكسر فى الياء فى نظير التخلص من ثقل الواو بقلبها ياء فى «ييجل»، واحتمل ذلك فى «ييلمون» فى نظير التخلص من النبر بالهمزة.

وأيا ما كان السبب فيما مضى فإن إثبات الهمزة مع كسر الياء فى قراءة ابن وثاب يبرر ما ذهب إليه الحريرى من أن التلتلة تعنى كسر حروف المضارعة مطلقا[٨] غير أنه فى الياء أقل منه فى التاء والنون والهمزة[٩].

(١) الكتاب ٤ / ١١٠ وما بعدها، والتصريح على التوضيح ٢ / ١١٨.
(٢) يراجع لهجات العرب – لأحمد تيمور ٨٦ – ١٠١.
(٣) المصباح المنير ص ١٩. (٤) البحر المحيط ٤ / ٥٥، والدر المصون ٤ / ٨٦.
(٥) المحتسب ١ / ١٩٨، والسابق من البحر المحيط.
(٦) السابق من البحر المحيط، وفتح القدير ١ / ٧٦٤ ط الأولى ١٩٩٣م بالقاهرة.
(٧) المحتسب ١ / ١٩٨. (٨) درة الغواص ١٧٤.
(٩) انظر المحتسب ١ / ٣٣٠، والبحر المحيط ٩ / ٧٨، ١ / ٢٥٦ مع ملاحظة أنه نسب الكسر للحجازيين فى هذا الموضع الأخير، وقد أشرنا فيما سبق إلى أنه يناقض ما أثبته فى ١ / ٤٢.

● ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ٩٣].

الفعل (آسي) مضارع للماضى: أَسِيَ أَسًى، من باب تعب بمعنى حزن، واسم الفاعل أسِيٌ أى حزين، ولام الفعل واو، من قولهم: رجل أسوان بوزن سكران، أو لامه ياء من قولهم: رجل أسيان، أى حزين(١).

وأصل الفعل المذكور فى الآية «أأْسَى» قلبت الهمزة الثانية الساكنة حرف مد من جنس حركة الأولى، فصار «آسى»، وعليه جاءت قراءة جمهور القراء(٢).

وقد قرأه يحيى بن وثاب، وطلحة بن مصرف، والأعمش «إِيْسَى» بكسر حرف المضارعة وهو الهمزة الأولى(٣)، وقلب الهمزة الثانية ياء، وإبقاء السين مفتوحة، قال السمين الحلبى: وقد تقدم أنها لغة بنى أخيل(٤).

ولحمزة والكسائى وخلف قراءة أخرى فى الفعل المذكور، حيث أمالوا الفتحة من الهمزة الأولى ومن السين نحو الكسرة(٥).

وأعتقد أن هذه القراءة تمثل المرحلة الوسطى بين قراءة الجمهور بفتح الهمزة والسين، وقراءة يحيى بن وثاب ومن معه بإخلاص الكسر فى الهمزة وإخلاص الفتح فى السين.

● ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ [هود: ١١٣].

الفعل الأول فى الآية فيه لغات ثلاث: الأولى – من باب تعب، والثانية – من باب قعد قعوداً، قال الأزهرى: وليست بالفصيحة، والثالثة – على مثال فتح يفتح، وهى من تداخل اللغتين، قال بعضهم إنها نادرة، ومعنى ركن إليه فى اللغات الثلاث: مال إليه وسكن(٦).

---

(١) اللسان ١ / ٨٣، والمصباح ١٥.

(٢) انظر إعراب القراءات الشواذ ١ / ٥٥٢.

(٣) البحر المحيط ٥ / ١١٨، قال وهى لغة كما تقدم ذكرها فى الفاتحة اهـ ينظر ١ / ٤٢ منه، وفيه حكاية نادرة عن ليلى الأخيلية كسر حرف المضارعة فيها.

(٤) الدر المصون ٥ / ٣٨٧ وقارن مع المختصر لابن خالويه ٥٠، والكشاف ٢ / ٩٧.

(٥) ينظر إتحاف فضلاء البشر ٢ / ٥٥.

(٦) اللسان ٣ / ١٧٢١، والمصباح ٢٣٧ (ركن).

وقد وافق أبو حيان والسمين الحلبى الأزهرى فى أن ركن يركن على مثال تعب يتعب هى اللغة الفصحى[1].

كذلك وافق الراغب الأصفهانى الأزهرى فى أن اللغة الثانية صحيحة، لكنها ليست بالفصيحة[2].

ووصفت اللغة الثالثة بأنها شاذة، وأنها ليست بالأصل، وإنما هى من تداخل اللغات[3]؛ لأن فعل يفعل بفتح العين فى الماضى والمضارع شرطه أن يكون حلقى العين أو اللام[4].

وهذا الفعل قرأه الجمهور (تَرْكَنُوا) بفتح التاء والكاف على اللغة الأولى، وهى لغة قريش، وهى اللغة العالية الفصحى[5].

وقرأه قتادة وطلحة والأشهب ورويت عن أبى عمرو (تَركُنُوا) بفتح التاء وضم الكاف، على اللغة الثانية، وهى لغة قيس وتميم، قال الكسائى: ولغة أهل نجد[6].

وقرأه يحيى بن وثاب، وأبو عمرو فى رواية (تِرْكَنُوا) بكسر التاء وفتح الكاف، على لغة من كسر حروف المضارعة من فَعِلَ يَفْعَل، وهى لغة تميم فى غير الياء[7].

ومثل هذه القراءة وردت فى الفعل الثانى المذكور فى الآية، فقد قرأه يحيى بن وثاب والأعمش وطلحة بن مصرف بخلاف، ورواه الأزرق عن حمزة «فَتِمَسَّكم» بكسر التاء وفتح الميم، قال ابن جنى: وهذه لغة تميم[8]، وهى

---

(١) البحر المحيط ٦/ ٢٢١، والدر المصون ٦/ ٤١٨.

(٢) المفردات ٢٠٣، والفتوحات الإلهية ٢/ ٤٢٨.

(٣) أى ركب الماضى من اللغة الثانية مع المضارع من اللغة الأولى فصارت اللغة الثالثة مفتوحة العين فى الماضى وفى المضارع.

(٤) البحر المحيط ٦/ ٢٢١، والدر المصون ٦/ ٤١٨ ط ١٩٩٤.

(٥) البحر المحيط ٦/ ٢٢٠، والسابق من الدر المصون.

(٦) البحر المحيط ٦/ ٢٢١.

(٧) المختصر لابن خالويه ٦٦، والبحر المحيط ٦/ ٢٢٠ إلى أبى عمرو وحده، والدر المصون ٦/ ٤١٨.

(٨) ينظر المحتسب ١/ ٣٣٠، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٠٦، والبحر المحيط ٦/ ٢٢١، وفى الدر المصون ٦/ ٤١٩ نسبت إلى ابن وثاب وعلقمة والأعمش وآخرين، وفى الفتوحات الإلهية ٢/ ٤٢٨ إلى الأعمش وعلقمة وآخرين.

متفرعة عن قراءة الجمهور التى تفتح التاء والميم، والفعل فيهما من باب تعب، وفيه لغة أخرى ذكرها صاحب المصباح المنير، وهى أنه يجيء من باب قتل[١]، ولم ينسب إلى أحد – فيما أعلم – أنه قرأ بها.

● ومن الأمثلة كذلك قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ ﴾ [يس: ٦٠] حيث يقال: عهد إليه يعهد من باب تعب: إذا أوصاه[٢]، وعلى هذه اللغة جاءت قراءة الجمهور (أعهد) بفتح الهمزة والهاء، وجاءت قراءة يحيى بن وثاب بكسر الهمزة وفتح الهاء على سبيل المضارعة[٣].

● ومن الأمثلة التى وافقت القاعدة قراءة بعضهم ﴿ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٩]، قال العكبرى: يقرأ بكسر الهمزة على لغة كنانة، فإنهم يكسرون حرف المضارعة إلا الياء[٤].

أمثلة تطبيقية شذت عن القاعدة:

● هناك أمثلة من القراءات القرآنية كسر منها حرف المضارعة دون أن يكون الماضى (فَعِل) بكسر العين:

ومن ذلك قوله: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾[الأعراف: ٦٢]، فالفعل «أنصح» من باب فتح يفتح، يتعدى باللام وبنفسه، يقال نصحت له ونصحته، بمعنى أخلصت له الرأى والمشورة، والمتعدى باللام هو اللغة الفصيحة[٥]، وبالرغم من ذلك فقد نسب كسر حرف المضارعة منه إلى يحيى بن وثاب، وإلى طلحة بن مصرف[٦].

● ومما كسر حرف حرف المضارعة منه دون أن يكون المضارع على «يفعل»

---

(١) المصباح المنير ٥٧٢ (مسس).
(٢) المصباح المنير ٤٣٥، واللسان ٤ / ٣١٤٨ (عهد).
(٣) فى البحر المحيط ٩ / ٧٧ والدر المصون ٩ / ٢٨١ تحقيق الخراط نسبت إلى طلحة والهذيل بن شرحبيل، ونسبت إلى ابن وثاب فى المختصر لابن خالويه ١٢٦.
(٤) انظر إعراب القراءات الشواذ للعكبرى ١ / ٢٧٢ الأصل والهامش.
(٥) المصباح المنير ٦٠٧ (نصح).
(٦) المختصر لابن خالويه ٥٠.

بفتح العين قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ [الفاتحة: ٥] فقد قرأه زيد بن على، ويحيى بن وثاب، وعبيد بن عمير الليثى «نِعبد» بكسر النون[١]، والفعل المذكور بابه نصر ينصر.

● ومما شذ عن القاعدة أيضًا ما نسب إلي يحيى بن وثاب من أنه قرأ ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ ﴾ [يس: ٦٠] بكسر الهمزة وكسر الهاء[٢]، وهى مبنية على أن الفعل من باب ضرب وفى ذلك خروجٍ عما اشتهر بين علماء اللغة من عدم كسر حرف المضارعة فيما كان ثانيه مفتوحًا نحو ضرب وذهب وأشباههما[٣].

وهذه الأمثلة إن دلت على شيء فإنما تدل على نقص فى استقراء من اشترط لحدوث المضارعة فى غير المبدوء بهمزة الوصل وتاء المطاوعة فى الماضى – أن يكون ماضيه على فعِل بكسر العين وأن يكون مضارعة على يفعل بفتح العين؛ لأن القراءة وردت بما ينقض ذلك الشرط كما بينا؛ ولأن بعض العلماء– كالكسائي مثلا – سمع من بعض بنى دُبَيْر: أنت تِلحن وتِذهب ونحوهما[٥].

ثانيا: يكسر حرف المضارعة من الأفعال المبدوءة بهمزة الوصل فى الماضى، مثل نِستعين، ينْطلق، يِستَنْصِر، تِسْوَدّ، تِبْيَض، «وأنت تِستغفر، وتِحرنجم، وتِغْدَودن، وأنا اقْعَنْسِس»[٦].

● ومن الشواهد على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥]، وفيه قراءتان: أولاهما: قراءة الجمهور «نستعين» بفتح النون، وهى لغة الحجاز الفصحى[٧]، ولا يؤبه لمن جعل ذلك لغة لقريش وأسد معا[٨]؛ لان ابن فارس نقل عن الفراء أن الفتح لغة قريش، وأن أسدا وغيرهم يقولونها بكسر النون[٩].

---

(١) البحر المحيط ١ / ٤١ وينظر ارتشاف الضرب ١ / ١٨٣–الطبعة الأولى ١٩٩٨م تحقيق رجب عثمان.

(٢) البحر المحيط ٩ / ٧٧، والدر المصون ٩ / ٢٨١ تحقيق أحمد الخراط.

(٣) الكشاف ٣ / ٣٢٧، والسابق من الدرالمصون.

(٤) الكتاب ٤ / ١١٠.

(٥) ارتشاف الضرب ١ / ١٨٣ تحقيق رجب عثمان.

(٦) الكتاب ٤ / ١١٢.

(٧) البحر المحيط ١ / ٤٢.

(٨) ينظر تاريخ آداب اللغة العربية لجورجى زيدان ٤٥، واللهجات فى الكتاب لسيبويه أصواتا وبنية ١٦٠.

(٩) ينظر معانى القرآن للفراء ١ / ١٩، والصاحبى ٢٨، والمزهر ١ / ٢٥٥.

والثانية: بكسر نون المضارع من الفعل «نستعين» وهذه قرأ بها عبيد ابن عمير الليثى، وزر بن حبيش، ويحيى بن وثاب، والنخعى، والأعمش، وهى لغة قيس وتميم وأسد وربيعة، وكذلك حكم حرف المضارعة فى هذا الفعل وما أشبهه، قال أبو جعفر الطوسى: وهى لغة هذيل[1].

ويرجح أن المقصود بعض هذيل لاجميعهم؛ لأن هذيلا قبيلة كبيرة مترامية الأطراف، وكانت لهجتها من أقرب اللهجات إلى لهجة قريش بتأثير الجوار والنسب، لذا يرجح أن بعضا منهم كانوا يفتحون حرف المضارعة، وهم أهل الحضر أو من كانوا فى جوارهم، وأن بعضهم الآخر من البدو كانوا يكسرون حروف المضارعة كما قال الطوسى[2].

● ومن الشواهد على هذه الحالة أيضًا أن بعض القراء قرأ ﴿ ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٢٦] بهمزة الوصل وبالنون على التعظيم مع كسر حرف المضارعة فيه، نونا كانت أو همزة، وهى لغة[3].

ثالثًا: يكسر حرف المضارعة من الأفعال المبدوءة فى الماضى بتاء المطاوعة أو شبهها، نحو: أنت تِتذكر، وتِتكلم، وتِتدحرج، «وكذلك كل شىء من تفعلت أو تفاعلت أو تفعللت يجرى هذا المجرى (أى مجرى نستعين وشبهه)؛ لأنه كان عندهم فى الأصل مما ينبغى أن يكون أوله ألف موصولة؛ لأن معناه معنى الانفعال، وهو بمنزلة انفتح وانطلق، ولكنهم لم يستعملوه استخفافا فى هذا القبيل[4].

كأنهم حملوا «تفعَّل» على «انفعل» فى إفادته المطاوعة وكسر أوله، حيث نراهم يقولون كسّرته – بالتشديد – فتكسر، ويقولون كسرته – بالتخفيف – فانكسر[5].

---

(١) الكشاف ١/ ١٦٦، والبحر المحيط ١/ ٤٢، وتفسير القرطبى ١/ ١٤٦، ونسبها ابن خالويه فى المختصر إلى جناح بن حبيش المقرئ ٩، ونسبها البنا فى الإتحاف إلى المطوعى ص١٢٢، الطبعة القديمة ولم تنسب فى الدر المصون إلى أحد.

(٢) ينظر لغة هذيل ١٥، واللهجات العربية فى التراث ٣٩٤.

(٣) إعراب القراءات الشواذ للعكبرى ١/ ٢٠٥ الأصل والهامش.

(٤) الكتاب ٤/ ١١٢.

(٥) لهجات العرب لأحمد تيمور ٩٦ بتصرف.

ولم أعثر على أمثلة لهذه الحالة فيما استقصيته من قراءة يحيى بن وثاب .

وإذا كنا قد لاحظنا فيما مضى أن كسر حروف المضارعة كان سمة من سمات لغات البدو، فإننا نستطيع التعليل لذلك بأن عامل السرعة فى النطق والأداء كان له النصيب الأوفر فى انتشار تلك العادة الكلامية، وقد أومأنا إلى ذلك فى الربط بين المعنى اللغوى والاصطلاحى لمصطلح التلتلة، ويزداد ذلك بيانا إذا عرفنا أن أقرب الحركات الثلاث إلى طرف اللسان ومقدم الحنك هى الكسرة، وأن ضيق المسافة بينهما، واندفاع الهواء (دون حفيف) بقوة معها يجعل النطق بها أسرع من النطق بغيرها، يضاف إلى ذلك السهولة فى أداء الكسرة للسبب المتقدم، ولانفراج الشفتين معها أيضاً، ولهذا كله كانت الكسرة فى أول المضارع الحركة المختارة لتكون البديل المناسب عن فتح حرف المضارعة .

وشىء آخر نود الإشارة إليه، وهو أن كسر حروف المضارعة ليس خاصا بالقبائل البدوية العربية، وإنما هو ظاهرة موجودة فى معظم الساميات كالعبرية والسريانية، غير أن كسر أحرف المضارعة قد انتقل فى العبرية والسريانية من وزن (فعل يفعل) بكسر العين فى الماضى وفتحها فى المضارع إلى بقية الأوزان الأخرى، فصارت أحرف المضارعة كلها مكسورة فى اللغة العبرية، إلا فى الأفعال الحلقية الفاء، والجوفاء، والمضعفة، فإن أحرف المضارعة بقيت مفتوحة فيها(١) .

كذلك توجد هذه الظاهرة فى بعض اللهجات الحديثة المنتشرة فى جنوب اليمن، وفى لهجات السريان فى هذه الأيام، وفى عامية مصر، ونجد وغيرهما(٢) .

* * *

---

(١) اللهجات العربية فى التراث ٣٩٧ بتصرف .

(٢) السابق، وتاريخ آداب اللغة العربية الجورجى زيدان ١ / ٤٥ .

المبحث الخامس

حذف الصائت أو تقصيره

أولاً: حذف الصائت القصير من عين (فُعُل) بضمتين:

من مظاهر التغيير فى أصوات الكلمة العربية حذف بعض الصوائت منها لعلة قامت فى نفوس العرب وأذهانهم ممن جبلوا على الإسراع فى النطق والأداء اللغوى؛ ليحققوا من ذلك هدفًا معينًا، هو فى أغلب الأحيان التخفف من عبء تلك الحركة، فيلجئون إلى طرحها من كلامهم دون قصد منهم إلى ذلك، لأنه شىء اعتادوه، وجرت عليه طبائعهم، وصار كأنه فطرة لهم، وسليقة عندهم.

وقد فطن إلى ذلك علماء العربية منذ وقت مبكر، فقد تبين لهم مما سمعوه من الناطقين باللغة العربية ولهجاتها فى القرون الأولى من مجىء الإسلام أن إسقاط الحركة (الصائت) فى صيغ بعينها كان شائعًا فى قبائل البدو، وإن لم يكن مقصوراً عليهم فى جميع الحالات.

وكان إمام العربية سيبويه من أسبق العلماء الذين سجلوا لنا بعض تلك الصيغ، مع بيان ما يحدث فيها أو يعرض لها من حذف الحركة، وذلك فى «باب ما يسكن استخفافا وهو فى الأصل متحرك»، يقول: وإذا تتابعت الضمتان فإن هؤلاء [بكر بن وائل وأناسا كثيرين من بنى تميم كما تقدم فى كلامه] يخففون أيضًا، كرهوا ذلك كما يكرهون الواوين، فكما تكره الواوان كذلك تكره الضمتان؛ لأن الضمة من الواو، وذلك قولك: الرُّسْلُ، والطُّنْبُ والعُنْق، تريد: الرُّسُل والطُّنُب والعُنُق[١].

وهذا الذى ذكره سيبويه من حذف الصائت القصير من عين (فُعُل) فى لغة تميم وردت به قراءة يحيى بن وثاب للآيات الآتية:

---

(١) ينظر الكتاب ٤ / ١١٣، ١١٤.

● قوله تعالى: ﴿ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ﴾ [المائدة: ١].

قرأ يحيى بن وثاب والحسن البصرى وإبراهيم النخعى «وأنتم حُرْم» بإسكان الراء[١]، وهذه القراءة متفرعة عن قراءة الجمهور من القراء «وأنتم حُرُمٌ» بضم الحاء والراء، وصيغة «فُعُل» هنا جمع تكسير يفيد الكثرة، المفرد منه «حَرَامٌ» بمعنى (مُحْرِم)، وقد جاء بهذا المعنى في بيت المخبل السعدى:

فقلت لها فيئى إليك فإننى حرامٌ وإنى بعد ذاك لبيبُ

يريد: فإننى محرم، وبعد ذلك مُلبٌّ.

وجمع حرام على حُرُم نظير قذال وقُذُل، لكن الأخير مقيس؛ لأنه جمع للاسم الرباعى الصحيح اللام الذى ثالثة حرفُ مدّ، أما (حُرُم) جمع (حرام) فهو شاذ؛ لأنه من قبيل الصفات[٢]، ولا يقاس منها إلا ما كان على فَعُولٍ بمعنى فاعل، مثل صبور وغفور، حيث يجمعان على صُبُر وغُفُر بمقتضى القياس الصرفى[٣].

وقد نسب إسكان الوسط فيما توالت فيه الضمتان على النهج المذكور إلى بنى تميم[٤] يفعلونه فى هذا الجمع وفى أمثاله؛ لأنهم يكرهون توالى حركتين من جنس واحد فى صيغة (فُعُل)، غير أن ابن جنى يرى إن إسكان العين فى (حُرْم) له مزية على غيره مما ليست عينه الراء، وذلك من قبل أن التكرير الذى فى الراء - وهو زيادة فى التصويت بها - كأنه عوض عن الحركة المحذوفة، يقول: «فكادت تكون الراء الساكنة فى (حُرْم) لما فيها من التكرير فى حكم المتحركة؛ لزيادة الصوت بالتكرير نحوا من زيادة الحركة»[٥].

---

(١) ينظر المختصر لابن خالوية ٣٧، والمحتسب، ١/ ٢٠٥، والدر المصون ٤/ ١٨٥، وتفسير القرطبى ٦/ ٣٦، وفتح القدير ٢/ ٥، والإتحاف ١/ ٥٢٨ ونسبت فى الأخير إلى الحسن وحده.

(٢) فى الفتوحات الإلهية ١/ ٤٥٧ حُرُمٌ جمع حَرَام: صفة مشبهة بمعنى اسم الفاعل.

(٣) التبيان فى تصريف الأسماء ١٣٣.

(٤) ينظر الكتاب ٤/١١٣، ١١٤، والمحتسب ١/ ٢٠٥، والدر المصون ٤/ ١٨٥، والإتحاف ١/ ٥٢٨.

(٥) السابق من المحتسب.

• ومما توالت فيه الضمتان وسارت فيه تميم على نفس المنهج فى التخفيف قوله تعالى: ﴿ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم الْمَثُلاتُ ﴾ [الرعد: ٦] والمثلات جمع مثلة، وهى اسم للعقوبة، سميت بذلك لما بين العقاب والمعاقب عليه وهو الذنب من المماثلة فى أن كلا منهما مذموم[١].

وقد جاءت فيها عدة قراءات، منها قراءة عيسى بن عمر «المُثُلات» بضمتين[٢]، وهى إما جمع مُثْلة كغُرْفة، وحينئذ يجوز فى جمعها مُثْلات بالضم، ومُثُلات بضمتين ومُثَلات بضم ففتح، كما يقال فى جمع الغرفة: غُرْفات، وغُرُفات، وغُرَفات بنفس الضبط السابق، والجمع الأول منهما محمول على الواحد (مُثْلة وغرْفة)، والثانى بضم الوسط للاتباع، والثالث بفتح الوسط للتخفيف عند قوم[٣].

وإما جمع مُثُلة بضمتين، أى تكون «المُثُلات» فى قراء عيسى بن عمر لغة مستقلة غير متفرعة عن غيرها[٤]، وإنما تفرعت منها «المُثْلات» بضم الميم وإسكان الثاء، وقد وردت قراءة يحيى بن وثاب بها، وهى لغة تميم[٥]، يحذفون الصائت من الوسط بقصد التخفيف؛ لأنهم يكرهون الضمتين المتتاليتين كما يكرهون الواوين المتواليتين، وقد نقلنا ذلك عن سيبويه فيما مضى.

• ومن ذلك أيضاً قراءة ابن وثاب ﴿وَجَعَلَ الظُّلْمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: ١] بسكون اللام[٦] من الظلمات، وهى جمع ظلمة بوزن غرفة، وتعامل فى الجمع معاملتها فى جميع وجوهها التى ذكرناها قبل قليل.

---

(١) الفتوحات الإلهية ٢ / ٤٩٢.

(٢) فى البحر ٦ /٣٥٣: وقرأ عيسى بن عمر، وفى رواية الأعمش وأبو بكر بضمها، اى الميم والثاء - وانظر المختصر لابن خالوية ٧٠، والدر المصون ٧ / ٢٠، والفتوحات الإلهية ٢ / ٤٩٢.

(٣) المصباح المنير ٤٤٥، ٦٩٧ قال: أو الغُرَفات بضم ففتح جمع غُرَف الذى هو جمع غُرْفة.

(٤) فى التاج عن الصاغانى: فى المثلات ثلاث لغات فى المفرد، بالضم، وبضمتين، وبفتح الميم وضم الثاء أهـ ٨ / ١١١ (مثل).

(٥) ينظر معانى القرآن للفراء ٢ / ٥٩، والمختصر لابن خالوية ٧٠، والبحر المحيط ٦ / ٣٥٣ والدر المصون ٧ / ٢٠، والفتوحات الإلهية ٢ / ٤٩٢.

(٦) المختصر لابن خالوية ٤٢ ويقارن مع ص ١٠ منه حيث نسب الإسكان للحسن البصرى وأبى السمال، وانظر المحتسب ١ / ٥٦، والبحر المحيط ١ / ١٣١، وفى الإتحاف ٢٠٥ نسبت إلى الحسن وحده (الطبعة القديمة).

• ومن هذا القبيل أيضًا قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا﴾ [الفرقان: ٦١]، قرأه عبد الله بن مسعود وعلقمة والأعمش «سُرُجًا» بضمتين، جمعًا مقيسا لسراج، وقرأه الأعمش والنخعي وابن وثاب «سُرْجا» بسكون الراء[١] وهو تخفيف لقراءة ابن مسعود السابقة بحذف الصائت القصير منها للعلة التى ذكرها سيبويه، وهى كراهة توالى الضمتين.

وعلى هذا النهج وردت قراءات كثيرة معظمها من القراءات الشاذة مثل:

• قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ﴾ [الأنعام: ١٤٦] قرأه الجمهور بضم الظاء والفاء، وقرأه أبيّ والحسن والأعرج «ظُفْر» بضم الظاء وسكون الفاء، وذلك للتخفيف بحذف الصائت القصير على لغة بنى تميم[٢].

• وقوله تعالى: ﴿فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ﴾ [يس: ٥٥] قرأه بضم الشين والغين ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى وأبو جعفر ويعقوب وخلف، وقرأه بإسكان الغين نافع وابن كثير وأبو عمرو[٣]، قال صاحب المصباح: والإسكان للتخفيف[٤].

• وقوله تعالى: ﴿فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾ [البقرة: ٢٨٣] قرئ فـ (رُهُنٌ) بضمتين، وخفف إلى (رُهْن) بإسكان الهاء[٥]، ومن العلماء من جعل «الرهن» بضمتين جمع «رهان» مثل كتب وكتاب، غير أن ابن سيده رفض ذلك؛ لأن «الرهان» عنده جمع «رَهْن» بسكون الهاء، وليس كل جمع يجمع إلا أن ينصّ عليه، بعد ألا يحتمل غير ذلك، ومنهم جعل «الرهن» بضمتين جمع «رَهْن»

---

(١) انظر البحر المحيط ٨/ ١٢٤، والدر المصون ٥/ ٢٦١.

(٢) المختصر لابن خالوية ٤٧، والبحر المحيط ٤/٦٧٧، وفى الدر المصون ٣/ ٢٠٦ ط ١٩٩٤م، ذكر فيها خمس لغات، وإعراب الشواذ للعكبرى ١/ ٥١٩، والفتوحات الإلهية ٢/١٠٤، والإتحاف ٢/ ٣٨، والمصباح المنير ٣٨٥، ٦٩٧.

(٣) البحر المحيط ٩/ ٧٥، وتحبير التيسير ١٦٥، والنشر ٣/٢٦٥، والإتحاف ٢/ ٤٠١.

(٤) المصباح المنير ٣١٦، ٦٩٧.

(٥) المختصر لابن خالوية ٢٥، وإعراب القرآن للنحاس ١/ ٣٤٩، والبحر المحيط ٢/ ٧٤٣، والدر المصون ١/ ٦٨٦ ط ١٩٩٤م، وتفسير القرطبى ٣/ ٤٠٨.

كسقْف وسُقُف، قال الأخفش: وهى لغة قبيحة؛ لأنه لا يجمع فَعْل على فُعُل إلا قليلا شاذا[1].

• ومنه قوله تعالى: ﴿لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ﴾ [الزخرف: ٣٣] قرأه الجمهور بضم السين والقاف، وقرأه أبو رجاء بإسكان القاف، وهو من تخفيف المضموم على لغة بنى تميم[2].

• وقوله تعالى: ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ [الكهف: ٦٠] قرأه الحسن والضحاك بإسكان القاف وهو من تخفيف المضموم على لغة بنى تميم[3].

• وقوله: ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً﴾ [الأنعام: ١١١] قرأه الحسن وأبو رجاء وأبو حيوة بضم القاف وسكون الباء على التخفيف[4].

• وقوله: ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلاً﴾ [الكهف: ٥٥] قرى بإسكان الباء على التخفيف أيضا[5].

• وقوله: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ [الذاريات: ٧] نسب إسكان الباء من (الحبك) إلى ابن عباس، والحسن بخلاف، وأبى مالك الغفارى، وأبى حيوة، وابن أبى عبلة، وأبى السمال، ونعيم عن أبى عمرو[6].

• قوله: ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ [الواقعة: ٣٧] نسب إسكان الراء (عرْبا) إلى حمزة، وناس منهم: شجاع وعباس والأصمعى عن أبى عمرو، وناس منهم: أبو بكر وحماد، وأبان عن عاصم، وهى لغة تميم[7].

---

(١) تفسير القرطبى ٣/ ٤٠٨، والدر المصون ١/ ٦٨٦ ط ١٩٩٤م، واللسان جـ٣ ١٧٥٧، والمصباح ٢٤٢.

(٢) المحتسب ١/ ٢٠٥، ٢/ ٢٨٧، والبحر المحيط ٩/ ٣٧١، والدر المصون ٤/ ١٨٥، وإعراب الشواذ للعكبرى ٢/ ٤٤٥، وفتح القدير ٤/ ٥٥٤، والمصباح المنير ٦٩٧.

(٣) المختصر لاخالويه ٨٤، والبحر المحيط ٧/ ٢٠٠، والدر المصون ٤/ ٤٦٩، والفتوحات الإلهية ٣/ ٣٢ وتفسير القرطبى ١١/ ١٠، وإعراب الشواذ للعكبرى ٢/ ٢٥ والمصباح ٦٩٧.

(٤) البحر المحيط ٤/ ٦٢٢، والدر المصون ٣/ ١٥٩ ط ١٩٩٤م.

(٥) البحر المحيط ٧/ ١٩٤، وتفسير القرطبى ٧/ ٦٦، وإعراب الشواذ للعكبرى ١/ ٥٠٩ والمصباح المنير ٦٩٧.

(٦) البحر المحيط ٩/ ٥٤٩. (٧) البحر المحيط ١٠/ ٨٢.

● وقوله: ﴿هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الواقعة: ٥٦] نسبَ إسكان الزاى إلى ابن محيصن وخارجة عن نافع، ونعيم، ومحبوب، وأبى زيد، وهارون، وعباس، كلهم عن أبى عمرو[(١)].

● وقوله: ﴿وَالأُذْنَ بِالأُذْنِ﴾ [المائدة: ٤٥] قرأه نافع بإسكان الذال، وهو من تخفيف المضموم[(٢)].

● وقوله ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ [المائدة: ٩٦] قرأه يحيى وإبراهيم باسكان الراء من (حُرُما)، وهو من تخفيف المضموم[(٣)].

● وقوله: ﴿فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة: ١٩٦] قرأه الحسن والزهرى بإسكان السين[(٤)].

● وقوله: ﴿نُزُلاً مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٩٨] قرأه بإسكان الزاى مسلمة بن محارب والأعمش والحسن والمطوعى والنخعى وابن وثاب[(٥)].

● وقوله: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٤] نسب إسكان الراء من (فرش) إلى أبى حيوة[(٦)].

● وقوله: ﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ [الواقعة:٩٣] قرئ بإسكان الزاى ولم ينسب إلى أحد[(٧)].

● وقوله: ﴿أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ [الحشر: ١٤] نسب إسكان الدال إلى الحسن وأبى حية، وأبى رجاء وابن وثاب[(٨)].

● وقوله: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ [الجمعة: ٩] قرأه بإسكان

---

(١) البحر المحيط ١٠ / ٨٧.
(٢) البحر المحيط ٤ / ٢٧٣، والإتحاف ١ / ٥٢٨.
(٣) إعراب القراءات الشواذ للعكبرى ١ / ٤٥٩.
(٤) البحر المحيط ٢ / ٢٦١ وقارن مع إعراب القراءات الشواذ للعكبرى ١ / ٢٣٨ وهما لغتان.
(٥) البحر المحيط ٣ / ٤٨٣، والمختصر لابن خالويه ٣٠، والإتحاف ١ / ٤٩٩.
(٦) المختصر لابن خالويه ١٥١، ١٥٢.
(٧) الكشاف ٤ / ٦٠، والبحر المحيط ٩ / ٣٠٥، ١٠ / ٨٧.
(٨) ينظر المحتسب ٢ / ٣١٦، والبحر المحيط ٨ / ١٤٦، والإتحاف ٢ / ٥٣١.

الميم من « الجمعة » ابن الزبير وأبو حيوة، وابن أبى عبلة، وروى عن أبى عمرو، وزيد بن على، والأعمش والمطوعى، قال أبو حيان وهى لغة تميم(١).

● وقوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ ﴾ [المزمل: ٢٠] نسب إسكان اللام من (ثلثى - ثلثه) إلى ابن السميفع وأبى حيوة، وهشام عن أهل الشام(٢) وإلى الحسن وشيبة وابن مجاهد عن قنبل فيما ذكر صاحب الكامل، وجاء ذلك عن نافع وابن عامر(٣).

● وقوله: ﴿ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴾ [المدثر: ٥٢] نسب إسكان الحاء إلى سعيد ابن جبير(٤).

● وقوله: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾ [الأعلى: ١٨، ١٩] قرئ بإسكان الحاء فيهما، ونسب إلى الأعمش وهارون، وكلاهما عن أبى عمرو، وهى لغة تميم(٥).

● وقوله: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ٤] نسب إسكان الفاء إلى حمزة وحفص، وهمز حمزة، وأبدلها واوًا(٦) وكذلك أسكنها خلف ويعقوب(٧).

وقد جمع صاحب الإتحاف جملة من ألفاظ القرآن جاءت القراءة فيها بضم العين وإسكانها، وصدر كلامه بقوله: واختلف فى تسكين عين كذا وكذا...، ثم قال فى نهايته: ووجه إسكان الباب كله أنه لغة تميم وأسد وعامة قيس، ووجه الضم أنه لغة الحجازيين(٨).

والملحوظ فى الأمثلة التى ذكرها أنه خلط بين ما جاء على « فُعْل » وكان الأصل فى عينه الإسكان، نحو اليسر والعسر، وجزءا، والرعب، والسحت،

---

(١) البحر المحيط ١٠/ ١٧٤، والإتحاف ٢/ ٥٣٨.
(٢) تفسير القرطبى ١٩/ ٥٢.
(٣) البحر المحيط ١٠/ ٣١٩.
(٤) المحتسب ٢/ ٢٤٠، والبحر المحيط ١٠/ ٣٤٠.
(٥) البحر المحيط ١٠/ ٤٥٩.
(٦) البحر المحيط ١٠/ ٥٧٢.
(٧) النشر ٢/ ٢١٦.
(٨) الإتحاف ١٤١، ١٤٣ الطبعة القديمة.

وعقبا، ورحما، ونكرا، وسحقا، وعذرا، ونذراً، وبين ما جاء على «فُعْل» وكان الأصل فيه ضم العين، نحو القدس، وخطوات، والأكُل، الأذن، وجُرُف، وشغل، وعربا، وخشب، وثلثه، وثلثى الليل(١)، فجعل الضم على إطلاقه لغة الحجازيين، والإسكان على إطلاقه لغة قبائل البدو ومنها قبيلة أسد، والواقع أنه ينبغى التنبيه إلى وجوب الفصل بين النوعين السابقين، فما كان الأصل فى عينه الإسكان، فالإسكان فيه جار على لغة الحجازيين، لما عرف عنهم من المحافظة على الحركة أو السكون، وعدم الميل إلى التغيير، أما غير الحجازيين، وبخاصة بنى أسد فإنهم كانوا يغيّرون فى حركة العين فيما كان من هذا النوع، وقد أبان ذلك الفيومى بما لا يقبل التفصيل، فقال: «كل اسم ثلاثى على «فُعْل» بضم الفاء وسكون العين، فبنو أسد يضمون العين إتباعا للأول نحو عُسُر ويُسُر»(٢)، وقد بينا فى مبحث سابق أن ذلك التغيير يطلق عليه الإتباع ويطلق عليه المماثلة التقدمية، والذى دعا إليه هو تحقيق لون من الانسجام الصوتى بين الصوائت فى ألسنة البدو.

أما ما كان الأصل فى عينه الضم مفرداً كان أو جمعاً، فالضم فيه لغة الحجازيين، لأنهم ليسوا من أهل التغيير كما قلنا سابقا، وإسكان العين منه لغة غيرهم من قبائل البدو على سبيل التخفيف، من أجل هذا قلنا إنه خلط الأمثلة من النوعين، ولم يحالفه التوفيق حين نسب الضم على إطلاق إلى أهل الحجاز، ونسب الإسكان على إطلاقه إلى قبائل البدو.

هذا وقد وجدنا أهل الحجاز يسيرون على نهجهم فيضمون العين من أجزاء الواحد فيقولون: الثلث والعُشُر بضمتين، وكذلك فيما بينهما، ومعنى ذلك أنّ هذه الألفاظ مبنية فى أصل وضعها على ضم الوسط، قال الزجاج هى لغة واحدة والسكون تخفيف(٣)، والذين يسكنون العين منها للتخفيف هم بنو تميم وربيعة، يقولون الثُّلْث والعُشْر بإسكان الوسط(٤).

---

(١) السابق نفسه. (٢) المصباح المنير ٦٩٨.

(٣) انظر معانى القرآن وإعرابه ٢ / ١٧، والكشاف ١ / ٥٠٧، والبحر والمحيط ٣ / ٥٣٦، والدر المصون ٢ / ٣٢٠ ط ١٩٩٤م.

(٤) انظر إعراب القرآن لأبى جعفر النحاس جـ١ / ص ٤٢٨، وفتح القدير ١ / ٤٣٢.

ويبدو أن بنى أسد من بين سائر البدو كانوا يفضلون أو يلتزمون ضم العين فيما كان فيه الأصل سكون العين كما نقلنا عن الفيومى، وفيما كان فيه الأصل ضم العين كما يفهم من كلام أبى جعفر النحاس وأبى حيان والسمين الحلبى(١).

وقد جرت قراءة الجمهور وفق لغة أهل الحجاز فى أجزاء الواحد، ووافقت قراءة الحسن ونعيم بن ميسرة والأعرج لغة ربيعة وبنى تميم من الإسكان والتخفيف(٢).

ثانيًا: حذف الصائت القصير من عين (فَعَل) بفتحتين:

١ - من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا ﴾ [البقرة: ٣٥]، وفيه لغتان: رَغَدٌ بتحريك الوسط، ورَغْدٌ بإسكان الغين(٣).

وعلى اللغة الأولى جرت قراءة جمهور القراء، وعلى اللغة الثانية وردت قراءة يحيى بن وثاب، وشاركه فيها النخعى، قال السمين: ورَغْدًا بسكون الغين لغة تميم(٤).

٢ - ومن ذلك قوله: ﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، والرغب والرهب بفتحتين مصدر قياسى، على مثال تعب تعبا، وفيه لغة أخرى مسموعة تسكن الوسط منهما(٥)، وعلى القياس فى فتح الوسط جاءت قراءة الجمهور للفظتين من الآية، أما إسكان الوسط منهما فقال الأزهرى: إنه يجوز لغة، ولا نعلم أحدا قرأ بها(٦)، والواقع أنه قرىء بها، وهى قراءة يحيى بن وثاب، وشاركه فيها الأعمش، و«وهيب بن عمرو، وهارون النحوى، وأبو معمر، والأصمعى، واللؤلؤى، ويونس، وأبو زيد» سبعتهم عن أبى عمرو(٧).

---

(١) انظر المواضع السابقة، والمصباح المنير ٦٩٨. (٢) المراجع السابقة.

(٣) تاج العروس ٢/ ٣٥٥ (رغد).

(٤) البحر المحيط ١/ ٢٥٥، تفسير ابن عطية ١/ ٢٣٧، تفسير القرطبى ١/ ٣٠٣، فتح القدير ١/ ٦٧، والدر المصون ١/ ٢٨١.

(٥) ينظر العروس ١/ ٢٧٣ (رغب)، ١/ ٢٨٠ (رهب).

(٦) الموضع الأول من السابقين.

(٧) البحر المحيط ٧/ ٤٦٣، والدر المصون ٨/ ١٩٤، تفسير القرطبى ١١/ ٣٣٧، فتح القدير ٣/ ٤٢٥، والإتحاف ٢/ ٢٦٧.

٣ – وعلى النهج السابق جاءت ألفاظ غير قليلة منها:

قوله: ﴿وَقَمَراً مُنِيراً﴾ [الفرقان: ٦١] قرأه الجمهور بفتح القاف والميم، وقرأه الحسن بفتح القاف وسكون الميم، والأشبه أنها لغات[١].

٤ – وقوله: ﴿وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾ [القصص: ٣٢]، قال أبو حيان: الرهب بفتحتين الكم بلغة حمير وحنيفة[٢] وقال مقاتل معناه في الآية: كُمُّ مدرعته، قال الأزهري: وهو صحيح في العربية، والأشبه بسياق الكلام والتفسير، والله أعلم بما أراد[٣]، وقال مقاتل أيضًا: خرجت ألتمس تفسير «الرَّهْب» فلقيت أعربية وآنا آكل، فقالت: يا عبدالله، تصدَّق عليَّ، فملأت كفي لأدفع إليها، فقالت: هاهنا في رَهْبِي، أي في كُمِّي[٤].

وعلى لغة حمير وحنيفة – والأقرب أنها لغة الحجاز – جاءت قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو (من الرهب بفتح الراء والهاء، وعلى اللغة التي تكلمت بها الأعرابية – والأقرب أنها لغة تميم – وردت قراءة حفص بفتح الراء وسكون الهاء[٥].

٥ – وفي قوله: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ [المسد: ١]، وقوله ﴿ذَاتَ لَهَبٍ﴾ [المسد: ٣] كلمة «اللهب» فيها لغتان: إسكان الهاء، والتحريك، قال صاحب التاج: الأولى لغة في الثانية كالشمْع والشَّمَع، والنهْر والنهَر، ومنه قراءة ابن كثير «تبت يد أبي لهب» بسكون الهاء[٦]، ووافقه ابن محيصن في إسكان الهاء، وفتحها باقي القراء السبعة[٧].

---

(١) انظر إعراب القراءات الشواذ للعكبري ٢ / ٢٠٤، الأصل والهامش، والإتحاف ٢ / ٣١٠.

(٢) البحر المحيط ٨ / ٣٠٣، والدر المصون ٥ / ٣٤١ الطبعة الأولى ١٩٩٤م.

(٣) تاج العروس ١ / ٢٨١ (رهب).   (٤) المفردات في غريب القرآن ٢٠٤.

(٥) انظر إعراب القراءات الشواذ للعكبري ٢ / ٢٥٩ الأصل والهامش، والبحر المحيط ٨ / ٣٠٣، والدر المصون ٥ / ٣٤١ ط ١٩٩٤م: وفيه قراءة ثالثة بالضم، ورابعة بضمتين.

(٦) تاج العروس ١ / ٤٧٥ (لهب).

(٧) البحر المحيط ١٠ / ٥٦٦، وإعراب القراءات الشواذ للعكبري ٢ / ٧٥٦ الأصل والهامش.

٦ - ومن ذلك قوله: ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ﴾ [يونس: ٢٦] قرأه الجمهور بفتحتين، وإسكان التاء قراءة الحسن والأعمش وعيسى بن عمر وأبى رجاء وعياض، قال أبو حيان: وهي لغة كالقدْر والقدَر[١].

٧ - وقوله: ﴿يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [القصص: ٥٧] قرأه الجمهور (ثمرات) بفتحتين، وقرأه بعضهم بفتح الثاء وإسكان الميم، طلبا للتخفيف، وهو شاذ فى القياس[٢]، قال ابن جنى: فأما فَعْلَة بالفتح فلا بد فيه من التثقيل إتباعا، فتقول: ثمرة وثمرات،.. وروينا أن بعض قيس قال: ثلاث ظبْيَات فاسكن موضع العين، وروينا عن أبى زيد أيضًا عنهم: شَرْية وشرْيات وهو الحنظل[٣].

٨ - وقوله: ﴿وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ﴾ [الروم: ٣]، قرأه الجمهور بفتح الغين واللام، وقرأه على بن أبى طالب، وأبو حيوة، والشامى، وابن السميفع، وابن عمر، ومعاوية بن قرة بفتح الغين وسكون اللام[٤].

وبعد فيمكننا من خلال العينة السابقة أن نستخلص ما يأتى:

أولاً: «فَعْلٌ وفَعَلٌ» فيما تواردا عليه من الألفاظ ليس أحدهما فرعًا عن الآخر، وإنما هما لغتان أصليتان عند من ينطق بهما، وقد فطن إلى ذلك سيبويه منذ وقت مبكر، فقرر أن ما توالت فيه الفتحتان لا تسكن عينه من أجل التخفيف؛ لأن الفتح أخف عليهم، وهو بذلك يخالف ما تتابعت فيه الضمتان والكسرتان[٥]، وقد أوضح ذلك ابن جنى عند قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [البقرة: ١٠] فقال: لا يجوز أن يكون (مَرْض) - الذى رواه الأصمعى عن أبى عمرو فى الموضعين - بسكون الراء مخففا من (مرض) بفتح الراء؛ لأن

---

(١) البحر المحيط ٦/ ٤٤، وإعراب القراءات الشواذ للعكبرى ١/ ٦٤٤ الأصل والهامش.

(٢) البحر المحيط ٨/ ٣١٥، وإعراب القراءات الشواذ للعكبرى ٢/ ٢٦٤ الأصل والهامش.

(٣) المحتسب ١/ ٥٦.

(٤) البحر المحيط ٨/ ٣٧٤، وإعراب الشواذ للعكبرى ٢/ ٢٧٨، وفتح القدير ٤/ ٢١٤.

(٥) الكتاب ٤/ ١١٢- ١١٥ بتصرف، وقارن مع المحتسب ١/ ٢٦١.

المفتوح لا يخفف، وإنما ذلك في المكسور والمضموم[1]، أى إن الصيغتين المذكورتين مبنيتان على الخفة، وما كان كذلك فليس بحاجة إلى التخفيف.

ثانيا: إن الذين يفتحون العين من الألفاظ السابقة هم جمهور القراء، وهذا يدل على أن لغة العرب الذين يتكلمون بذلك هى الأكثر والأفشى فى الاستعمال.

ثالثا: إن «فَعَل» بفتح العين من الألفاظ المذكورة فى الآيات يرجح أنها الصيغة الحجازية؛ لأن الحجازيين بما جبلوا عليه من التأنى والتؤدة فى الأداء اللغوى كانوا يحرصون على اكتمال الحركات، بينما يرجح أن صيغة (فعْل) بسكون العين تنسب إلى قبائل تميم ومن جاورها فى شرقى الجزيرة العربية ووسطها[2]، يدل على ذلك قول أبى حيان - فيما سبق - و«رغدا» بسكون الغين لغة تميم، ونطق الأعرابية - فيما نقلناه عن الراغب - لكلمة الرهب بسكون الهاء، يضاف إلى ذلك إشارة ابن جنى إلى أن قيسا كانت تقول «ظبْيات وشرْيات» بإسكان الوسط، بينما ينطق غيرهم بفتح الباء من الكلمة الأولى، وفتح الراء من الكلمة الثانية.

رابعا: إن الفتحة فى عين (فَعَل) وإن كانت موجودة فى المبنى الأصلى عند الحجازيين إلا أنه ينظر إليها فى ضوء الصيغة التميمية كأنها زائدة مع أنها ليست بزائدة، وينظر إلى صيغة (فعْل) فى لغة بَنى تميم كأن الفتحة منتقصة منها ومحذوفة من العين، وليس ثمة حذف فى حقيقة الأمر، وإنما هو شىء نسبىّ فقط.

وقد رأينا أن قراءة ابن وثاب- فيما مضى - قد التزمت الصيغة التميمية التى بنيت على حذف الصائت القصير من عين (فَعَل) دون أن تكون فرعا عنها، وهنا تبدو الصلة قوية وواضحة بين القراء وبين البيئة التى عاشوا فيها، فابن وثاب والنخعى والأعمش وعاصم الذى أخذ عنه حفص، وابن محيصن وعلى بن أبى طالب.. هؤلاء جاءت قراءتهم وفق الصيغة التميمية، وكانوا

---

(١) المحتسب ١/٥٣، ٥٤، وقارن مع البحر المحيط ١/٩٥، والدر المصون ١/١٢٩.

(٢) اللهجات العربية فى التراث ٢٤٧ بتصرف.

جميعًا يعيشون فى الكوفة التى كانت مسكنا لبعض قبائل البدو، وقريبة من منازل البعض الآخر.

ثالثًا: حذف الصائت من عين (فَعِل) مع التعديل في الصائت المجاور أحيانا:

من ذلك قوله تعالى: ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٥]، قال الفيومى: والممنوع يسمى حراما.. وقد يقصر، فيقال (حَرَمٌ)، مثل زمان وزمن، و«الحِرْمُ» وزن حمل لغة فى الحرام أيضًا[١].

والملحوظ هنا أن اللغة الأولى التى جاءت عليها قراءة الجمهور من القراء[٢] هى الصيغة التامة، وهى قراءة أهل المدينة، وهى الأفشى فى القراءة[٣].

أما اللغة الثانية فقد تفرعت منها بتقصير الفتحة الطويلة، غير أنه لم يقرأ بها.

وأما الثالثة (حِرْم) – وهى قراءة حمزة والكسائى وياسين عن عاصم[٤]، وابن عباس وسعيد بن جبير ويحيى بن وثاب، وإبراهيم النخعى والأعمش، ورويت عن علىّ، وابن مسعود[٥]، فيمكن أن ينظر إليها على أنها لغة مستقلة كما صرح بذلك طائفة من العلماء[٦]، وأن ينظر إليها على أنها إحدى التفريعات من قراءة عكرمة «وحَرِمٌ» بوزن كتف[٧]، وذلك بعد نقل[٨] حركة الراء إلى الحاء، من أجل التخلص من كراهة الانتقال من الخفيف وهو الفتحة إلى الثقيل وهو الكسرة، فى الأصل الثلاثى المبنى أساسا على الخفة.

---

(١) المصباح المنير ١٣١ (حرم)، ويقارن مع ٢ / ٨٤٤، ٨٤٩ من لسان العرب.

(٢) السبعة لابن مجاهد ٤٣١، البحر المحيط ٧ / ٤٦٥، الموضح لابن أبى مريم ٢ / ٨٦٧، والنشر ٢ / ٣٢٤.

(٣) اللسان ٢ / ٨٤٩.

(٤) الموضح لابن أبى مريم ٢ / ٨٦٧، وزاد فى البحر المحيط أبو بكر وطلحة وأبو حنيفة وأبو عمرو فى رواية.

(٥) معانى القرآن للفراء ٢ / ٢١١، وفتح القدير ٣ / ٤٢٦، والإتحاف ٢ / ٢٦٧.

(٦) السابق من معانى الفراء، والحجة لابن خالويه ٢٥١، وإعراب القرآن للنحاس ٢ / ٣٨٢، والموضح لابن أبى مريم ٢ / ٨٦٧، والمصباح المنير ١٣١.

(٧) المحتسب ٢ / ٦٥، والبحر المحيط ٧ / ٤٦٥، والدر المصون ٥ / ١٠٨ ط ١٩٩٤م.

(٨) نقل الحركة من الحرف يعنى حذفها منه وإعطاء ها لغيره.

وقد فعل ابن وثاب مثل ذلك عند ما قرأ قوله تعالى: ﴿ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾[الأعراف: ١٦٥] بكسر الباء وسكون الهمزة، على وزن «فِعْل»(١) وهى متفرعة من قراءة زيد بن ثابت (بئس) بوزن كتف باعتبارها الأصل أو اسما مقصورا من قراءة الجمهور».

وبذلك تكون قراءة ابن وثاب الأولى النظير لقراءة ابن عباس «وحَرْمٌ» بوزن فخْذ(٢) فى التفريع من قراءة عكرمة، حيث تم الانتقال فى قراءة ابن عباس من الخفيف وهو الفتحة إلى ما هو أخف وهو السكون(٣)، وهذان هما التفريعان الجائزان فيما لم تكن عين الاسم منه حرفا حلقيا(٤).

وقد سلك ابن وثاب مسلك ابن عباس السابق فى التفريع والتخفيف عندما قرأ الفعل فى قوله: ﴿ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤] بفتح النون وسكون العين(٥)، وهو هنا قد خفف الأصل (نَعِم) كعلم، وجرى على لغة تميم التى تسكن عين فَعِل مطلقا(٦).

وكنا قد ذكرنا فى مبحث المماثلة أنه قرأ (فَنِعِم) بكسر النون والعين، وكسرت النون إتباعا لكسرة العين، ليحصل نوع من التخفيف بالخروج من كسر إلى كسر، لأن اللسان حينئذ يعمل فى جهة واحدة(٧).

وابن وثاب بذلك الصنيع يكون قد جمع فى قراءته كل التفريعات الجائزة فى صيغة (فَعِل) بغض النظر عن كونها اسمًا أو فعلاً، ويكون ممثلا لقبائل شرقى الجزيرة العربية التى كثرت تلك التفريعات فى كلامها، ولكثرة ما سمع منها حكموا بأن ذلك مطرد فى لهجات تميم وأسد وبكر بن وائل وتغلب وقيس فإنهم

---

(١) المحتسب ١/ ١٦٤، ١٦٥. (٢) المحتسب ٢/ ٦٦ بسكون الوسط.

(٣) ينظر الكتاب ٤/ ١١٣ «باب ما يسكن استخفافا وهو فى الأصل متحرك»، وشرح الشافية للرضى ١/ ٤٢.

(٤) ينظر التبيان فى تصريف الأسماء ١١.

(٥) ينظر المحتسب ١/ ٣٥٦، والبحر ٦/ ٣٨٢، والدر المصون ٧/ ٤٥.

(٦) السابق من الدر المصون.

(٧) الكتاب ٤/ ١١٣ وما بعدها، والدر المصون ٢/ ٦٠٩، والإتحاف ١/ ٤٥٥.

يفرعون على بعض الأبنية لقصد التخفيف..، وأهل الحجاز لا يفرعون ولا يغيرون البناء[1].

رابعًا: تقصير الصائت الطويل:

جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿ **فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ** ﴾ [النساء: ٣].

حيث قرأ الجمهور «ثُلاَثَ ورُبَاعَ»، بإثبات الألف على وزن «فُعَال»، وهي منصوبة على الحال، وغير منونة؛ لمنعها من الصرف عند جمهور النحاة، إما للعدل والوصف، وإما للعدل والتعريف بنية الألف واللام، وإما للعدل وحده حيث أوجب حكمين مختلفين: هما العدل عن تكرار العدد، والعدل عن التأنيث، أو هما العدل عن تكرار الصيغة، والعدل عن معناه وهو الإخبار عن مقدار المعدود دون غيره إلى بيان ترتيب الفعل، فجاز أن يقوم مقام علتين[2].

وقرئت الألفاظ الثلاثة الأخيرة من الآية «ثُنى وثُلَثَ ورُبَعَ» –وكلها على وزن «فُعَل»، من غير ألف، أي بتقصير الألف الطويلة إلى الفتحة القصيرة.

واللفظ الأول منها «ثُنَى» قرأ به إبراهيم النخعي، وهو مقصور من ثُنَاء، واللفظ الثاني قرأ به النخعي أيضًا، وهو مقصور من «ثُلاَث»، واللفظ الثالث «رُبَع» مقصور من «رُبَاع» قرأ به ورواه الأعمش عن يحيى بن وثاب، وقرأ به ورواه المغيرة عن إبراهيم النخعي[3].

وقد ضبط ابن جني الصيغة الأخيرة بقوله «مرتفعة الراء، منتصبة العين بغير ألف[4] أي بضم الأول وفتح الثاني، وذلك ينسحب على الصيغتين الأولى والثانية[5].

---

(١) ينظر السابق من الكتاب، والمخصص ١٤، ٢٢٠، وشرح الشافية للرضى ١/ ٤٠، والتصريح على التوضيح ٢/ ٩٥، والتبيان في تصريف الأسماء ١٠، واللهجات في الكتاب لسيبويه أصواتا وبنية ١٣٣ – ١٣٨.

(٢) الدر المصون ٣/ ٥٦٢، ٥٦٣.

(٣) ينظر في نسبة القراءات المذكورة المحتسب ١/ ١٨١، والبحر المحيط ٣/ ٥٠٦، والدر المصون ٣/ ٥٦٥، وتفسير القرطبي ٥/ ١٥.

(٤) السابق من المحتسب. (٥) السابق من الدر المصون.

قال أبو الفتح في التعليل لقراءة يحيى بن وثاب وإبراهيم النخعي « ورُبَعَ » ينبغي أن يكون محذوفًا من « رُبَاع » تخفيفا، وذكر عدداً من الألفاظ التي عدل فيها عن الألف الطويلة إلى الفتحة القصيرة، غير أن بعضا منها لا يصلح - في رأينا - للتنظير؛ لأنه من باب الضرورة التي فرضها الوزن الشعري، ومن ذلك حذف الألف من لفظ الجلالة في الشطر الأول:

ألا لا بارك الله في سُهَيْلٍ إذا ما الله بارك في الرجال

لأن البيت من بحر الوافر، ووزنه كالآتي:

ألا لابا / ركلْلَهُفي / سهيلنْ.

مفاعلْتن / مفاعلَتن / مُفَاعَلْ

ومما لا يصلح للتنظير أيضًا « الطَّلَل » مقصورا من الطّلال جمع طلّ، وذلك في قول الشاعر:

*** مثل النقالبّده ضَرْبُ الطَّلَلْ ***

لأن البيت من الرجز، ووزنه كالآتي:

مثلنْنقا / لبْدهو / ضَرْبُطْطلَلْ

مستفعلن / مستعلن / مستفْعلن

أما ما يصلح للتنظير به فهو ما ذكره ابن جني من حذف الف « أمّا » في قولهم: « أمَ والله لأفعلن كذا »، وما ورد في قراءة من قرأ « هانتم » بوزن « أَعَنْتُمْ » فحذفت الألف من (أما) و(ها) واكتفى عنها بالفتحة القصيرة من أجل التخفيف[1].

ومن نظائر هذا الحذف الذي يكون لمجرد التخفيف قولهم: رجل عُلاَبط وعُلَبِط، ورجل دراهم ودرهم، وخزاخز وخزخز، ولبن عجالط وعجلط، وعكالط وعكلط، وقولهم في التكسير: جنادل وجندل، وذلاذل القميص وذلذله، وشيء

---

(١) المحتسب ١ / ١٨١.

خناثر وخنثر[1]، وقاعدة ذلك أن اللفظ بعد حذف بعض أصواته يبقى على صورته دون تغيير مادام موافقا لمثال جاء عن العرب يعد نظيرا له[2].

وإذا كان أهل الحجاز قد عرف عنهم إتمام الحركات وتوفيتها حقها من الطول والقصر، بينما عرف عن البدو الإسراع فى النطق والأداء، فليس من المستبعد أن تكون الصيغ التامة الطول «ثلاث ورباع» واردة على لغة الحجازيين، وأن تكون الصيغ المخففة بتقصير الصائت الطويل واردة على لغة البدو، وأن يكون بعض هؤلاء قد أمعن فى طلب التخفيف بإجراء المماثلة التقدمية فى الصيغتين المخففتين، وعلى لغتهم قرأ النخعىّ: «وثُلُثَ ورُبُعَ» بضم الثاء واللام من الكلمة الأولى، وبضم الراء والباء من الكلمة الثانية[3]، وفى ذلك تحقيق لمبدإ الانسجام الصوتى بين الحركات المتجاورة؛ لأن إخراج الحركتين المتجاورتين من المخرج الواحد أخف وأسرع مما لو أخرجت إحداهما من مخرج وأخرجت الأخرى من مخرج غيره.

● ويمكن أن يعد من أمثلة ذلك قوله: ﴿ **قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ** ﴾ [الحجر: ٥٥].

قرأ الجمهور «القانطين» بألف بعد القاف، وهو اسم فاعل من الفعل (قنط) من باب ضرب، أو من باب قعد.

وقرأ يحيى بن وثاب والأعمش وطلحة بن مصرف والحسن، والجعفى عن أبى عمرو (من القنطين) بغير ألف بعد القاف[4].

---

(١) العلابط: الضخم الشديد - الخزاخز: القوى الشديد- العجالط والعكالط: اللبن الخاثر - والجنادل: الحجارة الكبيرة - وذلاذلا القميص: ما يلى الأرض من أسافله -والخناثر: الأشياء الخسيسة تبقى من متاع القوم فى الدار إذا تحملوا.

(٢) انظر الخصائص ٣ / ١١٤، وقارن مع اللسان ٤ / ٣٠٦٥، ومع أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى ١١٢، ١١٣.

(٣) ينظر الكشاف للزمخشرى ١ / ٤٩٧، وإعراب القراءات الشواذ للعكبرى ١ / ٤٦٦.

(٤) ينظر المختصر لابن خالوية ٧٥، والمحتسب ٢ / ٤، ٥، والبحر المحيط ٦ / ٤٨٦، والدر المصون ٧ / ١٦٧، وإعراب القرآن للنحاس ٢ / ٣٨٣، ٣٨٤، وفتح القدير ٣ / ١٣٥، والإتحاف ٢/ ١٧٧.

وقد فسرت القراءة الأخيرة باحد تفسيرين: **أولهما**: أن يكون أصلها «القانطين» كقراءة الجماعة، وحذفت الألف تخفيفا، اى قصرت الفتحة الطويلة إلى الفتحة القصيرة، والعرب تحذف ألف فاعل فى نحو هذا تخفيفا، وذلك كما فى قول الراجز:

أصبح قلبى صَرِدا لا يشتهى أن يردا
إلا عـرادا عَـرِدَا وصـليانـا بَـرِدَا
وعنـكـثا مـلتبدا

أراد عاردا، وباردا، لكنه حذف الألف تخفيفا.

وثانيهما: أن يكون (القنطين) بغير ألف صفة مشبهة باسم الفاعل، والفعل من باب تعب، وليس ثمة حذف؛ فيكون جاريا على إحدى اللغات فى الفعل، وليس تخفيفا من القانطين(١).

ونظير هذه القراءة قراءة أبى حيوة وأبى بحرية وابن أبى عبلة: ﴿أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ [النازعات: ١٠] قرءوا «الحفرة» بغير ألف، وهى مثل بارد وبرد بمعنى واحد(٢)، والحافرة فاعلة بمعنى مفعولة يراد بها القبور، وقيل النار، وقيل الحياة الثانية، وقيل الأرض المنتنة(٣).

ومثلهما قراءة أبى رجاء والحسن والأعرج وأبى جعفر وشيبة والسلمى وابن جبير والنخعى وقتادة وابن وثاب وأيوب وأهل مكة وشبل، والسبعة ماعدا الاخوين: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً﴾ [النازعات: ١١] بغير ألف، وهى تقابل قراءة عمر، وأبىّ، وعبدالله، وابن الزبير، وابن عباس، ومسروق، ومجاهد، والأخوين، وأبى بكر: (ناخرة) بالألف(٤)، قال أبو شامة: نخرة وناخرة بمعنى

---

(١) ينظر المحتسب ٢/ ٥، والدر المصون ٧/ ١٦٧، وابن عقيل ١/ ٤٢٥، واللسان والمصباح (قنط).

(٢) البحر المحيط ١٠/ ٣٩٧، إعراب القراءات الشواذ للعكبرى ٢/ ٦٧٤، ٦٧٥.

(٣) السابق من البحر المحيط.

(٤) السابق من البحر المحيط.

واحد، أى بالية، وفى قراءة القصر زيادة مبالغة[1]؛ لأن فاعلا يكون لمن صدر منه الفعل، وفَعِلاً يكون لمن كان فيه غريزة أو كالغريزة[2].

● ومن الأمثلة على تقصير الصائت الطويل أيضًا قوله تعالى: ﴿قَالَ هُمْ أُوْلَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي﴾ [طه: ٨٤].

وفى اسم الإشارة عدة قراءات: منها قراءة الجمهور: «أولاء» بالهمزة الممدودة التى تلى الألف، ومنها قراءة يحيى بن وثاب وعيسى بن عمر: «أولا» بالقصر بدون همزة مثل (عُلاَ)[3].

وقد نسب الإتمام فى اسم الإشارة المذكور إلى أهل الحجاز، بينما نسب القصر إلى بنى تميم[4]، ولا يخفى على القارئ التجوز فى المصطلح؛ لأن الأسماء المبنية لا يقال فيها مقصور وممدود إلا على سبيل التشبيه بالأسماء المتمكنة المعربة، عند قصد التفريق بين لغة الحجاز وتميم[5]، فهو يشبه فى المعربات مثلا قول أهل الحجاز «شَرَى شِراء» بالمدّ، وقول أهل نجد «شَرَى شِرًا» بالقصر[6].

فالتقصير الذى حدث فى «أولا» التميمية النجدية تم بحذف الهمزة المكسورة فى آخره، والتى هى فى التقدير ألف ثانية؛ لأن الألف الأولى فى الصيغة الحجازية كان قد زيد فى مدّها بمقدار ألف أخرى فتولدت منها الهمزة فى لغتهم.

والتجريد المقطعى يشير إلى أن الصيغة الحجازية أوفر فى عدد المقاطع الصوتية، إذ تبلغ مقاطعها فى العدّ ثلاثة، وهى:

---

(١) إبراز المعانى من حرز الأمانى ص ٧١٨.

(٢) الدر المصون ٦/ ٤٧٢ ط ١٩٩٤م.

(٣) ينظر شواذ القراء واختلاف المصاحف للكرمانى ١٥٣، وإعراب القراءات الشواذ ٢/ ٨٣، وينظر الكشاف ٢/ ٥٤٨، والبحر ٧/ ٣٦٦، والدر المصون ٨/ ٨٨.

(٤) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٥٣، وتفسير القرطبى ١١/ ٢٣٣، وفتح القدير ٣/ ٣٧٩، واللسان ٣/ ١٤٧٥ (ذا).

(٥) ينظر تصريف الأسماء، د. أحمد كحيل ٩٦.

(٦) المخصص ١٦/ ١٦، واللسان ٤/ ٢٢٥٣ (شرى)، وينظر المصباح المنير ٣١٢ وفيه حكاية لمعركة قامت بين اليزيدى والكسائى.

أُ = ص ح + لا = ص ح ح + ءِ = ص ح

أما الصيغة التميمية فلا تتجاوز المقطعين الأول والثانى.

ومن القراءات فى اسم الإشارة المذكور قراءة يحيى بن وثاب (أولاىَ)، بألف بعدها ياء مفتوحة، وهى فى الضبط مثل (هُدَاى)[1].

وهذه القراءة لا يمكن فهمها إلا فى ضوء قراءة الجمهور (أولاء) بالإتمام، ثم فى ضوء قراءة الحسن وابن معاذ (أولاىِ) بياء مكسورة فى آخره، قال صاحب الدرّ المصون: أبدلا الهمزة ياء تخفيفا[2].

والذى نراه أن الأصل هو قراءة الجمهور (أولاء) بهمزة محققة فى آخره خالصة الانحباس والشدة والانفجار، ثم تطورت فى ألسنة بعض العرب إلى الصورة التى جاءت عليها قراءة الحسن وابن معاذ، غير أننا لا نقول بالإبدال إلى الياء كما قال السمين الحلبى، وإنما نقول جعلا الهمزة بين الهمزة والياء، لأنها همزة مسبوقة بألف وحكمها عند التخفيف أن تصير إلى همزة بيْن بيْن بمقتضى القياس[3]، ولله در ابن القاصح حينما ضبطها فى قوله «بكسرة ملينة من غير همز ولا مد ولا ياء[4]»، وهذا الموضع لم تضع له الكتابة العربية رمزًا يضبطه، وإنما يضبطه الأداء والمشافهة[5]، وإذا اضطر العلماء إلى تسجيل ذلك بالكتابة عبروا عن الكسرة الملينة أو همزة بيْن بيْن التى معناه بالياء المكسورة، مشيرين بذلك إلى الانتقال السريع من الوضع الذى يشبه الانحباس فى الحنجرة إلى الوضع الذى يأخذه اللسان حينما يرتفع قليلاً عن وضعه مع الكسرة العربية.

ولنا بعد ذلك أن نقول إن الصورة التى جاءت عليها قراءة يحيى بن وثاب

---

(١) المختصر لابن خالوية ٩١، ونسبت فى معانى القرآن للفراء ٢ / ١٨٨ إلى بعض القراء، وفى البحر المحيط إلى فرقة ٧ / ٣٦٦، وفى الدر المصون ٨ / ٨٨ وقرأت طائفة.

(٢) الموضعين السابقين من البحر المحيط والدر المصون.

(٣) تنظر المواضع القياسية لهمزة بيْن بيْن فى رسالتى للماجستير «الهمز والتسهيل فى القراءات واللهجات العربية» ص ٣٢، والمراجع المذكورة فى الهامش.

(٤) انظر هامش الإتحاف ٢ / ٢٥٤.

(٥) ينظر الكتاب – أول باب الإدغام – ٤ / ٤٣١ وما بعدها.

(أولایَ) بياء مفتوحة تمثل التطور الثانى عن قراءة الجمهور ولهجة أهل الحجاز، حيث يفترض أن بعض الناطقين من العرب أشبع الهمزة الأخيرة من الصيغة الحجازية (أولاء) مبالغة فى بيان الهمزة وكسرتها، فصاروا إلى الصيغة المشبعة (أولائى) فرضا، ثم حدث أنهم قاسوا هذه الصيغة على الممدود المضاف إلى ياء المتكلم قياسا خاطئا، فشبهوها بـ « شركائى[1] »، أو بكلمة « آبائى » أو بكلمة « دعائى » وما يشبهها، مما يجوز فى يائه الإسكان والفتح فى قياس أهل اللغة، فكان من يهمز ويفتح الياء يقول « شركائىَ » و« آبائىَ » و« دعائىَ » ، وكان من يحذف الهمزة ويبقى على الياء المفتوحة يقول: « آبایَ » و« دعایَ » و« وشرکایَ »، وعلى سبيل القياس الخاطىء يقولون: « أولایَ »، وعلى هذا النهج جرت قراءة يحيى بن وثاب التى معناه: « هم أولایَ على أثرى » بترك الهمزة، وإثبات الياء المفتوحة.

وهذا الذى سبق إيضاحه ذهب إليه الفراء، وأجمله فى عبارته: « وقد قرأ بعض القراء (أولایَ) بترك الهمز، وشبهت بالإضافة إذا ترك الهمز، كما قرأ يحيى ابن وثاب: ﴿ مِلَّةَ آبَایَ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [يوسف: ٣٨][2]، ﴿ وَتَقَبَّلْ دُعَایَ * رَبَّنَا ﴾[إبراهيم: ٤٠، ٤١][3].

وقد اختلفت نظرة اللغويين والقراء إلى هذا القراءة (أولایَ) من ناحية التوجيه والتفسير، ومن جهة صوابها اللغوى، وقد ذكرنا فيما سبق أن الفراء يقبلها ولا يغلطها، ويفسرها بما يسميه المحدثون القياس الخاطىء[4].

وعلى هذا النهج سار أبو البقاء العكبرى، فقال: « هم أولاء » يقرأ بالقصر

(١) انظر لغة هذيل ٩٨.

(٢) وقرأ بذلك الأعمش أيضًا كما فى المختصر لابن خالوية ٦٨.

(٣) معانى القرآن للفراء ٢ / ١٨٨.

(٤) القياس الخاطىء علة معتمدة عند المحدثين فى تفسير بعض المشكلات اللغوية التى لا يظهر لها وجه صحيح فى أقيسة القدماء الصحيحة بطبيعة الحال، وقد اعتمدها من المحدثين الدكتور إبراهيم أنيس فى كتابه من أسرار اللغة ٤٤، والدكتور عبده الراجحى فى كتابه اللهجات العربية فى القراءات القرآنية ١٣٢.

مثل عُلا، وهى لغة، ويقرأ بالف بعدها ياء مفتوحة مثل هُدَاىَ، والوجه أنه أبدل الهمزة ياء وفتحها تخفيفا»[١]، وهذا معناه أن اللفظة مرت بطورين:

الأول: (أولاىِ) بياء مكسورة مبدلة من الهمزة على سبيل التخفيف[٢]، وهذه نسبها صاحب الإتحاف إلى الحسن البصرى[٣].

الثاني: أن هذه الياء المكسورة فتحت بطريق القياس الخاطىء على ياء المتكلم، وهى ليست كذلك، فكما قالوا: إياىَ، وهداىَ، ومحياىَ.. قالوا: أولاىَ، متوهمين أنها ياء المتكلم.

وهى فى وجهيها السابقين تشبه ﴿هِيَ عَصَايَ﴾ [طه: ١٨] حيث جاءت القراءة بفتح الياء الخفيفة وكسرها، والكسر هو قراءة الحسن وأبى عمرو[٤].

هذا وهناك آخرون حكموا على قراءة (أولاىَ) بالغلط، منهم النحاس والزجاج، قال أبو جعفر: «وزعم أبو إسحاق أن هذا لا وجه له، وهو كما قال؛ لأن هذا مما لا يضاف فيكون مثل هداىَ»[٥]، ومنهم السمين الحلبى، قال: وقرأت طائفة (أولاىَ) بياء مفتوحة، وهى قريبة من الغلط[٦].

ونحن من جانبنا لا نملك إلا قبول هذه القراءة، مادامت قد صحت روايتها وتناقلتها الكتب المعتمدة، ونذهب مذهب الفراء والكوفيين فى اعتمادها وإن لم يكن لها نظير فيما نقلوه من لغة العرب؛ لأن أئمة القراءة لا يعولون على الأفشى فى اللغة والأقيس فى العربية، بل على الأثبت فى الأثر، والأصح فى النقل والرواية[٧].

- ومن الأمثلة على تقصير الصائت الطويل أيضًا قوله تعالى: ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦].

---

(١) إعراب القراءات الشواذ ٢ / ٨٣.
(٢) ذكرنا فيما مضى أن القياس فى تخفيفها أن تكون بيْن بيْن.
(٣) الإتحاف ٢ / ٢٥٤، وقارن مع الدر المصون ٨ / ٨٨.
(٤) انظر المحتسب ٢ / ٤٨، ٤٩، وإعراب القراءات الشواذ ٢ / ٦٨.
(٥) إعراب القرآن للنحاس ٣ / ٥٣. (٦) الدر المصون ٨ / ٨٨.
(٧) ينظر النشر ١ / ١٠، والبحث اللغوى عند العرب ١٣ وما بعدها.

قرأه الجمهور «وبالنجم» بفتح النون وسكون الجيم، والمراد به كوكب بعينه، يقال هو الجدى أو الثريا أو الفرقدان، وقيل هو اسم جنس[١].

وقرأه الحسن البصرى «وبالنُّجُم» بضم النون والجيم[٢]، وقرأه هو أيضًا بضم النون وسكون الجيم هنا وفى سوة النجم[٣].

وقرأه يحيى بن وثاب بالوجهين كالحسن البصرى[٤].

وهاتان القراءتان من قبيل الجمع الصريح؛ لأن النجم يجمع على نُجُم بضمتين كرهن ورُهن، وسقف وسُقُف، ويحتمل أن يكون النجم قد جمع على نجم بضم فسكون، كما قيل: فرس وَرْد، وخيل وُرْد، وسهم حَشْر، وسهام حُشْر، ثم ثقل الجمع فصار إلى النُّجُم بضمتين[٥].

هذا وهناك احتمال آخر وهو ألا يكون النُّجم بضمتين فرعا عن النجم بضم فسكون، كما ذكرنا، وإنما يكون متفرعا عن (النجوم) الجمع الأشهر للنجم، كفلس وفلوس، وتمَّ ذلك بتقصير هذه الواو إلى الضمة القصيرة[٦] فصارت النجوم إلى النجم بضمتين.

ولذلك التقصير نظائر فى كلام العرب، منها قولهم فى جمع الأَسَدِ أُسودٌ، ثم يقصرونه إلى الأُسُد بضمتين.

ومنها قول الشاعر:

إن الذى قضى بذا قاض حكمْ   أن ترد الماء إذا غاب النُّجُمْ

يريد إذا غاب النجوم.

---

(١) ينظر معانى القرآن للفراء ٢ / ٩٨، والبحر والمحيط ٦ / ٥١٥، والدر المصون ٧ / ٢٠٢، وإعراب القراءات الشواذ للعكبرى ١ / ٧٥٩، والإتحاف ٢ / ١٨٢.

(٢) المحتسب ٢ / ٨، والبحر المحيط ٦ / ٥١٥.

(٣) السابق من اليحر، والإتحاف ٢ / ١٨٢.

(٤) انظر المراجع الثلاثة السابقة، وذكر السمين الحلبى أن إحدى القراءتين تنسب إلى الحسن، والأخرى تنسب إلى ابن وثاب من غير تحديد ٧ / ٢٠٢ الدر المصون.

(٥) ينظر المحتسب ٢ / ٨، واللسان ٦ / ٤٣٥٧ (نجم).

(٦) ولا نقول بحذف الصائت الطويل كما قال ابن جنى فى ٢ / ٨ المحتسب.

ومنها قول الأخطل:

كلمع أيد مثاكيل مسلّبةٍ   يندبْنَ ضرس بنات الدهر والخُطُب

يريد والخطوب.

ومنها قول الشاعر:

*** حتى إذا ابتلت حلاقيم الحُلُق ***

يريد الحلوق[1].

والتجريد المقطعى يظهر ذلك التقصير، حيث نرى أن مقاطع الجمع التام « نجوم » كالآتى:

ص ح + ص ح ح + ص ح ص.

بينما نرى مقاطع الصيغة المقصورة منها نُجُم بضمتين كالآتى:

ص ح + ص ح + ص ح ص.

حيث تحول المقطع الثانى من متوسط مفتوح إلى قصير مفتوح، وبعض العرب يبالغ فيحذف الحركة القصيرة بتمامها فيقول فى النجم بضمتين النّجم بضم فسكون، كما قالوا فى الرُّسُل: الرُّسْل، فتبقى الكلمة على مقطعين بعد ضم الصامت إلى المقطع الأول، فتصير (ص ح ص + ص ح ص).

وخلاصة الأمر أن السرعة التى اعتادها البدو فى نطقهم جعلتهم يلقون الحركة بتمامها أحيانا ويجدون فى ذلك إراحة لأعضاء نطقهم، أو جعلتهم يلقون بعض الحركة من الكلمة ويحتفظون ببعضها الآخر، ويجدون فى ذلك بعض الراحة، وهذا فعل الذين قالوا فى النجوم: النجم بضمتين، فقصروا الضمة الطويلة إلى الضمة القصيرة من غير أن يستغنوا عنها بالكلية.

* * *

---

(١) تنظر هذه الشواهد فى المحتسب ١ / ١٩٩، ٢ / ٨، والدر المصون ٧ / ٢٠٢.

المبحث السادس

«كسر فاء الفعل الثلاثى المضعف المبنى للمجهول»

من الشواهد التى وردت بذلك فى قراءة يحيى بن وثاب:

- قوله تعالى: ﴿كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا﴾ [النساء: ٩١]
- قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا...﴾ [الأنعام: ٢٨].
- وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ [الأنعام: ٦٢].
- وقوله تعالى: ﴿هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾ [يوسف: ٦٥].
- وقوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ﴾ [الرعد: ٣٣].
- وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ﴾ [غافر: ٣٧].

الآيات الست المذكورة اشتملت على الفعْلين «رُدّ» و«صُدَّ»، وهما ثلاثيان، ومضعفان، أى العين واللام منهما مثلان.

وقد ذكرت كتب اللغة والقراءات أن هذين الفعلين إذا بنيا للمجهول جاز فى الفاء منهما ثلاثة أوجه.

الأول: ضم الفاء وهو الأفشى فى اللغة، قال ابن جنى «فاما المضعف فاكثره عنهم ضم أوله، نحو شُدَّ ورُدّ»(١).

وعلى هذا الوجه جاءت قراءة حفص للفعلين المذكورين فى الآيات الستة المذكورة وهى قراءة أكثر القراء(٢) وجمهورهم(٣).

---

(١) المحتسب ١/٣٤٥. (٢) تفسير الرازى ١٨/١٧٠.

(٣) التبيان فى إعراب القرآن للعكبرى ٢/٧٣٧ ط الحلبى ١٩٧٦م.

وقد حكم النحويون على هذه اللغة بالفصاحة[١]، لكونها الأقيس؛ لأن الماضي الثلاثي في غير المضعف يبنى للمفعول بضم أوله وكسر ما قبل الآخر، نحو ضُرِب وفُهم، ولكونها الأكثر في الاستعمال، قال سيبويه «واعلم أن رُدّ هو الأجود والأكثر»[٢]، بل بالغ بعض النحويين في إثباتها ورد ماعداها، قال أبو حيان: «وقال الجمهور لا يجوز إلا ضم الفاء»[٣].

الوجه الثاني: إشمام الضمة رائحة الكسرة عند النطق بالفاء من الأفعال المذكورة، والمراد بالإشمام هنا خلط شيء من الضمة بشيء من الكسرة في النطق ليتكون منهما حركة تامة مركبة من حركتين إفراداً لا شيوعا، وجزء الضمة مقدم وهو الأقل، يليه جزء الكسرة وهو الأكثر[٤].

وذلك الإشمام يكون في أول الثلاثي المضعف المبني للمجهول، وفي أول الثلاثي المعتل الوسط المبني للمفعول أيضًا، وهو حالة من حالات الوصل، وليس الوقف، يحكمها السماع والمشافهة، وتظهر في اللفظ ولا تظهر في الخط.

وهوعادة نطقية لبعض العرب، قال سيبويه: «سمعنا من العرب من يشم الضّم[٥]، وهؤلاء منهم ناس كثير من قيس وعامة بني أسد[٦]، وقال المهابذي: من أشم في «قيل وبيع» أشم في «ردّ»[٧].

وهذه اللغة تلي اللغة السابقة التي تخلص الضم في الفاء - في الفشو والسماع من العرب[٨].

الوجه الثالث: كسر الفاء من الأفعال المذكورة كسراً خالصًا، وهو لغة

---

(١) ينظر حاشية الصبان على الأشموني ٢/٦٤، وحاشية الخضري على ابن عقيل ١/١٦٩.

(٢) الكتاب ٤/٤٢٣.

(٣) ارتشاف الضرب د. مصطفى النماس ٢/١٩٧.

(٤) شرح التصريح على التوضيح ١/ ٢٩٤، وعبارة الخضري في حاشيته على ابن عقيل ١٦٩: «أن يؤتى بجزء من الضمة قليل سابق، وجزء من الكسرة كثير لاحق».

(٥) الكتاب ٣/٩٥. (٦) ارتشاف الضرب ٢/١٩٥.

(٧) السابق ٢/١٩٧، وحاشية الصبان ٢/٦٤.

(٨) المحتسب ١/٣٤٥.

قليلة[١]، أجازها من النحويين بعض الكوفيين، قال أبو حيان : وهو الصحيح، وهو لغة لبنى ضبة وبعض تميم ومن جاورهم، يقولون : رِدّ الرجلُ، وقِدَّ قميصه[٢].

وعلى هذا الوجه الأخير قرئت آية النساء « كلما رِدّوا » فكسر الراء علقمة، والأعمش ويحيى بن وثاب[٣].

وقرئت آية الأنعام « ولو رِدُّوا » فكسر الراء الثلاثة السابقون وإبراهيم النخعى[٤].

وقرئت آية يوسف « رِدَّتْ إلينا » فكسر الراء الثلاثة والحسن[٥].

وقرئت آية الرعد « وصِدُّوا عن السبيل » فكسر الراء الثلاثة، ورويت عن الكسائى لابن يعمر[٦].

وقرئت آية غافر « وصِدَّ عن السبيل » فكسر الراء الثلاثة، وعكرمة[٧].

ومن اللافت للنظر أن الكتب التى عنيت باللغة والقراءات سجلت شواهد على هذه اللغة التى نسبت إلى بنى ضبة[٨]، والتى نعتها ابن جنى بالقلة، ولم يجزها إلا بعض الكوفيين، بينما لم تسجل أمثلة للغة الإشمام الكثيرة الشيوع، وربما كان ذلك راجعا إلى افتقار السماع أو إلى صعوبة التدوين وعدم تداول الرمز الموضوع له وهو النقطة فى أعلى الحرف[٩].

---

(١) السابق. (٢) ارتشاف الضرب ٢ /١٩٧.

(٣) المختصر لابن خالوية ٣٤، والبحر المحيط ٤ /١٧، وشرح الأشمونى ٢ /٦٤.

(٤) المختصر ٣٤، والبحر المحيط ٤ /٤٧٨، والدالمصون ٤ /٥٩١، وفتح القدير ٢ /١٠٩.

(٥) المختصر ٦٩، والمحتسب ١ /٣٤٥، وإعراب القرآن للنحاس ٢ /٣٣٥، والبحر المحيط ٦ /٢٩٦ والدر المصون ٦ /٥١٩، والإتحاف ٢ / ١٥٠.

(٦) المختصر ٧١، والبحر المحيط ٦ /٣٩٤، والدر المصون ٧ /٥٧، وتفسير القرطبى ٩ /٣٢٣ وفتح القدير ٣ /٨٥، والإتحاف ٢ /١٦٢.

(٧) والبحر المحيط ٩ /٢٥٩، والدر المصون ٧ /٥٧، وتفسير القرطبى ١٥ /٣١٥، وفتح القدير ٤ /٤٩٣، والإتحاف ٢ /١٦٢.

(٨) ينظر البحر المحيط ٦ /٢٩٦.

(٩) ينظر الكتاب ٤ /١٦٨ إلى ١٧٢، وكتاب النقط لأبى عمرو الدانى ١٢٩.

وأما العلة فى إيثار الضم أو الإشمام أو الكسر فى الأفعال المذكورة عند من يتكلم بذلك فهو شيء يرجع إلى الخفة والثقل فى ألسنة الناطقين من العرب، حسب طبائعهم وعاداتهم الكلامية من التأنى أو السرعة، وإعطاء الحركة والحرف حقهما من الأداء الذى تفرضه اللغة وقوانينها أو إدخال تغيير ما تفرضه اللهجة المعينة وقوانينها الملائمة لطبائع أصحابها.

فلغة الضم الخالص فى فاء «رُدَّ، وقُدَّ، وصُدَّ» لا يشك فى أنها اللغة الحجازية التى أقرتها اللغة النموذجية؛ وذلك لأن قياس الماضى الثلاثى المبنى للمفعول ضم أوله فى لغة جميع العرب أو معظمهم، فالذين يخلصون الضم محققون لذلك القياس طالما أنه لا يوجد سبب أو مبرر للعدول عنه.

ولغة الإشمام فى حركة الفاء من الأفعال المذكورة تناسب الناطقين بذلك من قيس وأسد؛ لأن طبيعة الحياة عند هؤلاء تفرض عليهم الانتقال السريع من مكان إلى مكان، والتخفف من أبعاض الأشياء، فقد كانوا إذا انتقلوا أخذوا بعضا من الطعام، وبعضا من الشراب، وبعضا من الوقود، وبعضا من العلف.. وهكذا؛ لأن الكل الواحد لا يغنيهم عن تلك الأبعاض، وهى بالنسبة لهم أوفق منه، وأكثر فائدة.. لما كانت هذه طبيعتهم وتلك عادتهم أخذوا بعضا من حركة الفاء وهو جزء الضمة مع بعض من حركة عين (فُعِل) وهو جزء الكسرة، وخلطوهما، وكونوا منهما حركة تامة مركبة من حركتين إفرادا لا شيوعا، وكان جزء الضمة هو المقدم لتقدم حركة الفاء، وكان جزء الكسرة هو المتأخر لتأخر حركة العين[1]، والإشمام بهذه المفهوم لابد من سماعه كما قال أبو عمرو الدانى[2].

أما لغة الكسر الخالص فى فاء «رِدَّ، وصِدَّ، وقِدَّ» ونظائرها فى لغة بنى ضبة[3]، وبعض تميم فهى مبنية على الانتقال من الأثقل إلى الأخف، وقد تولى ابن سيده شرح جزء من هذه المسألة فى قوله: «هذا باب ما يسكن استخفافا وهو فى الأصل عندهم متحرك»، ومثل لذلك بقول أبى النجم:

* لو عُصْرَ منه البان والمسك انْعَصَرْ *

---

(١) ينظر شرح التصريح على التوضيح ١/ ٢٩٤.

(٢) ارتشاف الضرب ٢/ ١٩٥. (٣) البحر المحيط ٦/ ٢٩٦.

يقول: كرهوا في «عُصِرَ» الكسرة بعد الضمة، كما يكرهون الواو مع الياء في مواضع، ومع هذا إنه بناء ليس من كلامهم إلا في هذا الموضع من الفعل؛ فكرهوا أن يحولوا ألسنتهم إلى الاستثقال، يريد أنه ليس من كلامهم (فُعِل) إلا فيما لم يسم فاعله من الثلاثي[(١)].

وهذا الكلام يعنى أن بناء (فُعِل) مهمل في الأسماء، أو قليل أو شاذ كما قال بعض العلماء، والسر في إهماله هو ما فيه من الثقل بالانتقال من الضم إلى الكسر، وما ورد منه في الأسماء نحو: دُئِل ورُئِم ووُعِل.. قالوا إنه منقول من الفعل المبنى للمجهول.

ويعنى أيضًا أن (فُعِل) في الفعل المبنى للمجهول احتمل فيه الثقل المشار إليه في لغة الجمهور من العرب؛ لأنه بناء عارض فرعى على المبنى للمعلوم، ولذا وجدنا بعض العرب يخففونه بإسكان عينه كما في قول أبي النجم السابق[(٢)].

وخلاصة ما نفيده من الكلام المتقدم أن صيغة (فُعِل) مبنية على الثقل، وأحد الطرق إلى تخفيفها إسكان العين منها، وبخاصة إذا كانت تقبل الحركة والسكون، أما الطريق الثاني للتخفف من ذلك الثقل فقد ذكره ابن جني في قوله: وبعضهم يقول في الصحيح: «قد ضِرْبَ زيْدٌ، وقِتْلَ عمروٌ»، يريد: ضُرِبَ وقُتِلَ بالبناء للمفعول، فكسر أوله وهو فاء الكلمة، وأسكن ثانية وهو عين الكلمة، وإنما كان ذلك بنقل كسر العين إلى الفاء[(٣)].

وليس ببعيد عن ذلك ما يصنعه بنو ضبة وبعض تميم ومن جاورهم حينما يكسرون الفاء من المضعف في نحو «رِدّ، وقِدّ، وصِدّ»؛ وذلك لأنها في تقدير: «رُدِدَ، قُدِدَ، صُدِدَ» بوزن فُعِل المبنى للمفعول، فلما سكنوا الدال الأولى للإدغام نقلوا كسرتها إلى الفاء؛ وحققوا بذلك شيئين: الأول: التخلص من كراهة الانتقال من الضم إلى الكسر باعتبار الأصل قبل الإدغام، الثاني: أنهم جعلوا لهذه الكسرة وظيفة، وهي الدلالة على حركة العين المحذوفة وهي الكسرة.

---

(١) المخصص سفر ١٤ص ٢٢٠، ٢٢١.

(٢) ينظر الخصائص لابن جنى ٣/ ١٧٩، والتبيان في تصريف الأسماء ٨، ٩، ١٠، وأبنية العربية في ضوء علم التشكيل الصوتى ٢٧، ٢٨ الأصل والهامش.

(٣) المحتسب ١/ ٣٤٦.

هذا وربما يكون للاستعلاء في القاف والصاد والضاد في (قد، وصد، وضرب)، وللتكرير في الراء من (رد)، دورٌ في استثقال الضمة على الفاء من الكلمات المذكورة؛ وذلك لأن حروف الاستعلاء يرتفع معها مؤخر اللسان نحو مؤخر الحنك الأعلى، وكذلك الحال مع الضمة يرتفع معها مؤخر اللسان نحو مؤخر الحنك الأعلى من غير أن يحدث الهواء الحامل للصوت حفيفا في حال الضمة، فكأن اللسان يعمل عملين متشابهين مع حروف الاستعلاء في لغة الضم الخالص، وهذا الوضع يتطلب أناة وتؤدة، وإتقانا ومهارة في تحريك اللسان حركتين متشابهتين متتاليتين، أولاهما : للحرف الصامت المستعلى، وثانيتهما : للصائت الخلفي وهو الضمة، وهو ملائم لأهل الحجاز ومن جرى على لغتهم، وهم جمهور العرب وجمهور القراء.

أما البدو الذين دأبوا على الإسراع في النطق فبعضهم مال ميلا خفيفا عن لغة الجمهور من العرب حين تكلف الصامت الذى يرتفع له أقصى اللسان متلوا ببعض الضمة التي يرتفع لها نفس العضو، وببعض الكسرة التي يرتفع لها مقدم اللسان، وذلك ما عرف عن قيس وأسد من الإشمام[١]، وبعضهم - بنو ضبة وبعض تميم ومن جاورهم[٢] - وهم أكثر سرعة في الأداء، عدلوا عن الحركة الثقيلة وهي الضمة بعد الحرف المستعلى إلى الحركة الخفيفة وهي الكسرة التي تخرج من مقدم اللسان دون حفيف.

وللسائل أن يتساءل عن حال الضمة مع الراء، والحال أنه لا يعمل معهما عضو واحد كما هو الوضع في حروف الاستعلاء والضمة!! نقول إن الثقل في هذه المرة إنما كان بسبب التكرير الذى هو صفة خاصة بالراء، فالتكرار الذى في الراء يعني أيضاً تكرار الحركة المصاحبة، وهي الضمة في لغة جمهور العرب (رُدَّ)

---

(١) ينظر شرح التصريح على التوضيح ١ /٢٩٤، وينظر إرتشاف الضرف ٢ /١٩٥، ويقارن مع ٢ /١٩٧ منه.

(٢) ينظر المحتسب ١ / ٣٤٦ والدر المصون ٦ /٥١٩، وارتشاف الضرب ٢ /١٩٧، وشرح التصريح على التوضيح ١ /٢٩٥.

ولذا فر أهل الإشمام من جزء تلك الحركة، وفر بنو ضبة ومن شاركهم من تكرار الضمة إلى ما هو أخف وهو تكرار الكسرة، وقد جرت على ذلك قراءة يحيى ابن وثاب ومن شاركه للآيات التي ذكرناها في صدر هذا المبحث، ووافقها قول ذي الرمة (من الطويل):

دنا البَيْنُ من مَيٍّ فَرِدَّتْ جِمالُها وهاج الهوى تقويضها واحتمالها

هكذا ضبطه ابن جني ورواه (فَرِدَّتْ) بكسر الراء شاهداً على لغة بني ضبة[1]، الذين اختاروا كسر فاء الثلاثي المضعف المبني للمجهول؛ «لأن الكسرة أسهل في أدائها من الضمة نظرا لانفراج الشفتين مع الكسرة واستدارتهما مع الضمة»[2].

* * *

(١) ينظر المحتسب ١/٣٤٥.

(٢) القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ٢٩٠.

الفصل الثالث

الظواهر السياقية فى الصوامت

المبحث الأول
(الإدغام أو المماثلة)

● **تعريف الإدغام:**

الإدغام (بسكون الدال) مصدر الفعل الرباعى أدغم، وبتشديد الدال مصدر الفعل الخماسى ادَّغم بوزن افتعل، وهو ظاهرة لغوية تجرى على ألسنة العرب، قال أبو عمرو بن العلاء: الإدغام كلام العرب الذى يجرى على ألسنتها ولا يحسنون بغيره[١].

ومعناه فى كلام العرب الإدخال، يقال: أدغمت اللجام فى فم الدابة، أى أدخلته فيه، ويجىء بمعنى التغطية، يقال: أدغمت الشىء بمعنى غطيته[٢].

ويطلق اللغويون الإدغام ويريدون منه إدخال الحرف فى الحرف، وهو محتمل لأن يكون الداخل غالبًا بالنظر إلى قولهم: دغم الغيث الأرضِ يدغمها، وأدغمها: إذا غشيها وقهرها، ومحتمل لأن يكون الداخل مغلوبًا بالنظر إلى قولهم: أدغمت اللجام فى فم الفرس إذا أدخلته فيه، وقول الأزهرى إدغام الحرف فى الحرف مأخوذ من هذا[٣] يشير إلى كثرة فناء الحرف الأول فى الثانى واستتاره فيه كما يستتر اللجام فى فم الفرس.

والإدغام فى اصطلاح النحويين: أن تصل حرفًا ساكنًا بحرف مثله متحرك

---

(١) النشر فى القراءات العشر ١/ ٢٧٥.

(٢) تهذيب اللغة للأزهرى ٨/ ٨٧ بتصرف.

(٣) اللسان ٢/ ١٣٩١ (دغم) بتصرف، وقارن مع أثر القراءات فى الأصوات والنحو العربى ١٢٢.

من غير أن تفصل بينهما بحركة أو بوقف، فيصيران لشدة اتصالهما كحرف واحد، يرتفع اللسان عنهما رفعة واحدة، شديدة، فيصير الأول كالمستهلك لأنه على حقيقة التداخل والإدغام، وذلك نحو شدّ ومدّ ونحوهما[١].

وقد عرفه ابن أبى مريم بقوله: الإدغام أن تصل حرفًا ساكنًا بحرف متحرك مثله أو مقاربه، فينبو اللسان عنهما نبوة واحدة..، بمعنى أنه إذا وقع فى كلمة حرفان مثلان ثقل على المتكلم من جهة أنه إذا ترك مخرج حرف وعاد إليه كان بمنزلة من قطع مسافة ثم رجع القهقرى، وهذا ثقيل عندهم، فإذا أمكن أن ينبو اللسان عنهما نبوة واحدة كان أسهل من تحريكهما بحركتين مع اتفاقهما[٢].

وبناء على ذلك يحدث الإدغام نوعًا من التخفيف والسهولة فى النطق، والاقتصاد فى المجهود العضلى؛ لأن التلفظ بحرف من مخرج والرجوع إلى ذات المخرج للنطق بذات الحرف مرة أخرى يشبه مشى المقيد[٣].

وهناك شروط يلزم توافرها لصحة الإدغام، وله أقسام، وأحكام من الوجوب أو الجواز يرجع إليها فى مظانها من يريد الإحاطة بها[٤].

وقد يتسع مفهوم الإدغام لأنواع كثيرة من تأثر الأصوات اللغوية بعضها ببعض فى المتصل من الكلام، وذلك ما أشار إليه ابن جنى عند حديثه عن الإدغام الأصغر، الذى عرفه بأنه « تقريب الحرف من الحرف وإناؤه منه من غير إدغام يكون هناك » أى من غير مزج ولا خلط ولا إفناء له فى غيره، وهو يشمل نحو أحد عشر نوعًا من التقريب بين الصوامت أو بين الحركات[٥].

وهذا التصور للإدغام كان سيبويه قد سبق إليه عندما تحدث عن المضارعة

---

(١) شرح المفصل لابن يعيش ١٠/١٢١.

(٢) الموضح فى وجوه القراءات وعللها لابن أبى مريم ١/١٩٣، ١٩٤، تحقيق عمر الكبيسى.

(٣) الممتع لابن عصفور ٦٣١، وشرح المفصل ١٠/ ١٢١ بتصرف.

(٤) ينظر فى ذلك بحث للدكتور عبدالغفار هلال بعنوان « الإدغام والفك بين القراء واللغويين » ص ٥٠ وما بعدها من مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة – العدد الثامن ١٩٩٠م.

(٥) يراجع الخصائص لابن جنى ٢/١٤١ – ١٤٥.

أو التقريب بين الحروف[١]، وهو ينطبق إلى حدّ كبير على فكرة المماثلة بوجه عام[٢].

وكنا قد ذكرنا في المبحث الأول من الفصل الثاني تعريف المماثلة، وأقسامها إلى كلية وجزئية، وإلى تقدمية ورجعية بما يغني عن إعادة الكلام عليه هنا، وبينا أن المماثلة تقع بين الصوائت وعرضنا للأمثلة التطبيقية التي توضح ذلك.

وها نحن الآن نعرض لما ورد في قراءة يحيى بن وثاب من الشواهد على المماثلة بين الصوامت:

● من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ٦٣].

قرأها يحيى بن وثاب «وادّكِرُوا» بالدال المهملة المشددة[٣]، ووزنه افتعلوا، مأخوذ من الذكر.

وأصل «ادّكِرُوا»: اذتكروا، بتاء الافتعال بعد الذال التي هي فاء الكلمة، ولما كان في النطق بالتاء المهموسة بعد الذال المجهورة شيء من الثقل أبدلت العرب التاء إلى حرف يوافقها في المخرج ويوافق الذال في صفة الجهر، فصارت الكلمة «اذدكروا» بالدال في مكان التاء لتماثل الذال في الجهر، وهذا يقال له المماثلة التقدمية في الصفة.

ثم حدث تقريب أكثر بين الذال والدال، فكانت قراءة عبدالله بن مسعود «واذَّكروا»[٤] بالذال المعجمة المشددة، بعد أن قلبت الدال المهملة إلى الذال المعجمة، وتم إدخال الأولى في الثانية، وهذا يقال له إدغام، ويقال له مماثلة تقدمية؛ لأن الصوت الأول وهو الذال أثر في الثاني وهو الدال فجذبه إلى مخرجه.

وعلى ذلك أيضًا وردت قراءة الحسن ﴿ وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ [يوسف: ٤٥]، بالذال المعجمة المشددة[٥] بعد حدوث المماثلة على النحو السابق.

---

(١) يراجع الكتاب ٤ / ٤٧٧ وما بعدها.
(٢) ينظر أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ١٢٣.
(٣) المختصر لابن خالوية ١٢.
(٤) معاني القرآن للفراء ١ /٢٨ وما بعدها.
(٥) المختصر لابن خالوية ٦٨.

وأما قراءة يحيى بن وثاب «وادّكروا» بالدّال المهملة المشددة[1]، فقد قلبت الذال المعجمة فيها إلى الدال المهملة، وتم إدخال الأولى فى الثانية، وهذا إدغام، ومماثلة رجعية؛ لأن الصوت الثانى وهو الدال أثر فى صوت الذال المعجمة، وجذبه إلى مخرج الدال المهملة.

وهنا نلحظ أن الصيغة التى جاءت عليها قراءة يحيى بن وثاب هى الصورة الشائعة فى كلام العرب، وهى التى جرت عليها القراءة المشهورة لآية يوسف ﴿ وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾[2] بالدال المهملة المشددة، وآيات سورة القمر ﴿ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾[3] بالدال المهملة المشددة أيضًا.

● ومن شواهد المماثلة فى الصوامت قوله تعالى: ﴿ وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ﴾ [الأعراف: ٢٢].

قرأه الحسن والأعرج ومجاهد وابن وثاب «يخصفان» بفتح الياء[4] وكسر الخاء، والصاد المشددة المكسورة[5].

قال ابن جنى: «وأما قراءة الحسن «يخصِّفَان» فإنه أراد بها يفتعلان، من خصفت، كقولهم: قرأت الكتاب واقترأته، وسمعت الحديث واستمعته، فآثر إدغام التاء فى الصاد فأسكن التاء، وكانت الخاء قبلها ساكنة، فكان لابد من كسرها؛ لالتقاء الساكنين، فصارت «يَخِصِّفان»[6].

ومفاد كلامه أن الأصل «يختصفان»، تأثر الصوت الأول «التاء» بالصوت

---

(١) المختصر لابن خالوية ١٢.

(٢) يوسف: ٤٥ ولم يقرأها بالذال المعجمة المشددة سوى الحسن من القراء الأربع عشر. ينظر الإتحاف ٢٦٥ مطبعة حنفى بمصر.

(٣) سورة القمر الآيات ١٥ – ١٧ – ٢٢ – ٣٢ – ٤٠ – ٥١.

(٤) ضبطت الياء بالكسر سهوا فى ص ٤٠ سطر ١٣ مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة – العدد الثامن.

(٥) المحتسب ١ / ٢٤٥ الأصل والهامش، والبحر المحيط ٥ / ٢٧، والدر المصون ٣ / ٢٥١ ط ١٩٩٤م.

(٦) السابق من المحتسب مع تصرف يسير.

الثانى «الصاد»؛ لأن الثانى أقوى بما فيه من الإطباق والاستعلاء والصفير، فلزم أن تصير التاء إلى مخرج الصاد؛ من أجل المحافظة على تلك الصفات المميزة للصاد. ولزم الإدغام لما اجتمع المثلان، ولزم إسكان الأول ليتم الإدغام، ولزم كسر الخاء لئلا يلتقى الساكنان، أو «أتبعت الخاء للصاد فى حركتها»[1] فصارت الصيغة على النحو الذى وردت به قراءة الحسن وابن وثاب ومن معهما، ويسمى هذا الذى حدث بالمماثلة الرجعية، حيث تأثر الصوت الأول «التاء» بالصوت الثانى «الصاد» على النحو الذى بيناه.

● ومن الشواهد أيضًا قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ٣٨].

روى مكى عن مجاهد بن جبير أنه قرأ ﴿ادَّرَكُوا﴾ بوصل الألف، وفتح الدال المشددة، وفتح الراء، وأصلها (ادْتركوا) على وزن افتعلوا مبنيا للفاعل، ثم أدغم كما أدغم (ادَّان) من الدين[2]، أى أبدل التاء دالا، وأدخل الدال الأولى فى الثانية على سبيل المماثلة التقدمية.

وقرأه مجاهد وحميد ويحيى وإبراهيم: «إذآ ادَّاركوا»[3]، وفيها شيئان:

الأول: ﴿ادَّارَكُوا﴾ أصلها «تداركوا» بوزن تفاعلوا، وظهور التاء فيها هو قراءة ابن مسعود والأعمش ورويت عن أبى عمرو، أى قرأ هؤلاء «تداركوا»، وهى أصل قراءة العامة[4] أما يحيى ومن معه فاجروا الإدغام أو المماثلة الرجعية، وذلك بأن أثر الثانى (الدال) وهو الأقوى لما فيه من الجهر فى الأول (التاء)، فتحولت التاء إلى مخرج الدال وأسكن الأول للإدغام، وأتى بهمزة الوصل ليمكن النطق بالساكن.

الثانى: لما أجرى المنفصل وهو الظرف (إذا) والفعل (ادَّاركوا) مجرى المتصل

(١) الدر المصون ٣/٢٥١ ط ١٩٩٤م.

(٢) البحر المحيط ٥/٤٩، والدر المصون ٣/٣٦٧.

(٣) المحتسب ١/ ٢٤٧ بإطالة ألف «إذآ»، وشواذ القراءة للكرمانى ورقة ٨٥، وإعراب القراءات الشواذ ١/ ٥٣٦.

(٤) الدر المصون ٣/٢٦٦، ٢٦٧ط ١٩٩٤م.

نحو «الضالّين» و«جانّ»[١] - استغنى عن همزة الوصل، فالتقى ساكنان: الألف اللينة في آخر الظرف (إذا)، وأول المدغمين في (ادّاركوا) بعد الاستغناء عن همزة الوصل، وذلك مسموح به في الكلمة الواحدة، نحو: دابّة ودوابّ، وشابّة وشوابّ، وفي مثل هذا الموقع الذي تسبق فيه الألف أو الواو أو الياء اللينة الحرف الساكن للإدغام يطال في مدّ هذه الأحرف، وذلك ما أشار إليه ابن جني في قوله: «قد تجدهن في بعض الأحوال أطول وأتم منهن في بعض»[٢].

● ومن الشواهد أيضًا قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ﴾ [يس: ٦٠].

قرأه الجمهور «أعهد» بفتح الهمزة والهاء[٣]، وقرأه يحيى بن وثاب «أَحَّدْ» بحاء مشددة[٤].

والأصل (أعهد) كما قرأ الجمهور، ثم تطورت هذه الصيغة بفعل المماثلة على مرحلتين: المرحلة الأولى: حدث فيها أن تأثر صوت العين المجهور بصوت الهاء المهموس تأثرًا رجعيًا في صفة الهمس، فتحولت العين إلى حاء مهموسة، وصارت الصيغة «أحهد» بإبدال العين حاء.

وحكى الزمخشري أنه قرئ بهذه الصيغة، وأنها لغة هذيل[٥]، وقد نسبها أبو حيان إلى تميم[٦]، وهذه القراءة هي المرحلة الوسطى بين قراءة الجمهور السابقة وقراءة يحيى بن وثاب التي أشرنا إليها، وسنزيدها إيضاحا بعد قليل.

ولا غرابة في أن يعزى إلى هذيل قلب العين حاء إذا جاورت العين صوتا مهموسا، كما في «أحهد»، وكما في قراءة ابن مسعود «إذا بحثر ما في القبور» بالحاء[٧]، لأن في ذلك تحقيقا لنوع من المماثلة في صفة الهمس، وهو يؤدي إلى التيسير على الناطقين، وإلى الانسجام بين الأصوات في الصفات.

---

(١) ينظر المحتسب ١ / ٢٤٨، والدر المصون ٣ / ٢٦٧.
(٢) سر صناعة الإعراب ١ / ٢٠ ط - الحلبي ١٩٧١م.
(٣) البحر المحيط ٩ / ٧٧.
(٤) السابق، والدر المصون ٩ / ٢٨٠.
(٥) الكشاف ٤ / ٢٣ ط - دار الريان ١٩٨٧م، والدر المصون ٩ / ٢٨١.
(٦) البحر المحيط ٩ / ٧٧.
(٧) العاديات / ٩ - وينظر لغة هذيل ١١٣.

وهذا الفعل من هذيل لا يتصادم مع ما عرف عنها من قلب الحاء عينا فيما عرف بالفحفحة، والتي جاءت عليها قراءة ابن مسعود «عتى حين» بإبدال حاء (حتى) عينا[١]؛ لأنهم في هذا الموقع يحققون نوعًا من المخالفة الصوتية بين المهموسات الثلاثة في (حتى حين): «الحاء والتاء والحاء» فأبدلوا من الحاء الأولى «أنصع الحروف»[٢] وأبينها في الجهاز النطقي وهو العين.

المرحلة الثانية: تطورت فيها الصيغة الهذلية (أحهد) إلى الصورة التي وردت عليها قراءة يحيى بن وثاب «ألم أحَّد»، حيث قلبت الهاء حاء، وأدغمت الأولى في الثانية، وذلك على سبيل التأثر التقدمي، لأن الحاء أثرت في الهاء، وجذبت الأولى الثانية إلى مخرجها، وكان ذلك لأن الحاء أقوى من الهاء المهتوتة المتصفة بالضعف والخفاء[٣].

وهذا الذي قلناه يتفق مع ما قرره سيبويه عندما تحدث عن الحروف المتقاربة التي يدغم بعضها في بعض، فقد ذكر أن العين إذا اجتمعت مع الهاء كقولك «اقطعْ هلالا»[٤] كان البيان أحسن[٥]، والإدغام يقع لقرب المخرجين (للعين والهاء)، فتحول الهاء حاء، والعين حاء؛ لأن الحائين أخف في الكلام من التقاء العينين، والمهموس أخف من المجهور، ويصدق هذا قول بني تميم في الإدغام: (مَحُّم) يريدون معهم، وقولهم: (مَحَّاؤلاء) يريدون مع هؤلاء[٦].

وقد ذكر السمين الحلبي في عبارة صريحة أن الصيغة التميمية قد تطورت عن الصيغة الهذلية، وذلك في قوله: «إن أصل أحَّد» «أحهد» فادغم[٧].

---

(١) المختصر لابن خالويه ٦٨، البحر المحيط ٥/٣٢٧، والمزهر ١/ ١٣٣، واللسان وتاج العروس (فح).

(٢) مقدمة العين للخليل بن أحمد ١/ ١٧، ٥٣، والمزهر ١/ ٩٠.

(٣) قال ابن جني في سر الصناعة ١/ ٧٤: «من الحروف المهتوت وهو الهاء، وذلك لما فيها من الضعف والخفا»، وفي لسان العرب مادة (هتّ): المهتوت ما ليس بمضغوط؛ لما فيه من الضعف والخفا كالهاء، وانظر مقدمة العين ١/١٧، ٥٧.

(٤) هذا المثال نظير الفعل (أعهد) في مجاورة العين للهاء، غير أنهما في المثال من كلمتين.

(٥) والبيان يوافق قراءة الجمهور (ألم أعهد)، وهي اللغة الحجازية النموذجية.

(٦) الكتاب ٤/ ٤٤٩، ٤٥٠ بتصرف. (٧) الدرالمصون ٥/ ٤٩١ ط ١٩٩٤م.

وليس بغريب أن تكتفى هذيل بالتطور الأول ولا تتعداه؛ لأن الهذليين حلقة وسطى بين الحضريين من الحجازيين وبين الموغلين فى البداوة من تميم وغيرهم[1]، أما تميم فيناسبها أن تتجاوز الطور الأول إلى الطور الثانى؛ لأنه يحقق لها السرعة فى الأداء، وقدراً أكبر من الانسجام الصوتى، ويوفر الراحة لأعضاء النطق؛ ذلك «لأن لكل صوت حركتين فى أعضاء النطق، إحداهما أمامية، والثانية خلفية، فالأولى خاصة بوضع أعضاء النطق الوضع الملائم لحدوث الصوت، والثانية تعطى وضع الراحة لهذه الأعضاء، والإدغام يوفر الحركة الثانية من الصوت الأول إذا أدغم فى الثانى المماثل أو المقارب له، فتصدر حال الإدغام ثلاث حركات للصوتين بدلا من أربع؛ إذْ يأتى وضع الراحة وهو الحركة الخلفية مرة واحدة بدلا من مرتين»[2].

وليس من المستبعد كذلك أن تكون الصيغة المنسوبة إلى تميم «أَحَّد»[3]، قد انتشرت بين غيرهم من قبائل البدو، وبخاصة قبيلة بنى أسد، يرشح ذلك ويقويه انفراد يحيى بن وثاب بتلك القراءة كما ذكرنا، وهو كوفى من موالى بنى أسد[4].

* * *

(١) ينظر فى هذا لغة هذيل د. عبدالجواد الطيب ص ١١٣.

(٢) هذا كلام هفنر فى General phonatices ص ١٧٦، نقله الدكتور عبدالغفار هلال فى بحثه «الإدغام والفك بين القراء واللغويين» ص ٥٣، ٥٤ العدد الثامن من مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة.

(٣) ينظر المختصر لابن خالوية ١٢٦، والكشاف ٣ / ٣٢٧، والبحر المحيط ٩ / ٧٧، والدر المصون ٩ / ٢٨٠.

(٤) ينظر اللهجات العربية فى القراءات القرآنيةد. عبده الراجحى ١٤٨.

المبحث الثانى

حذف بعض الأصوات من أواخر الكلمات

صرح ابن جنى بأنه قد سمع من العرب حذف الجملة والمفرد والحرف والحركة، وليس شيء من ذلك إلا عن دليل يدل عليه[١].

وقد أطلق النحويون على حذف أواخر الكلم فى باب النداء (الترخيم)، وجوزوه مطلقا فى الاسم المؤنث المختوم بالهاء، واشترطوا فيما سواه أن يكون علما على أربعة أحرف فاكثر، غير مركب تركيب إضافة ولا إسناد[٢].

وحذف أواخر الكلم على النحو الذى سبق قد يكون لهجة وعادة نطقية عند بعض العرب، فقد عرف قديمًا أن طيئا كان تقتطع حرفا أو أكثر من آخر الكلمة وإن كان جزءاً من المركب الإضافى[٣]، فقد حكى عنهم أنهم كانوا يقولون: يا أبا الحكا، يريدون: يا أبا الحكم، حذفوا الميم، والحركة الإعرابية المصاحبة لها، وأطالوا الصائت الذى يلى الكاف وهو الفتحة، وقد سمع حذف آخر الكلمة مطلقًا، اسمًا كانت أو فعلاً، منادى أو غير منادى[٤].

وقريب من ذلك ما نسمعه فى بعض اللهجات الحديثة، حيث نسمع بعض سكان بنى سويف والمنيا من محافظات جمهورية مصر العربية يقولون فى النداء: يا خالِ، يامحمو، يريدون: يا خالد، يا محمود.

---

(١) ينظر الخصائص ١/ ٨٠، ٢/ ٣٦٠.

(٢) ينظر شرح ابن عقيل وحاشية الخضرى عليه ٢/ ٨٣، ٨٤.

(٣) فى شرح الأشمونى ٣/ ١٧٥، ١٧٦: يجيز الكوفيون ترخيم المضاف إليه، كقول زهير بن أبى سلمى:

خذوا حذركم يا آل عِكْرِمَ واعلموا … أواصرنا والرجم بالغيب يُذْكَرُ

يريد: يا آل عكرمة، وهو عند البصريين نادر، ومثله ترخيم المضاف، وأندر منهما حذف المضاف إليه باسره.

(٤) ينظر فى اللهجات العربية د. إبراهيم أنيس ١٣٤.

ولا يشك فى أن الغرض من الترخيم عند من ينطق به فى القديم والحديث إحداث نوع من التخفيف على الجهاز النطقى، والاقتصاد فى بذل المجهود العضلى عند الكلام، وقد عبر بعض أهل اللغة عن ذلك فى قوله: «الترخيم التليين، وهو تسهيل للنطق بالأسماء المرخمة؛ لأنهم إنما يحذفون أواخرها ليسهلوا النطق بها»[1].

هذا وقد يصاحب الحذف للترخيم غرض آخر غير مجرد التخفيف، يظهر ذلك فى بعض السياقات التركيبية فى مقامات معينة، ومن ذلك السياق القرآنى الذى معنا وهو:

● قول الله تعالى: ﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾ [الزخرف: ٧٧].

قرأه الجمهور ﴿ يَا مَالِكُ ﴾ من غير حذف لشىء.

وقرأه عبدالله بن مسعود، وعلى بن أبى طالب، ويحيى بن وثاب، والأعمش (يا مالِ) بالترخيم، وكسر اللام على لغة من ينتظر الحرف.

وقرأه أبو السوار الغنوى: (يا مالُ) بالبناء على الضم؛ جعله اسما على حياله على لغة من لا ينوى انتظار الحرف[2].

وروى أبو الدرداء وابن مسعود أن الترخيم فى هذا الاسم قراءة النبى ﷺ بخاصة[3].

والترخيم هنا من وجهة نظر لغوية يعنى حذف الصامت الأخير من الكلمة، وحذف الصائت الذى يليه وهو حركة الإعراب، وقد يعنى تغيير الصائت المتقدم عليه بالإطالة أو بالحذف أيضًا، وبتعبير آخر هو يعنى حذف المقطع الأخير من الكلمة.

أما من جهة البيئة والمجتمع فيبدو أن من قرأ (يا مالِ) بكسر اللام أجراه

---

(١) تاج العروس ٨/٣٠٨ (ر خ م)

(٢) ينظر فى ذلك كله: الكتاب ٢/ ٢٤٩، والمحتسب ٢/ ٢٥٧، والكشاف ٣/ ٤٩٦، والبحر المحيط ٩/ ٣٨٩، والدرالمصون ٩/ ٦٠٧، وفتح القدير ٤/ ٤٦٥، وشرح المفصل ٢/ ٢١ وما بعدها.

(٣) انظر تفسير القرطبى ١٦/ ١١٦.

على لغة من ينتظر إتمام الكلمة، وهى تمثل - كما قال النحويون - لهجة أهل الحضر من القرشيين وغيرهم من الحجازيين، فنراهم عندما حذفوا الحرف والحركة الإعرابية آثروا أن تبقى الكسرة بعد اللام على ما هى عليه دون تغيير؛ لأنها من بنية الكلمة، وفى تغييرها إيغال فى البعد عما وضعت عليه الصيغة وهو وزن (فاعل)؛ ولأن بقاء هذه الكسرة يساعد السامع على إدراك المحذوف القائم فى ذهن المتكلم وإن لم يتلفظ به.

والذى يرشح أن هذا الوجه من الترخيم يمثل لغة أهل الحضر من الحجازيين كونه قراءة النبى ﷺ وقراءة على بن أبى طالب، وهما قرشيان، وقد أخذ بها عبدالله بن مسعود الهذلى، لأن هذيلا قبيلة كبيرة « كانت تسكن الحجاز، وديارهم بالسروات، وسراتهم متصلة بجبل غزوان المتصل بالطائف، ولهم مياه وأماكن فى جهات نجد وتهامة بين مكة والمدينة[(١)].

ولئن كان يحيى بن وثاب قد أخذ بها فلأن قراءته مأخوذة عن أصحاب عبدالله بن مسعود؛ ولأن قراءته لها أصول قرشية[(٢)].

أما قراءة من قرأ (يا مالُ) بضم اللام فقد جرت على لغة من لا ينتظر إتمام الكلمة، وهى تمثل لهجة البدو الذين عرف عنهم الإسراع فى النطق باللغة، وعدم الاكتراث بما يحدث لذلك من تغيير بالحذف وغيره، فنراهم هنا قد أضافوا إلى حذف الحرف والحركة تغييراً آخر، وهو حذف الكسرة التى هى من بنية الكلمة، واجتلبوا الضمة الإعرابية فى مكانها؛ لتؤذن بأن ما حذف غير قائم فى ذهن المتكلم كما هو غير قائم فى اللفظ، ولتؤذن أيضًا بأن الكلمة قد انتهت عندها.

ويمكن لنا أن نتصور شيئًا آخر وهو أن العدول عن الكسرة بعد اللام إلى الضمة يُعدُّ نوعًا من المخالفة بين المثلين القريبين فى الموقع، وهما الكسرة بعد اللام فى (يا مالِ) على لغة الحجازيين، والكسرة بعد لام الأمر فى (لِيقض)، وربما كان الذى يدفع إلى ذلك أيضا فى لغة هؤلاء أن الصامتين الحاملين للكسرتين مثلان.

---

(١) صفة جزيرة العرب للهمدانى ٢٨٨ ط ١٩٨٣م، واللهجات العربية فى القراءات القرآنية ٣٣.

(٢) راجع الفصل الأول من هذا البحث.

وإذا كان النطق باللام والكسرة من الكلمة الأولى، ثم باللام والكسرة من الكلمة الثانية لا يأباه طبع الحجازيين؛ لأنهم أهل تأن وتؤدة وتمهل فى أداء اللغة، فإنه ينفر منه طبع البدو الذين اعتادوا السرعة فى نطقهم باللغة وفى كل شئون الحياة، لذا غيروا الكسرة فى (يا مالِ) وإن كانت من بنية الكلمة، وجاءوا بالضمة فى مكانها لتؤذن بانتهاء الكلمة.

والذى يرشح أن هذا الوجه من الترخيم يمثل لغة أهل البادية كونه قراءة أبى السوار الغنوى، وقبيلة غنيّ تصنف من القبائل البدوية[١].

ولئن كان ابن عباس رضى الله عنه قد استبعد القراءة بالترخيم فى الآية التى معنا قائلاً: ما كان أشغل أهل النار عن الترخيم!!، لأن الترخيم إنما يكون فى مقام الانبساط ونحوه؛ لأنه تحسين للفظ، وهم فى شغل عن ذلك بعقابهم[٢]، فإن أبا الفتح عثمان بن جنى قد فقه المناسبة، واستجلى المقام الذى ورد فيه، فقال: إن فى الترخيم فى هذا الموضع سراً جديداً؛ وذلك أنهم - لعظم ما هم عليه - ضعفت قواهم، وذلت أنفسهم، وصغر كلامهم، فكان هذا من موضع الاختصار ضرورة عليه، ووقوفا دون تجاوزه إلى ما يستعمله المالك لقوله، القادر على التصرف فى منطقه[٣]، فهم كانوا «لشدة ضعفهم يعجزون عن إتمام الكلمة»[٤].

انتهى البحث، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الباحث
د. أحمد طه حسانين سلطان
أستاذ أصول اللغة المساعد
فى كلية اللغة العربية بالقاهرة

---

(١) جدّ هذه القبيلة هو غنى بن يعصر بن سعد ابن قيس عيلان من مضر. انظر مختلف القبائل ومؤتلفها، محمد بن حبيب البغدادى ط ١٨٥٠م. وص ٢٦٩ من كتاب الاشتقاق لابن دريد / تحقيق عبد السلام هارون.

(٢)حاشية الخضرى على شرح ابن عقيل ٢ / ٨٣.

(٣) المحتسب لابن جنى ٢ / ٢٥٧.

(٤) المرجع قبل السابق.

فهرس الآيات والقراءات القرآنية

م	الآية	رقم الآية	ضبط القراءات فيها	الصفحة
	سورة الفاتحة			
١	الْحَمْدُ لِلَّهِ	٢	ضم الدال واللام بعدها/ وكسرهما.	٥٧
٢	إِيَّاكَ نَعْبُدُ	٤	فتح النون/ وكسر النون	٣٢، ٨٨
٣	وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ	٤	فتح النون/ وكسر النون.	٣١، ٨٨
	سورة البقرة			
٤	فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ	١٠	بفتح الميم والراء/ وبإسكان الراء.	١٠١
٥	وكُلا منها رَغَدًا	٣٥	بفتح الراء والغين/ وبسكون الغين.	٩٩
٦	وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ	٣٥	بفتح التاء/ وكسر التاء.	٨٢
٧	فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا	٦٠	بكسر الشين/ وفتحها/ وإسكانها.	٣٦، ٣٧
٨	مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا	٦١	بضم القاف/ وكسرها.	٧٥
٩	فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ	٦١	فتح السين والهمزة/ كسر السين والهمزة/ كسر السين وسكون اللام من غير همز.	٦٥
١٠	وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ	٦٣	بالذال المعجمة المشددة/ بالدال المهملة المشددة.	١٢٤
١١	وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ	١٦٤	ضم الفاء وسكون اللام/ ضمهما معا.	٤٤
١٢	يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ	١٨٥	إسكان السين منهما/ ضم السين منهما.	٤٤
١٣	صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ	١٩٦	ضم النون والسين/ وبسكون السين.	٩٦

م	الآية	رقم الآية	ضبط القراءات فيها	الصفحة
١٤	إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ	٢٤٩	ضم الغين وسكون الراء/ فتح الغين وسكون الراء.	٢٠
١٥	وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمٰوَاتِ	٢٥٥	فتح الواو وكسر السين/ فتح الواو وإسكان السين.	٣٠
١٦	قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ	٢٥٦	ضم الراء وسكون الشين/ وضمهما معا.	٤٤
١٧	عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا	٢٦٠	ضم الجيم وسكون الزاى/ وضمهما معا.	٤٤
١٨	فَنِعِمَّا هِيَ	٢٧١	كسر النون والعين/ فتح النون وكسر العين مشبعة.	٢٤
١٩	وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ	٢٨٠	ضم العين وسكون السين/ ضمهما معا.	٤٤
٢٠	فَرِهَنٌ مَّقْبُوضَةٌ	٢٨٣	بضمتين/ وبضم الراء وسكون الهاء.	٩٤
	سورة آل عمران			
٢١	قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ	٢٦	ضم الميم وسكون اللام/ ضمهما معا.	٤٤
٢٢	ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا	٤١	ضم الراء وسكون الميم/ ضمهما معا.	٤٢، ٤٣

م	الآية	رقم الآية	ضبط القراءات فيها	الصفحة
٢٣	وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ	٧٥	فتح التاء وسكون الهمزة/ كسر التاء وقلب الهمزة ياء.	٨٣
٢٤	وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ	٩١	فتح اللام وكسر الواو/ فتح اللام وضم الواو.	٦٧
٢٥	فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ	١٤٦	فتح الواو والهاء/ فتح الواو وسكون الهاء.	٣٠
٢٦	نُزُلاً مِّنْ عِندِ اللَّهِ	١٩٨	ضم النون والزاى/ ضم النون وسكون الزاى	٩٦
سورة النساء				
٢٧	مَثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ	٣	ثُنَى وثُلَث وربَع/ ثُلُثَ وربُعَ.	١٠٥
٢٨	فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا	٦	ضم الراء وسكون الشين/ ضمهما.	٤٥
٢٩	وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ	٢٤	ضم الميم وفتح الصاد/ ضمهما معا.	٤٩
٣٠	وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ	٣٧	ضم الباء مع سكون الخاء وضمهما، فتح الباء مع سكون الخاء وفتحها.	٤٥
٣١	إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ	٥٨	كسر النون والعين/ فتح النون وكسر العين مشبعة.	٢٤

م	الآية	رقم الآية	ضبط القراءات فيها	الصفحة
٣٢	لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ	٨٣	إسكان اللام الثانية / وكسرها.	٣٠
٣٣	إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ	١٠٤	فتح التاء وسكون الهمزة / وكسر التاء وقلب الهمزة ياء / وكسر التاء مع بقاء الهمزة الساكنة.	٨٤
٣٤	وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ	١٦٣	تثليث النون مع همز الواو وعدمه.	٧٧
	سورة المائدة			
٣٥	وَأَنتُمْ حُرُمٌ	١	ضم الحاء والراء / ضم الحاء وسكون الراء.	٩٢
٣٦	وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً	١٣	بوزن فاعلة / وبغير ألف مع فتح القاف وكسرها وضمها.	٧٠
٣٧	وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ	٤٥	ضم الهمزة والذال / ضم الهمزة وسكون الذال.	٩٦
٣٨	أَوْ كِسْوَتُهُمْ	٨٩	ضم الكاف / وكسرها.	٧٦
٣٩	مَا دُمْتُمْ حُرُمًا	٩٦	ضم الحاء والرء / ضم الحاء وسكون الراء.	٩٦
٤٠	قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ	١٠٢	فتح السين والهمزة / بإمالة السين نحو الكسر من غير همزة	٦٤

م	الآية	رقم الآية	ضبط القراءات فيها	الصفحة
سورة الأنعام				
٤١	وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ	١	ضم الظاء وسكون اللام/ ضمهما معا.	٩٣
٤٢	فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ	٩٨	ضم الميم وفتح التاء/ ضمهما معا.	٥٠
٤٣	كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً	١١١	ضم القاف وسكون الباء/ ضمهما معا.	٩٥
٤٤	كُلَّ ذِي ظُفُرٍ	١٤٦	ضم الظاء والفاء/ ضم الظاء وسكون الفاء.	٩٤
سورة الأعراف				
٤٥	وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ	٢٢	كسر الخاء والصاد والمشددة المكسورة.	١٢٥
٤٦	حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا	٣٨	بالدال المشددة من غير ألف بعدها، وبالدال مع الألف.	١٢٦
٤٧	وَأَنصَحُ لَكُمْ	٦٢	فتح الهمزة / كسر الهمزة.	٨٧
٤٨	فَكَيْفَ آسَىٰ	٩٣	كسر الهمزة وقلب الألف ياء/ إمالة الفتحة إلى الكسرة.	٨٥
٤٩	وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ	١٤٦	ضم الراء وسكون الشين/ ضمهما معا.	٤٥
٥٠	مِنْ حُلِيِّهِمْ	١٤٨	ضم الحاء وكسر اللام/ وكسرهما معا.	٥٣

م	الآية	رقم الآية	ضبط القراءات فيها	الصفحة
٥١	وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا	١٦٠	كسر الشين / وفتحها / وإسكانها.	٣٦، ٣٧ ٤١
٥٢	بِعَذَابٍ بَئِيسٍ	٦٥	كسعيد / وكتِف / وكِتْف.	١٠٤
٥٣	وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ	١٩٩	ضم العين وسكون الراء / ضمهما معا.	٤٥
سورة الأنفال				
٥٤	بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ	٩	ضم الميم وفتح الراء / وضمهما مع تضعيف الدال.	٥٠
سورة التوبة				
٥٥	بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ	١	بكسر الميم وفتح النون / وكسرهما معا.	٦٠
٥٦	أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ	٣	بكسر الميم وفتح النون / وكسرهما معا.	٦٠
سورة يونس				
٥٧	وَلا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ	٢٦	فتح القاف والتاء / فتح القاف وسكون التاء.	١٠١
سورة هود				
٥٨	أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ	٨٠	ضم الراء وسكون الكاف / وضمهما معا.	٤٥

م	الآية	رقم الآية	ضبط القراءات فيها	الصفحة
٥٩	إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ	٨١	ضم الصاد وسكون الباء / وضمهما معا.	٤٥
٦٠	وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا	١١٣	فتح التاء وكسرها مع فتح الكاف / فتح التاء وضم الكاف.	٨٥
٦١	فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ	١١٣	فتح التاء وكسرها مع فتح الميم.	٨٦
سورة يوسف				
٦٢	لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ	٧	تثليث السين مع الهمز وعدمه.	٧٧
٦٣	حَتَّىٰ حِينٍ	٣٥	حتّى بالحاء، وعتّى بالعين.	١٢٨
٦٤	مِلَّةَ آبَائِي	٣٨	بفتح الياء من غير همز.	١١١
٦٥	هَٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ	٦٥	ضم الراء / كسر الراء.	١١٥
سورة الرعد				
٦٦	وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ	٦	ضم الميم وسكون الثاء / وضمهما معا.	٩٣
٦٧	فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ	٢٤	فتح النون وكسر العين / كسرهما معا / وكسر النون وسكون العين / فتح النون وسكون العين.	٢٥،٢٤ ١٠٤

م	الآية	رقم الآية	ضبط القراءات فيها	الصفحة
٦٨	وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ	٣٣	ضم الصاد / وكسر الصاد.	١١٥
سورة إبراهيم				
٦٩	وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ	٢٢	فتح ياء المتكلم / وكسر ياء المتكلم.	٥٤، ٥٧
٧٠	وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ	٤٠	فتح الياء مع غير الهمزة.	١١١
سورة الحجر				
٧١	فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ	٥٥	قرئ القنطين كالفرحين	١٠٧
سورة النحل				
٧٢	وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ	١٦	فتح النون وسكون الجيم / وضمهما معا / وضم النون وسكون الجيم.	١١٢
٧٣	وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ	٦٨	فتح النون وسكون الحاء / وفتحهما معا.	٣٣
سورة الكهف				
٧٤	لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ	١٨	فتح اللام وكسر الواو / فتح اللام وضم الواو	٦٧

م	الآية	رقم الآية	ضبط القراءات فيها	الصفحة
٧٥	أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلاً	٥٥	ضم القاف والباء / ضم القاف وسكون الباء.	٩٥
٧٦	أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا	٦٠	ضم الحاء والقاف / ضم الحاء سكون القاف.	٩٥
٧٧	مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا	٦٦	ضم الراء وسكون الشين / وضم الراء والشين.	٤٦
٧٨	وَلاَ تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا	٧٣	ضم العين وسكون السين / ضمهما معا.	٤٢، ٤٣، ٤٦
٧٩	لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا	٧٤	ضم النون وسكون الكاف / ضمهما معا.	٤٦
٨٠	قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا	٧٦	ضم العين وسكون الذال / وضمهما معا.	٤٦
٨١	وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا	٨٨	ضم الياء وسكون السين / وضمهما معا.	٤٢، ٤٣
٨٢	وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا	٦٨	ضم الخاء وسكن الباء / وضمهما معا.	٤٦
	سورة مريم			
٨٣	تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا	٢٥	فتح الجيم وكسر النون / كسرهما معا.	٥٠
٨٤	خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا	٥٨	ضم الباء وكسر الكاف / كسرهما معا.	٥١

م	الآية	رقم الآية	ضبط القراءات فيها	الصفحة
سورة طه				
٨٥	وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي	٤٢	فتح التاء وكسر النون/ كسر التاء والنون	٣١
٨٦	هُمْ أُوْلَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي	٨٤	بالمد والقصر/ وياء مفتوحة أو مكسورة فى آخره.	١٠٩
٨٧	مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا	٨٧	(بملكنا) بفتح الميم وكسره.	٢٠
سورة الأنبياء				
٨٨	فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا	٥٨	ضم الجيم وكسرها وفتحها بالألف بعد الذال/ وبضمتين من غير الف/ وبفتحتين من غير ألف/ وبضم الجيم وفتح الذال من غير ألف.	٧٣
٨٩	رَغَبًا وَرَهَبًا	٩٠	ضم الراء وسكون الوسط/ ضمهما معا.	٤٦
٩٠	رَغَبًا وَرَهَبًا	٩٠	بفتحتين/ وإسكان الوسط.	٩٩
٩١	وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ	٩٥	بوزن مرام/ وكَتِف/ وكِتْف.	١٠٣
سورة المؤمنون				
٩٢	وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ	٧١	فتح اللام وكسر الواو/ فتح اللام وضم الواو.	٦٧

م	الآية	رقم الآية	ضبط القراءات فيها	الصفحة
		سورة الفرقان		
٩٣	وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا	٦١	ضم السين والراء من غير ألف.	٩٤
٩٤	وَقَمَرًا مُّنِيرًا	٦١	فتح القاف والميم / فتح القاف وسكون الميم.	١٠٠
		سورة الشعراء		
٩٥	فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا	٢١	ضم الحاء وسكون الكاف / وضمهما معا.	٤٦
		سورة النمل		
٩٦	ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا	١١	ضم الحاء وسكون السين / ضمهما معا.	٤٦
٩٧	وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا	١٤	ضم الظاء وسكون اللام / ضمهما معا.	٤٧
٩٨	وَعُلُوًّا	١٤	ضم العين واللام / كسرهما معا / ضم العين وكسر اللام.	٥٢
		سورة القصص		
٩٩	جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ	٣٢	بضم الراء وسكون الهاء / وبضمهما معا وبفتحتين / وبفتح الراء وسكون الهاء.	٤٧، ١٠٠

م	الآية	رقم الآية	ضبط القراءات فيها	الصفحة
١٠٠	سَنَشُدُّ عَضُدَكَ	٣٥	بضم العين وسكون الضاد / وبضمهما معا.	٤٧
١٠١	ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ	٥٧	بفتح الثاء والميم / وبإسكان الميم.	١٠١
		سورة يس		
١٠٢	فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ	٥٥	ضم الشين والغين / وبإسكان الغين.	٩٤
١٠٣	أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ	٦٠	فتح الهمزة وكسرها مع فتح الهاء / كسر الهمزة والهاء معا / وبالحاء ثم الهاء / وبحاء مشددة ثم الدال.	٨٧، ١٢٧
		سورة ص		
١٠٤	نِعْمَ الْعَبْدُ	٣٠	فتح النون وكسر العين / كسرهما معا / كسر النون وإسكان العين / فتح النون وإسكان العين.	٢٤
١٠٥	نُصْبٍ وَعَذَابٍ	٤١	ضم النون وسكون الصاد / ضمهما معا.	٤٧

م	الآية	رقم الآية	ضبط القراءات فيها	الصفحة
سورة غافر				
١٠٦	وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ	٣٧	ضم الصاد / وكسرها.	١١٥
سورة الزخرف				
١٠٧	لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا	٣٣	ضم السين والقاف / ضم السين وسكون القاف.	٩٥
١٠٨	يَا مَالِكُ	٧٧	مالك / مالِ / مالُ	١٣١
سورة الذاريات				
١٠٩	وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ	٧	ضم الحاء والباء، ضم الحاء وسكون الباء.	٩٥
سورة الرحمن				
١١٠	عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ	٧٦	بضم الخاء وسكون الضاد / بضمهما معا.	٤٧
سورة الواقعة				
١١١	وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ	٣٤	ضم الفاء والراء / ضم الفاء وسكون الراء.	٩٦،
١١٢	عُرُبًا أَتْرَابًا	٣٧	ضم العين والراء / ضم العين وسكون الراء.	٩٥
١١٣	هَٰذَا نُزُلُهُمْ	٥٦	ضم النون والزاى / ضم النون وسكون الزاى.	٩٦

سـورة الواقعة				
م	الآية	رقم الآية	ضبط القراءات فيها	الصفحة
١١٤	فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ	٩٣	ضم النون والزاى / ضم النون وسكون الزاى.	٩٦
سـورة الحشر				
١١٥	أو مِن وراءِ جدرٍ	١٤	ضم الجيم والميم / ضم الجيم وسكون الميم.	٩٦
سـورة الجمعة				
١١٦	مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ	٩	ضم الجيم والميم / ضم الجيم وسكون الميم.	٩٦
سـورة الجن				
١١٧	يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ	٢	ضم الراء وسكون الشين / وضمهما معا.	٤٧
١١٨	وأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا	١٦	فتح اللام وكسر الواو / فتح اللام وضم الواو.	٦٧
سـورة المزمل				
١١٩	مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ	٢٠	ضم الثاء واللام / ضم الثاء وسكون اللام.	٩٧
سـورة المدثر				
١٢٠	صُحُفًا مُّنَشَّرَةً	٥٢	ضم الصاد والحاء / ضم الصاد وسكون الحاء.	٩٧

م	الآية	رقم الآية	ضبط القراءات فيها	الصفحة
سورة المرسلات				
١٢١	وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا	١	ضم العين وسكون الراء / ضمهما معا.	٤٧
١٢٢	كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ	٣٣	ضم الصاد وسكون الفاء / ضمهما معا.	٤٨
سورة الأعلى				
١٢٣	لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ	١٨	ضم الصاد والحاء / ضم الصاد وسكون الحاء.	٩٧
سورة العاديات				
١٢٤	إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ	٩	بالعين / وبقلب العين حاء.	١٢٧
سورة العصر				
١٢٥	إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ	٢	ضم الخاء وسكون السين / وضمهما معا.	٤٨
سورة المسد				
١٢٦	يَدَا أَبِي لَهَبٍ	١	فتح اللام والهاء / فتح اللام وسكون الهاء.	١٠٠
١٢٧	ذَاتَ لَهَبٍ	٣	فتح اللام والهاء / فتح اللام وسكون الهاء.	١٠٠
سورة الإخلاص				
١٢٨	وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ	٤	ضم الكاف والفاء / ضم الكاف وسكون الفاء.	٩٧

فهرس المصادر و المراجع

● القران الكريم

● الإبانة عن معاني القراءات، لمكى بن أبى طالب القيسى، تحقيق عبد الفتاح شلبى، دار نهضة مصر ١٩٧٨م

● إبراز المعانى من حرز الامانى، لأبى شامة، تحقيق إبرهيم عطوة، مطبعة مصطفى الحلبى ١٩٨١م.

● أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى، د.عبد الغفار هلال–دار الطباعة المحمدية بالقاهرة ١٣٩٩هـ– ١٩٧٩م.

● إتباع الحركة فى القراءات، د.محمد خاطر–العدد الثامن من مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة.

● إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الاربع عشر، لأحمد بن محمد البناء الدمياطى، مصورة عن طبعة عبد الحميد حنفى بمصر ١٣٥٩هـ، وطبعة أخرى بتحقيق د/شعبان إسماعيل – عالم الكتب القاهرة – الأولى.

● أثر القراءات فى الأصوات والنحو العربى، د.عبد الصبور شاهين، مكتبة الخانجى بالقاهرة–الطبعة الاولى ١٤٠٨هـ– ١٩٧٨م.

● أدب الكاتب لابن قتيبة(عبدالله بن مسلم)، تحقيق محمد الدالى– الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٦م.

● الأدغام والفك بين القراء واللغويين، د.عبد الغفارهلال، العدد الثامن من مجلةكلية اللغة العربية بالقاهرة.

● إرتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيان الأندلسى، تحقيق رجب عثمان، الطبعة الأولى ١٩٩٨م، وطبعة أخرى بتحقيق د.مصطفى النماس الطبعة الأولى بمطبعة المدنى من ١٩٨٤– ١٩٨٩م.

● إصلاح المنطق، لابن السكيت، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون، الطبعة الرابعة ١٩٨٧– دار المعارف بمصر.

● الأصوات اللغوية ، د. إبراهيم أنيس ، الأنجلو المصرية – الطبعة الرابعة١٩٧١م.

● إعراب القرآن لأبى جعفر النحاس، تحقيق زهير غازى، مكتبة النهضة العربية، الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥م.

● إعراب القراءات الشواذ للعكبرى، تحقيق محمد السيد عزوز، عالم الكتب، بيروت،الطبعة الاولى١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.

● البحث اللغوى عند العرب، د.أحمد مختار عمر، دار المعارف بالقاهرة١٩٧١م

● البحر المحيط فى التفسير، لأبى حيان الأندلسى، دار الفكر، بيروت، لبنان١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

● تابع العروس(شرح القاموس)، تأليف السيد محمد مرتضى الحسينى البيدى، مصورة عن الطبعة القديمة، دار الفكر، من دون تاريخ.

● تاريخ آداب اللغة العربية، لجورجى زيدان، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان١٩٨٣م.

● التبيان فى إعراب القرآن، للعكبرى، تحقيق على محمد البجاوى، مطبعة الحلبى ١٩٧٦م.

● التبيان فى تصريف الأسماء، لأحمد حسن كحيل، مطبعة السعادة بمصر، الطبعة الرابعة١٩٧٠م.

● التجويد والأصوات، د.إبراهيم محمد نجا، مطبعة السعادة بمصر١٩٧٢م.

● تحبير التيسير فى قراءات الأئمة العشرة، لابن الجزرى، تحقيق عبد الفتاح القاضى، دارالوعى بحلب – الطبعة الأولى١٩٧٣م.

● تحرير تقريب التهذيب، لابن حجر العسقلانى، تاليف بشار عواد معروف، الطبعة الأولى١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

● التصريح بمضمون التوضيح، للشيخ خالد الأزهرى، مطبعة عيسى الحلبى، من دون تاريخ.

● التطور النحوى للغة العربية، تاليف براجستراسر، تعليق د. رمضان عبد التواب، مطبعة المجد، مكتبة الخانجى بالقاهرة١٩٨٢م.

● التفسير الكبير للفخر الرازى، دار إحياء التراث العربى، لبنان، الطبعة الثالثة من دون تاريخ.

● تفسير القرطبى، مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية – الطبعة الثالثة، ١٣٨٦هـ– ١٩٦٦م.

● تهذيب اللغة، لأبى منصور الأزهرى، تحقيق عبد السلام هارون، مراجعة محمد على النجار، دار القومية للطباعة١٣٨٤هـ– ١٩٦٤م.

● الجانب الصوتى للوقف فى العربية ولهجاتها، د.أحمد سلطان، مطبعة الأمانةبمصر١٩٩٢م.

● الجرح والتعديل– الطبعة الأولى، حيدرآباد – الدكن بالهند، من دون تاريخ.

● جمهرة اللغة، لأبى بكر محمد بن الحسن بن دريد، مكتبة الثقافة الدينية بمصر،طبعة من دون تاريخ.

● حاشية الخضرِى على شرح ابن عقيل، مطبعة مصطفى الحلبى بمصر١٣٥٩هـ– ١٩٤٠م.

● حاشية الصبان على شرح الأشمونى – مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه، من دون تاريخ.

● الحجة فى القراءات السبع، لابن خالوية، تحقيق عبد العال سالم مكرم– دار الشروق بالقاهرة، الطبعة الثانية ١٣٩٧هـ– ١٩٧٧م.

● الحجة للقراء السبعة الذين ذكرهم ابن مجاهد، لأبى على الفارسى، حققه بدر الدين قهوجى، الطبعة الأولى بدمشق ١٤٠٧هـ– ١٩٨٧م.

● الحديث النبوى الشريف وأثره فى الدراسات اللغوية والنحوية، تاليف محمد ضارى حمادى، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ .

● خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب على شواهد شرح الكافية، تاليف

عبد القادر البغدادى، المطبعة الأميرية بمصر١٢٩٩هـ ، وطبعة اخرى عن الهيئة المصرية العامة للكتاب١٩٧٩م.
● الخصائص لأبى الفتح عثمان بن جنى، تحقيق محمد على النجار، الطبعة الثانية، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت.
● خصائص اللغة العربية، د. محمدحسن حسن جبل، دار الفكر العربى، ١٩٨٧م.
● دراسة الصوت اللغوى، د.أحمد مختارعمر–عالم الكتب، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ– ١٩٨٥م.
● درة الغواص فى أوهام الخواص للحريرى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر١٩٧٥م.
● الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون. تحقيق الشيخ على معوض وآخرين، بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤١٤هـ– ١٩٩٤م– وطبعة أخرى بتحقيق د.أحمد الخراط، دار القلم بدمشق، الطبعة الأولى ١٩٩٤م.
● سراج القاريء المبتدىء وتذكار المقرىء المنتهى، لعلى بن عثمان بن القاصح البغدادى– مطبعة مصطفى البابى الحلبى– الطبعة الثالثة ١٣٧٣ هـ– ١٩٥٤م.
● سر صناعة الأعراب، لأبى الفتح عثمان بن جنى، تحقيق محمد الزفزاف وآخرين، مطبعة مصطفى الحلبى، الطبعة الأولى١٩٥٤م – وطبعة أخرى بتحقيق حسن هنداوى، مطبعة دار القلم بدمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ– ١٩٨٥م.
● سير اعلام النبلاء، لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبى، تحقيق مامون الصاغورجى، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ– ١٩٨٥م.
● شرح الأ شمونى على ألفية ابن مالك، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابى الحلبى وشركاه، من دون تاريخ.
● شرح ابن عقيل ومعه حاشية الخضرى، مطبعة مصطفى البابى الحلبى ١٣٥٩هـ– ١٩٤٠م.
● شرح شافية ابن الحاجب، للشيخ رضى الدين الاستراباذى، تحقيق محمد نور الحسن وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت١٤٠٢هـ– ١٩٨٢م.

- شرح المفصل لابن يعيش، مكتبة المتنبى، القاهرة، من دون تاريخ.
- شواذ القراءةواختلاف المصاحف للكرمانى- مخطوط بمكتبة الأزهر الشريف- تحت رقم٢٢٤قراءات.
- الصاحبى، لأحمدبن فارس، تحقيق السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابى الحلبى، ١٩٧٧م.
- صفة جزيرة العرب، للهمدانى، تحقيق محمد بن الأكوع، بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٨٣م.
- الطبقات الكبرى، لابن سعد، دار صادر، بيروت، من دون تاريخ.
- العربية الفصحى نحو بناء لغوى جديد، تأليف الأب هنرى فليش، الطبعة الأولى١٩٦٦م.
- العين للخليل بن أحمد الفراهيدى، تحقيق. د. مهدى المخزومى، د. إبراهيم السامرائى، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.
- غاية النهاية فى طبقات القراء، لابن الجزرى، مطبعة السعادة بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٩٣٢م.
- غيث النفع فى القراءات السبع، لعلى النورى الصفاقسى، مطبعة مصطفى الحلبى، الطبعة الثالثة ١٣٧٣ هـ- ١٩٥٤م.
- فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير، للشوكانى، دار الحديث بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٣م - وطبعة دار الفكر فى بيروت، الثالثة ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م.
- الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين، تأليف سليمان بن عمر، الشهير بالجمل مطبعة عيسى البابى الحلبى، من دون تاريخ.
- فى اللهجات العربية، د. إبراهيم أنيس - الأنجلو المصرية بالقاهرة - الطبعة الرابعة ١٩٧٣م.
- القاموس المحيط، للفيروز ابادى، الطبعة القديمة على ترتيب القافية، المطبعة المصرية، من الأولى حتى الرابعة.
- القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث، د. عبدالصبور شاهين، مطبعة دار القلم بالقاهرة ١٩٦٦م.

• القواعد والتطبيقات فى الإبدال والإعلال، الشيخ عبدالسميع شبانه، الطبعة الخامسة ١٤٠٩هـ.
• الكاشف فى معرفة من له رواية فى الكتب الستة، للذهبى، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
• الكامل فى اللغة والأدب، للمبرد، طبعة دار الفكر، من دون تاريخ.
• الكتاب، لسيبويه، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية ١٩٧٧.
• كتاب الاقتراح فى علم أصول النحو، للسيوطى، تحقيق د. أحمد محمد قاسم، مطبعة السعادة بمصر، الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.
• كتاب السبعة لابن مجاهد، تحقيق د. شوقى ضيف، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية ١٩٨٠م.
• كتاب معانى القراءات، لأبى منصور الأزهرى، تحقيق عيد مصطفى درويش، وعوض القوزى، دار المعارف بمصر ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
• الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، لجار الله الزمخشرى، طبعة مصطفى البابى الحلبى من دون تاريخ، والطبعة الثالثة فى دار الريان للتراث ١٩٨٧م.
• الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، لأبى محمد مكى ابن أبى طالب القيسى، تحقيق د. محيى الدين رمضان، طبعة دمشق ١٩٧٤م، والطبعة الثالثة ١٩٨٤م.
• لسان العرب، لجمال الدين ابن منظور، تحقيق محمد أحمد حسب الله، وآخرين، طبعة دار المعارف المصرية، وفق الترتيب الألفبائى، من دون تاريخ.
• اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية ١٩٧٩م.
• لهجات العرب، لأحمد تيمور، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
• اللهجات العربية فى التراث، د. أحمد علم الدين الجندى، الدار العربية للكتاب، طرابلس ليبيا ١٩٨٣م.

● اللهجات العربية فى القراءات القرآنية، د. عبده الراجحى، دار المعارف بمصر ١٩٦٨م.

● اللهجات فى الكتاب لسيبويه أصواتا وبنية، تاليف صالحة راشد آل غنيم، مركز البحث العلمى وإحياء التراث بالمملكة العربية السعودية - الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

● لغة تميم - دراسة تاريخية وصفية، د. ضاحى عبد الباقى، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.

● مجالس العلماء، للزجاجى، تحقيق عبدالسلام هارون، مطبعة المدنى بمصر، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

● المحتسب فى تببين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لأبى الفتح ابن جنى، تحقيق على النجدى ناصف، وآخرين، مطبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة، ١٣٨٦هـ.

● المحرر الوجيز (تفسير ابن عطية الأندلسى)، تحقيق المجمع العلمى بفاس، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م.

● مختصر فى شواذ القرآن، لابن خالوية، مكتبة المتنبى بالقاهرة، من دون تاريخ.

● مختلف القبائل ومؤتلفها، محمد بن حبيب البغدادى، مكتبة المثنى ببغداد، ١٨٥٠م.

● المخصص، لابن سيده، تحقيق لجنة إحياء التراث العربى، بيروت، لبنان.

● المزهر فى علوم اللغة وأنواعها، للسيوطى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، وآخرين، دار إحياء الكتب العربية، عيسى الحلبى، الطبعة الثالثة.

● المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير للرافعى، تاليف أحمد بن محمد الفيومى، المكتبة العلمية، بيروت لبنان.

● المعارف، لابن قتيبة، تحقيق د. ثروت عكاشة، دار المعارف بمصر الطبعة الرابعة ١٩٨١م.

● معانى القرآن، للأخفش، تحقيق د. فائز فارس، دار البشير، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ - ١٩٨١، وطبعة أخرى عن عالم الكتب ١٩٨٥م.

● معانى القرآن وإعرابه للزجاج، تحقيق، عبدالجليل عبده شلبى، طبعة ١٩٧٣م، ١٩٨٨م، ١٩٩٤م.

● معانى القرآن للفراء، تحقيق أحمد يوسف نجاتى، محمد على النجار، بيروت من دون تاريخ، والطبعة الثانية ١٩٨٠م عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.

● معجم المقاييس، لأحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبدالسلام هارون، مطبعة مصطفى الحلبى، الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

● معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، للذهبى، تحقيق بشار عواد وجماعة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

● المغنى فى تصريف الأفعال، للشيخ محمد عبدالخالق عضيمة، دار العهد الجديد للطباعة، الطبعة الأولى ١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م.

● المفردات فى غريب القرآن، لأبى القاسم المعروف بالراغب الأصفهانى، تحقيق محمد سيد كيلانى، مطبعة مصطفى الحلبى ١٣٨١هـ - ١٩٦١م.

● الممتع فى التصريف، لابن عصفور، تحقيق فخر الدين قباوة، بيروت، الطبعة الرابعة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

● منجد المقرئين ومرشد الطالبين، لابن الجزرى، تحقيق. د. عبدالحى الفرماوى، الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

● من لغات العرب (لغة هذيل)، د. عبدالجواد الطيب، طبعة ١٩٨٥م.

● الموضح فى وجوه القراءات وعللها، لابن أبى مريم، تحقيق عمر الكبيسى، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

● النشر فى القراءات العشر، لابن الجزرى، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، من دون تاريخ.

● الهمز والتسهيل فى القراءات واللهجات العربية، د. أحمد سلطان، رسالة ماجستير فى مكتبة كلية اللغة العربية بالقاهرة.

* * *

فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

الموضوع	الصفحة
المبحث الثاني: المماثلة الجزئية فى الصوائت	٦٢ – ٦٩
تمهيد فى التعريف بالإمالة	٦٢
شاهد الإمالة	٦٤
المماثلة فى حرف الشرط «لَوْ»	٦٧
المبحث الثالث: تعاقب الحركات	٧٠ – ٧٩
الفتح والضم والكسر فى فاء الكلمة	٧٠
الضم والكسر فى فاء الكلمة	٧٥
الفتح والضم والكسر فى لام الكلمة	٧٧
المبحث الرابع: التلتلة أو كسر حروف المضارعة.............	٨٠ – ٩٠
تمهيد حول المصطلح	٨٠
الحالات التى يكسر فيها أول المضارع	٨١
أمثلة تطبيقية وافقت القواعد	٨٢
أمثلة شذت عن القاعدة	٨٧
المبحث الخامس: حذف الصائت أو تقصيره	٩١ – ١١٤
أولاً: حذف الصائت من عين «فُعُل» بضمتين	٩١
ثانيا: حذف الصائت من عين «فَعَل» بفتحتين	٩٩
ثالثا: حذف الصائت من عين «فَعِل»	١٠٣
رابعا: تقصير الصائت الطويل	١٠٥
المبحث السادس: كسر فاء الثلاثى المضعف المبنى للمجهول	١١٥ - ١٢١
الفصل الثالث: الظواهر السياقية فى الصوامت	١٢٢ - ١٣٣
المبحث الأول: (الإدغام أو المماثلة) تعريف الإدغام	١٢٢
شواهده من قراءة يحيى بن وثاب	١٢٤ - ١٢٩
المبحث الثاني: حذف بعض الأصوات من أواخر الكلمات	١٣٠ - ١٣٣
فهرس الآيات والقراءات القرآنية	١٣٤ - ١٤٨
فهرس المصادر والمراجع	١٤٩ - ١٥٦
فهرس الموضوعات	١٥٧ - ١٥٨

المؤلف في سطور

* ولد في قرية بني عدى بمركز منفلوط محافظة أسيوط (ج.م.ع) عام ١٩٤٧م.

* حصل على الإعدادية الأزهريةمن معهد بني عدى عام ١٩٦٥م، وعلى الثانوية الأزهرية من معهد أسيوط الثانوى ١٩٧٠م، وعلى الإجازة العالية (الليسانس) من كلية اللغة العربية في القاهرة عام ١٩٧٤م، وعلى الماجستير في تخصص أصول اللغة عام ١٩٧٩م، وعلى الدكتوراه في نفس التخصص عام ١٩٨٤م.

* عمل مدرسا وأستاذا مساعدا في كليته، وقام بتدريس مواد أصول اللغة « فقه اللغةوعلم اللغة والمعاجم والأصوات واللهجات والدلالة » في كليات اللغة العربية بالقاهرة والمنوفية ودمنهور، وفي كليات الدراسات العربية والإسلامية للبنات بالقاهرة والإسكندرية وأسيوط.

* عمل أستاذا مساعدا في كلية التربية للبنات بمدينة عرعر في شمال المملكة العربية السعودية من (١٩٩٠م - ١٩٩٤م)، ثم أستاذا مشاركا في كلية التربية للبنات بالرياض من (٢٠٠٠م - ٢٠٠٤م).

* صدر له من المؤلفات - غير رسالتي الماجستير والدكتوراه والكتب الدراسية -:

- حواشي ابن بري وابن ظفر على درة الغواص في أوهام الخواص - درراسة وتحقيق. (مكتبة وهبة)
- المنجد للمعلوف في ميزان النقد اللغوى. (مكتبة وهبة)
- نظرات نقدية في محيط المحيط للبستاني. (مكتبة وهبة)
- في مناهج البحث اللغوى. (مكتبة وهبة)
- الجانب الصوتي للوقف في العربية ولهجاتها. (دار الفكر العربي)
- مقاييس الأصالة والفرعية في الإبدال لابن السكيت. (مكتبة وهبة)
- تنبيهات عليّ بن حمزة على ما في الغريب المصنف من أغلاط (تحليل ونقد). (مكتبة وهبة)
- قراءة يحيى بن وثّاب في ضوء علم التشكيل الصوتي. (مكتبة وهبة)
- وهناك أبحاث أخرى قيد الطبع والنشر.

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ١٧٨٣٦ / ٢٠٠٤
الترقيم الدولى : I.S.B.N. 977 - 17 - 1829 - 0